تَوحِيدُ الأُلوهِيَّة

حَقِيقَتُهُ وبَيَان مَا يُنَاقِضُهُ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
باليد ، حسن بن أحمد سعيد
توحيد الألوهية حقيقته وبيان ماينافضه
حسن بن أحمد سعيد باليد - ط 1 - مكة المكرمة ، 1446 هـ
408 ص؛ 17×24 سم

رقم الإيداع: 1446/6966
ردمك: 978-603-8443-55-2



الطبعة الأولى
(1447هـ - 2026م)

يمكنكم طلب الكتب عبر متجرنا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك

dar.taibagreen123 — dar.taiba
@dar_tg — dar_tg
dartaibagreen@gmail.com — yyy.01@hotmail.com
012 556 2986 — 055 042 8992
مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّة

حَقِيقَتُهُ وبيان ما يُناقِضُهُ

مُتوافِقٌ مع مُقرراتِ التَّعليمِ الجامِعِيِّ لمادَةِ العَقِيدَةِ

تأليف

د. حسن بن أحمد بن سعيد بالبيد

عضو هيئة التدريس بكلية الحرم المكي الشريف

تقديم

معالي الشيخ

د. صالح بن عبد الله بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام، ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي

وعضو هيئة كبار العلماء، والمستشار بالديوان الملكي

معالي الشيخ

أ. د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

وإمام وخطيب المسجد الحرام



دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ.د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منَّ علينا بعقيدة التوحيد، وطهّر قلوبنا من أدران الشرك والوثنية والتنديد، وهدانا لاتباع هدي السلف الصالح الرشيد، أحمده ﷻ وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، جلَّ عن المثيل والنظير، وتعالى عن الشريك والظهير، وتقدَّس عن شبه مخلوقاته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من طهّر بالتوحيد قلبه، وأرضى بالمُعادات فيه والمولاة ربّه، وأشهد أن نبيّنا محمدًا عبد الله ورسوله، إمام الموحدين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، والهادي إلى الحق المبين، والشافع المشفع يوم الحساب والدين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن توحيد الألوهية والعبادة لله تعالى أولُ واجب على العباد، وهو أعظم الطاعات وأجل الحسنات وأرفع القربات، وهو القضية التي لأجلها قامت الأرض والسماوات، وخُلقت جميع المخلوقات، وبُعثت الرسل، وأُنزلت الكتب، وجُرِّدت السيوف، وفُرض الولاء والبراء، والمودة والبغضاء، والمنع

والعطاء، وبسببها افترق الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وهم الموحدون السعداء، وفريق في السعير، وهم المشركون الأشقياء.

وحقيقة توحيد الألوهية: أن يعلم العبدُ ويوقن أنَّ الله هو المألوه وحده، المعبود على الحقيقة، وأنّ صفات الألوهية ليست في أحدٍ من المخلوقات، ولا يستحقها إلا رب الأرض والسماوات، وأن كلّ معبود ما خلا الله باطل، وكل عبادة تصرف لغيره ضلال، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وذلك يقتضي أن يُفرد اللهُ وحده بالعبادة، ويكون له وحده التذلل والخضوع والإنابة، ولا يُجعل معه شريك في شيء من ذلك أبدا.

وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة، وتعددت أوجه دلالتها على توحيد الألوهية؛ فتارة يأتي النص آمرًا به أمرًا واضحًا صريحًا، كقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، وتارة ينوه بأنه الغاية من خلق الجن والإنس، كقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وكثيرًا ما يبشّر بالجزاء العظيم لمن حققه في الدنيا والآخرة، وينذر بالعذاب الأليم والمقيم لمن خالفه وحارب أهله، وناصبهم العداء.

وهذه الأدلة قررت التوحيد بأبلغ بيان وأقوى برهان، يعجز عن تفنيده الخصوم، وينقطع أمامه كل معاند غشوم؛ فمنها ما يلزم بتوحيد الألوهية بناء على الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنها ما يعرِض أوصاف ما يُعبد من دون الله تنبيهًا على عدم استحقاقها للعبادة، ومنها ما يبين أن الحكم تشريعًا وجزاءً حقٌ خالصٌ لله وحده، ومنها الذي يؤكد أن جميع الكتب السماوية أجمعت على أن العبادة حق لله تعالى وحده لا شريك له.

ولما كانت قضية توحيد العبادة في الكتاب والسنة بهذا المقام الجليل والشأن الخطير؛ اعتنى العلماء به تعلمًا وتعليمًا، ودعوة وتطبيقا، وأفرده جِلَّة منهم بالتصنيف، ومن أشهر هؤلاء الأئمة الأماجد الأعلام: الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ في كتابه الفريد: (**كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**)، الذي قرر فيه التوحيد، وعرض شواهده ودلائله من الكتاب والسنة، وأجاد في استنباط مسائله منهما، وأحسن غاية الإحسان في تبويبه وتقسيمه، سالكًا منهج السلف في بيانه والاستدلال له، فجاء كتابه بديعًا سابقًا لم يؤلف مثله في بابه، فكان قرة عيون الموحدين، وحجتهم على الملحدين، لما فيه من البراهين الواضحات، والدلائل البينات على بطلان ما هم عليه من أقوال وأعمال وأحوال.

إنَّ التنويه بتوحيد الألوهية والعناية بتعلميه وتفهيمه يتأكد في كل زمان ومكان، فكيف بزمانٍ كثرت فيه الأهواء، واتُبعت فيه الآراء، وأطلت فيه الفتن وتتابعت، وتكاثرت مظاهرها وتشعبت، وسار كثيرٌ من الناس في ركاب تيارات فكرية منحرفة، وفرق ضالة هائمة، ممن لا ترى في الشرك والكفر بأسا، أو لا ترفع بتوحيد رب الأرض والسموات رأسا. نسأل الله السلامة والعافية!

إن أعظم واجب على العلماء والدعاة-وهم ورثة الأنبياء-، تعليمُ التوحيد وتوضيحه، وبيان الشرك ومظاهره، وعظيم خطره، فهذا هو واجب الوقت، وفرض الساعة الذي لا يجوز تأخير بيانه أو التهاون فيه.

ولقد أحسن الشيخ الدكتور حسن بن أحمد بالبيد حين بادر إلى شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد بأسلوب فريد يجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ أصالة قائمة على نصوص الكتاب والسنة، معتضدة بأقوال أئمة السلف وأعلام

الخلف، ومعاصرة في عرض الموضوعات وربطها، وتجلية المفاهيم وضبطها، وبيان المضامين بأسلوب سهل وعبارة واضحة، تراعي العصر ومستويات الطلاب.

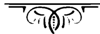
إن شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد على الطريقة التي انتهجها المؤلف -وفقه الله-؛ كفيلة بتعزيز العقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب، وتعميق فهمهم لها، واستحضارهم لمسائلها وأدلتها، وترسيخها في وجدانهم؛ ليكونوا أكثر قدرة على مواجهة الشبهات، والرد عليها بالحكمة والدليل والبرهان.

نسأل الله ﷻ أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يجعل عمله خالصًا لله مُقربًا إليه، نافعًا لكل من بلغ إليه، كما ندعوه ﷻ أن يحفظ بلادنا، بلاد الحرمين الشريفين، وسائر بلاد المسلمين، وأن يوفق ولاة أمرنا الكرام لكل ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يديم علينا نعمه ظاهرة وباطنة، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدعاء.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبها

أ.د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي
وإمام وخطيب المسجد الحرام



تقديم
د. صالح بن عبدالله بن حميد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإنَّ معرفة التوحيد الذي جاء به الأنبياء أهم المهمّات التي يجب على المسلم معرفتها، ولقد جاءت آيات الكتاب العزيز بتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وأنه الخالق الرازق المدبر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، كما أمر الله ﷻ عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والقرآن الكريم من أوله إلى آخره تضمن أنواع التوحيد، من أول الفاتحة إلى سورة الناس وهي آخر سورة في القرآن.

ففي سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤] وهو توحيد الربوبية، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] هو توحيد الألوهية.

وفي سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] توحيد الربوبية، وقوله: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٣] توحيد الألوهية.

ومن المحال أن يذكر الله ﷻ كلمتين في نفس السياق لهما نفس المعنى بالمطابقة دون أن تضيف الأخرى معنًى زائدًا، وإلا كان القرآن عريًّا من

الإعجاز والبلاغة، ولو صنع هذا الصنيع شاعر أو أديب لنسبه أهل البلاغة إلى ركاكة الأسلوب بتكرار الكلام دون فائدة، فكيف يُظن برب العالمين ذلك؟! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ويتجلى التوحيد بأقسامه الثلاثة في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ توحيد الربوبية، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ توحيد الألوهية، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ هو توحيد الأسماء والصفات، أي: لا شبيه له في ذاته ولا صفاته).

والتوحيد بصفائه له أثره السلوكي والمسلكي في حال العالم بمعانيه والعامل به؛ وقد ذكر العلماء في مؤلفاتهم، ومقولاتهم ما يجلي فضائل التوحيد وفوائده:

◈ منها أن التوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر:

قال الإمام ابن القيم ﷺ: أعظم أسباب شرح الصدر: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر... والتوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج... ويُفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد.

◈ ومنها أن التوحيد يقوي الإيمان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: كلما قوي التوحيد في قلب العبد، قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه.

◈ ومنها أن التوحيد يعين على الصبر على أذى الخلق:

قال الإمام ابن القيم ﷺ: للعبد عشرة مشاهد فيما يصيبه من أذى الخلق وجنايتهم عليه:... المشهد الحادي عشر: وهو أجل المشاهد وأرفعها: مشهد التوحيد، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله تعالى، والإخلاص له ومعاملته، وإيثار مرضاته، والتقرب إليه، وقرَّت عينه بالله، وابتهج قلبه بحبه والأنس به، واطمأن إليه، وسكن إليه، واشتاق إلى لقائه، واتخذه وليًّا من دون ما سواه، بحيث فوَّض إليه أموره كلها، ورضي به وبأقضيته... فإنه لا يبقى في قلبه متسع لشهود أذى الناس له البتة، فضلًا عن أن يشتغل قلبه وفكره وسرُّه بطلب الانتقام والمقابلة.

◈ ومنها أن التوحيد يخفف المكاره ويهون الآلام:

قال العلامة السعدي ﷺ: التوحيد...من فضائله: أنه يُخفِّفُ على العبد المكاره ويهوِّنُ عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرحٍ ونفسٍ مطمئنةٍ، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

◈ ومنها أن الشفاعة تُنالُ بتجريد التوحيد:

يقول ﷺ في حديث أبي هريرة: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله»، قال الحافظ ابن القيم: سِر من أسرار التوحيد، وهو أن الشفاعة إنما

تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيدًا، كان أحرى بالشفاعة، لا أنها تنال بالشرك الشفيع كما عليه أكثر المشركين.

ويؤكد ذلك السعدي ﷺ بقوله: التوحيد...من فضائله بقوله: أن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه.

◈ **ومنها أن التوحيد يجلب الأمن والهداية:**

يقول ابن القيم ﷺ: التوحيد حصن الله الأعظم، الذي من دخله كان من الآمنين.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ﷺ: لا يحصل الأمن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مُصِرًّا عليها، فأما إن كان للموحِّد ذنوب لم يتُبْ منها، حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده، وفاته منه بقدر معصيته.

ويقول الإمام ابن باز ﷺ: التوحيد الخالص في ضمنه التوبة من المعاصي والسيئات، فيحصل له الأمن التام، والهداية الكاملة، أما إذا كان قد تلطَّخ بالمعاصي، يكون توحيده ناقصًا، فيكون أمنه ناقصًا، فالكل بالكل، والبعض بالبعض.

وغيرها من الفضائل والفوائد التي لا يتسع المقام لذكرها.

وعلم التوحيد كغيره من العلوم يحتاج إلى منهجية في فهمه وإعماله في الواقع، ومن المنهجيات في ذلك ما قرره أهل السنة والجماعة في منهجهم المستمد من الكتاب والسنة وفهم الصحابة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "الاعتقاد: يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة؛ فما كان في

القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم". وقال في موضع: "الاعتقاد يؤخذ عن الله ﷻ ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة. يؤخذ من كتاب الله تعالى، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة وما ثبت عن سلف الأمة".

ويتجلى ذلك من عدة جوانب منها:

الأول: أن علم العقيدة علم له تأثيره في عقلية المشتغل بعلوم الشريعة من حيث التعامل مع المذاهب والفرق والطوائف، وخاصة من له مدارس اجتهادية قائمة ولها فروعها وأصولها الاجتهادية، ومن تأمل كتاب:(درء تعارض العقل والنقل)، و(منهاج السنة النبوية)، و(اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) تبين له علاقة المنهج العقدي في بناء بقية علوم الشريعة لدى جملة من الطوائف.

الثاني: أن بعض من اشتغل بمسار شيخ الإسلام في علم العقيدة ركن إلى ما يدونه ﷺ من مسائل ولو كانت من مسائل الفروع أو الظنيات أو الاجتهاد، وتعامل معها ذلك المشتغل بمعايير علم العقيدة، وابن تيمية إذا أورد جملة من المسائل في باب العقيدة فهو يفرق في حديثه بين الأنواع والأعيان، فقد يتحدث عن الأنواع وما يتصل بها من أحول مما يجعل ابن تيمية يجرده عن الأعيان فيلبسها الوصف المناسب من حيث الكفر أو البدعة أو الفسق، ويظن المشتغل بأن الحديث عن الأنواع هو حديث عن الأعيان، فيتعامل معها بمعيار واحد، وهذا الخلط أو جد شيئًا من الغلو في التعامل مع جملة من القضايا التي أوردها شيخ الإسلام، ومن جمع نصوصه وتأملها وفق مساقاتها ومعايير العلم الذي تنتمي إليه لتبين له الدقة والعمق لدى شيخ الإسلام.

الثالث: أن علم العقيدة من عرض شيخ الإسلام له منحيان:

المنحى الأول: توصيفي تكييفي: يقوم على بيان المسألة ومدى قربها وبعدها عن أصول الشريعة وقواعدها، وينضم لذلك الاستدلال وبيان الأدلة في المسألة من حيث اعتبار مضمونها أو إلغاؤه.

المنحى الثاني: التنزيلي وهو منحى الحكم على اتصال تلك المسائل بالأعيان، وهذا غالبًا ما ينهج فيه شيخ الإسلام منهج الفقهاء في تحقيق المناط وما يتصل به من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

وهذا المنحى له أصول لابد من استكمالها، فتحقيق المناط لا يقبل التقليد إلا ما كان في الأنواع، وأما ما كان في الأعيان فهذا لايقبل التقليد من حيث التحقيق، فثمة أحوال تحتف بالأعيان تجعل المناط الصادر من أهله لايقبل التحقيق في محله إلا من قبل المجتهدين الذين يدركون طبيعة شروط التحقيق وموانعه، قال ابن تيمية ﷺ: "فإن نصوص الوعيد التي في الكتاب والسنة ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع".

وعليه فمن لم يستكمل أدوات وشروط المجتهد في تحقيق المناط فإنه لا يستوعب منهج ابن تيمية في هذا المنحى، فابن تيمية فقهه في هذا الباب ومسلكه في علم العقيدة لا يتجزأ.

وبناء على ما ذُكر يمكن القول بأن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ امتاز بأنه يضع مسائل العقيدة في مساقها المناسب وفق طبيعة هذا العلم وما تضمنه من بيان مسائل من حيث قربها من أصول الاعتقاد التي تجلى مناطها مما جعل

من الأصول الراسخة في هذا الباب جانب التوقيف على كثير من مسائله ودلائله، وأن ما يتعلق بالجوانب العملية كبعض مسائل الولاء والبراء ونحوها، قال ابن تيمية ﷺ: "وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته هل يرث ويورث؟ على قولين والصحيح أنه يرث ويورث وإن علم في الباطن أنه منافق كما كان الصحابة على عهد النبي ﷺ لأن الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة لا على المحبة التي في القلوب فإنه لو علق بذلك لم تمكن معرفته والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها وهو ما أظهره من موالاة المسلمين؛ فقول النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» لم يدخل فيه المنافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار؛ بل كانوا يورثون ويرثون؛ وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين وقد أخبر الله عنهم أنهم يصلون ويزكون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم فقال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾".

ومن الجوانب المرسخ للمنهجية في دراسة علم التوحيد والعقيدة ما عُرف عن علماء أهل السنة والجماعة العناية به والتدوين لمسائله وأحكامه، وخرجت الدراسات الموسعة في ذلك، ومنها ما يتعلق بالتدوين العلمي والتعليمي لمسائل التوحيد، فمن ذلك ما كتبه فضيلة الشيخ الدكتور/ حسن بن أحمد بن سعيد بالبيد عضو هيئة التدريس بكلية الحرم المكي الشريف، حول توحيد الألوهية ومسائله وأحكامه بعنوان (توحيد الألوهية حقيقته وبيان نواقضه)، وهو جهد موفق من فضيلته، حيث عرض مسائل هذا القسم من أقسام التوحيد في مباحث ومسائل، بأسلوب سهل مع التأصيل بالنصوص الشرعية والنقول العلمية من علماء المسلمين من جميع المذاهب، وأضاف

إلى ذلك رسم هيكلة علمية لموضوعات ومسائل كل مبحث، وذيل كل مبحث بأسئلة وتدريبات ترسخ المعلومة لدى المستفيد، شكر الله لفضيلته هذا الجهد العلمي وجعله مباركًا ونافعًا لطلاب العلم. وأن يستعملنا جميعًا في إقامة التوحيد والدعوة له بعلم وبصيرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه
د. صالح بن عبدالله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام



المقدمـة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن الناس كانوا في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء؛ اتخذوا نُصبًا يطوفون حولها، وأصنامًا يستغيثون بها، وكواكب يستمطرونها، يعبدون آلهة شتى، لا تضر ولا تنفع، فاستبدلوا بملة إبراهيم الحنيفية ملة عمرو بن لحي الوثنية، فسُيِّبت السوائبُ، وبُحِّرت البَحيرة، وجيء بهُبل فوضع في جوف الكعبة، ومُلئ حرم الله بالأصنام، وطغت العرب بأوليائها فنصبوا لها نصبًا كاللات والعزى ومناة، فزادت غربة الحنيفية، وجاء عن النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ نظر إلى أهْلِ الْأَرْضِ، فمقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إلَّا بقَايَا من أهْلِ الْكِتَابِ» (رواه مسلم).

ثم امتن الله على هذه الأمة الخاتمة فبعث إليهم نبيًا من أنفسهم، يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويعيدهم إلى حياض التوحيد، ويخلص فطرهم، وعقولهم، من عادات وجدوا عليها آباءهم ما أنزل الله بها من سلطان، فدعاهم بدعوة الأنبياء: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وأعلمهم أن العبادةَ والدعاء والذبح والنذر والاستغاثة والاستعاذة والتوكل والرجاء والرغبة والرهبة والشفاء والنصر والغيث والمدد الذي لا يقدر عليه إلا الله؛ حق محض لله، لا يجوز أن يصرف لغيره.

فناداهم ودعاهم: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فأبوا هجر إرث آبائهم، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

إلا أن الفئة التي كُتبت من أهل السعادة استجابت وانقادت وتبرأت من معبوداتها، وقالوا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فأسلموا واستسلموا وأخلصوا عبادتهم لربهم وخالقهم، فنالوا مكرمة الرضا والبشرى بالنعيم.

ثم قاموا من بعده يدعون الناس إلى كلمة الحق الخالصة، وقام أتباعهم بإحسان ينشرون التوحيد والسنن، ويحاربون الشرك والبدع، وكان التوحيد عقد الدعوة وقطب رحاها، وذروة سنامها، كما قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ يبعَثُ لِهذِه الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سَنةٍ من يجدِّدُ لَها دينَها». (رواه أبو داود).

وإن من هؤلاء الأئمة المجددين والأعلام المسددين الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ﷺ، فقد كان في زمانٍ أهله غرباء عن التوحيد والسنة إلا من رحم الله، فنادى في الناس بالتوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له نابذًا كل مظاهر الشرك وعبادة غير الله، فقام أولياء الشرك بمحاربته كما حُورب دعاة التوحيد من قبل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ولما كانت دعوته ﷺ قائمة على الكتاب والسنة بارك الله فيها وبلغت الآفاق واهتدى في سبيلها كثيرٌ من الخلق، وما زال الناس ينتفعون من تلك الدعوة المباركة جيلًا بعد جيل.

وإن بين أيدينا سِفرًا رُزق بالقبول، وهو كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ، وقد قام بشرحه علماء أجلاء، وحَفِظه صغار الطلاب

وكبارهم، وقرأوه وانتفع به عوامهم وخواصهم، وقد عزمت على شرحه وترتيبه وتقريبه بأسلوب قريب المأخذ، سهل البيان، على الطريقة الأكاديمية؛ ليقرب من فهم الطلاب، ويحل ما تعسر عليهم من أحكام وتقاسيم الأبواب، فجعلت له تمهيدًا وفصولًا وأبواب، مدعمًا بأقوال السلف والخلف من أهل العلم الكرام، علني أكون في عداد الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

ومنهجيتي في الكتابة تتلخص في الأربع الموضوعات الرئيسية التي ارتكز عليها الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ:

(١) بيان للتوحيد وأهميته وفضله ووجوب الدعوة إليه.

(٢) بيان لما يناقض أصل التوحيد.

(٣) بيان لما يناقض كمال التوحيد الواجب.

(٤) بيان لما يناقض كمال التوحيد المستحب.

وقد أعدت تقسيم الكتاب بحيث رتبته ترتيبًا أكاديميًا بناءً على هذه الموضوعات فجعلته في تمهيدٍ وبابين، والتمهيد مكون من فصلين، فصلٌ جمعت فيه عددًا من أبواب كتاب التوحيد المتعلقة بتعريف التوحيد وحكمه وفضله ووجوب الدعوة إليه، وضممت إليه فصلًا متعلقًا ببيان الشرك وأنواعه وجمعت فيه الأبواب المتعلقة بأسباب الوقوع في الشرك.

ثم أفردت ما يناقض أصل التوحيد في باب مستقل، وكذلك مع ما يناقض كمال التوحيد الواجب، بحيث تم تقسيم كل باب إلى ثلاثة فصول، فصل متعلق فيما يناقض التوحيد من أعمال الجوارح، وفصل متعلق بأعمال القلوب، وفصل متعلق بالأقوال، وقد اجتهدت في ضم كل باب من أبواب كتاب التوحيد إلى ما يناسبه من هذه الفصول بحسب الأصل في حكم الباب ونوعه من جهة كونه عملًا للجوارح أو القلوب أو اللسان.

وفائدة هذا التقسيم أمران:

الأول: أن هذه الطريقة تناسب الدرس الأكاديمي فيصلح أن يكون الكتاب تعليميًا لذلك تم تدعيمه بالمشجرات والأسئلة.

الثاني: أن هذه الطريقة أضبط لطالب العلم من جهة جمع المسائل المتعلقة بحكم واحد تحت فصل واحد.

كما أني دعمت هذا الشرح بأقوال أهل العلم ممن سبق الشيخ محمد بن عبدالوهاب دفعًا لشبهة ابتداع الشيخ لهذه الأحكام، بل فيها بيان اطراد منهج أهل السنة والجماعة من عهد الصحابة إلى يومنا هذا.

وقد استفدت في هذا الشرح من أهل العلم الذين سبقوني لشرح هذا السفر العظيم بداية من تيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، مرورًا بالقول السديد، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد، والقول المفيد، والملخص، والتمهيد، والوجيز وغيرها من الشروحات المطبوعة والصوتية والرسائل العلمية، وقد استفدت كثيرا من "الملخص" للعلامة صالح الفوزان حفظه الله، وشرح الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله "التمهيد"، وشرح الشيخ عبدالله الصيدلاني الجهني حفظه الله "الوجيز"، وشرح الشيخ صالح العصيمي حفظه الله، ونقلت عنهم في بعض المواضع بلا عزو وقد أفدت من تقسيمات الوجيز كثيرًا، فجزى الله عني وعنكم أهل العلم خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى الشيخين الجليلين، العَلَمين الإمامين، معالي الشيخ الأستاذ دكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، ومعالي الشيخ الأستاذ دكتور صالح بن عبدالله بن حميد -حفظهما الله- على تشجيعهما الكريم، وتواضعهما الجمّ بوضع مقدمة لكتابي هذا، فجزاهما الله عني وعن المسلمين خير الجزاء، وبارك في علمهما وعملهما،

وجعل ما قدّماه في ميزان حسناتهما.

ولا يفوتني في الختام أن أشكر المشايخ الكرام الذين أكرموني بالملاحظات قبل التمام، وعلى رأسهم الدكتور علي القرعاوي رئيس قسم العقيدة بجامعة القصيم الذي أكرمني رغم انشغاله بمراجعة الكتاب وأفادني بملاحظات مهمة استفدت منها كثيرًا، فجزاه الله عني خير الجزاء، وفي الختام إن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، ورحم الله امرءًا أهدى إلي عيوبي، فالنقص طبيعة المخلوق والكمال للرب المعبود.

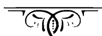
والله أسأل أن يبارك في هذا الكتاب وأن ينفع به أمة من الناس، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا إلى يوم الدين.



توحيد الألوهية

- **التمهيد**
  - **المبحث الأول:** بيان التوحيد وأنواعه وأهميته:
    - ١- تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحا
    - ٢- موضوع توحيد الألوهية
    - ٣- أهمية توحيد الألوهية
    - ٤- فضل توحيد الألوهية وثمراته
    - ٥- الدعوة إلى توحيد الألوهية
  - **المبحث الثاني:** بيان الشرك وأنواعه وخطورته وأسباب الوقوع فيه:
    - ١- تعريف الشرك وبيان أنواعه وخطورته
    - ٢- أسباب الوقوع في الشرك
- **الباب الأول: ما ينقض أصل التوحيد**
  - **الفصل الأول:** الأعمال القولية:
    - ١- دعاء غير الله
    - ٢- الاستغاثة بغير الله
    - ٣- الاستعاذة بغير الله
    - ٤- النذر لغير الله
    - ٥- الشفاعة
    - ٦- الاستهزاء بالله ورسوله وآياته
  - **الفصل الثاني:** الأعمال العملية:
    - ١- الذبح تقربا
    - ٢- تشريع ما لم يشرعه الله
    - ٣- السحر
    - ٤- ادعاء علم الغيب
  - **الفصل الثالث:** الأعمال القلبية:
    - ١- المحبة
    - ٢- الخوف
    - ٣- الرجاء
    - ٤- التوكل
- **الباب الثاني: ما يناقض كمال التوحيد الواجب**
  - الشرك الأصغر
    - ١- الأعمال القولية:
      - الحلف بغير الله
      - نسبة الفضل لغير الله
      - التشريك في التسوية بين الله وخلقه في اللفظ
    - ٢- أعمال القلوب:
      - الرياء
      - الإنسان بعمله الدنيا
    - ٢- أعمال الجوارح:
      - اتخاذ سبب لم يجعله الله سببا
        - لبس التمائم
        - التطير

التمهيد



وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: بيان التوحيد وأنواعه وأهميته.
- المبحث الثاني: بيان الشرك وأنواعه وخطورته وأسباب الوقوع فيه.

التمهيد

المبحث الأول:

بيان التوحيد وأنواعه وأهميته:

١-تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحا

٢-موضوع توحيد الألوهية

٣-أهمية توحيد الألوهية

٤-فضل توحيد الألوهية وثمراته

٥-الدعوة إلى توحيد الألوهية

المبحث الثاني:

بيان الشرك وأنواعه وخطورته وأسباب الوقوع فيه:

١-تعريف الشرك وبيان أنواعه وخطورته

٢-أسباب الوقوع في الشرك

المبحث الأول

بيان توحيد الألوهية وأنواعه وأهميته

التمهيد

المبحث الأول:

بيان التوحيد وأنواعه وأهميته:

١-تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحا	٢-موضوع توحيد الألوهية
٣-أهمية توحيد الألوهية	٤-فضل توحيد الألوهية وثمراته
٥-الدعوة إلى توحيد الألوهية	



توطئة:

نهدف من دراستنا لتوحيد الألوهية إلى هدفين رئيسيين:

الهدف الأول: معرفة حقيقة توحيد الألوهية؛ لتتعلق القلوب بمعبودها الحق سبحانه، ولا تلتفت إلى ما سواه.

الهدف الثاني: معرفة ما يضاد حقيقة توحيد الألوهية من الاعتقادات والأفعال والأقوال فنجتنبها.

ونلاحظ أن الهدف من الكتاب معرفي له أثر على سلوك العبد، فيعرف الإنسان التوحيد ليتبعه ويعرف ما يضاده ليجتنبه، وليس من أهداف هذا التأليف تصنيف وتقسيم الناس إلى مؤمن ومشرك وفاسق، فالبحث هنا في الحكم على الأفعال لا الحكم على الأشخاص.

لأن التصنيف بالباطل قد يقع فيه بعض الناس، عندما يدرس مسألة أو مسألتين من كتاب التوحيد؛ ظانًّا نفسه إمامًا في هذا الباب، فبدل أن يبدأ بدعوة أهله والناس من حوله وتهذيب نفسه، تراه يذهب مباشرة فينظر إلى بعض السلوكيات التي في ظاهرها مضادة للتوحيد، فيحكم على أصحابها بشرك أكبر أو أصغر أو بدعة.

مع أن نفس هذا السلوك الذي صنَّف الناس من أجله لأهل العلم تفصيل في حكمه؛ فإنهم يقولون: إن كذا فكذا، وإن كان كذا فكذا، فمثلًا: مَن دَرَسَ باب الرياء يلحظ أنه ليس كل عمل يخالط الرياء يبطل.

نعم هذا الأصل، ولكن هذا بحسب العمل ونية العامل، فقد يبطل العمل بالكلية في بعض الحالات، وقد يبطل بعضُه، وقد لا يبطل منه شيء إذا كان العبد يُدافع الرياء ويُجاهد نفسه.

وعلى هذا يقاس بقية أبواب التوحيد الأخرى، فهناك أصلٌ للباب، ثم المسائل يختلف حُكمُها بحسب حال الشخص، والحُكم في دراستي هذه على الفعلِ نفسِه لا على الشخص الفاعل.

وفي هذا المبحث سنقف على تعريف الألوهية وأهميته وفضله ووجوب الدعوة إليه.



المطلب الأول

تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحًا

۞ توحيد الألوهية:

مصطلح مركب من مضافٍ ومضافٍ إليه، وقد دَرَجَ أهلُ العلم في تعريف المصطلحات المركبة من مفردتين على تعريف كل مفردة بمعزل عن الأخرى لغةً واصطلاحًا، وتعريفهما -كمصطلح علمي- ذي دلالة معرفية حالة التركيب، واستنانًا بسنن أهل العلم، وسلوكًا لطريقتهم في تعريف المصطلحات وتقريب العلوم الشرعية لمفاهيم الدارسين؛ فتوحيد الألوهية مركب من «توحيد» و«ألوهية»، ونبدأ بتعريف مفردة التوحيد، ثم مفردة الألوهية:

◊ أولًا: تعريف التوحيد:

التوحيد لغة:

مصدر وَحَّد يُوحِّدُ توحيدًا إذا جعل الشيء واحدًا منفردًا، فالواحد: المنفرد، وكل شيء انفرد فهو واحد، تقول: أَوَحَدَت المرأةُ وَلَدَت واحدًا منفردًا، ويقال: أَوْحَدَت الشاةُ وضعت واحدًا فهي موحد، وَوَحَّدْتُ الله اعتقدته مُنْفَرِدًا[1].

(١) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، (ص٤١٤). كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار مكتبة الهلال٣/ ٢٨٠، «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر (١٣/ ٣٤٤)، «جمهرة اللغة»، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: =

قال ابن فارس[(١)]: الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، والواحد المنفرد[(٢)].

وعلى هذا فبالنظر لأصل اللفظ وتصريفه في اللغة؛ فالتوحيد تحقيقُ الواحديَّةِ في المُوحَّد.

تعريف التوحيد اصطلاحًا:

كلمة التوحيد عند الإطلاق يراد بها معنيان:

المعنى الأول: المعنى العام؛ فتطلق مفردة التوحيد على العلم المدون بهذا الاسم، فمنهم من يجعله مشتملًا على جميع مباحث علم العقيدة، ومنهم يقتصر على بعضها دون بعض[(٣)].

المعنى الثاني: المعنى الخاص، فتُطلق مفردة التوحيد ويُراد بها إفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وفي بيان هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ﷺ: «حقيقة التوحيد وهو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه»[(٤)].

وقال الشيخ السعدي ﷺ: «وحقيقة تفسير التوحيد: العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال، وإخلاص العبادة له»[(٥)].

= دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، (١٩٨٧م) (٣/ ١٣٠١)، «المعجم الوسيط»، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة (٢/ ١٠١٦).

(١) أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، إمام ورأس في اللغة والأدب، من صنعه «معجم مقاييس اللغة»، توفي سنة (٣٩٥ هـ). «انظر سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٠٣).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (٦/ ٩٠).

(٣) «دعوة التوحيد»، المؤلف: محمد خليل هراس، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) (ص٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٧٤).

(٥) «القول السديد» (ص١٦).

الخلاصة:

«أنَّ حدَّ التوحيد الجامع لجميع أنواعه: «علم العبد واعتقاده بتفرد الرب سبحانه بصفات الكمال، فلا شريك له، ولا مثيل له، وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، والعمل بمقتضى علمه»[1].

◈ ثانيًا: تعريف الألوهية:

الألوهية أصلها من الإله، و«الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله «الله» تعالى، وسمي بذلك؛ لأنه معبود. ويقال: تأله الرجل: إذا تَعبَّد»[2].

قال الطبري: «ولا شك أنّ «التألُّه»، التفعُّل من: «أَلَه يأله»، وأن معنى «أله» - إذا نُطق به:- عَبَدَ اللهَ، وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ «فَعَل يَفْعَل» بغير زيادة»[3].

ويدل على هذا المعنى عددٌ من الأدلة منها:

أولًا: الإجماع: فقد نقل إجماع العرب على أن معنى الإله المعبود.

قال الطبري ﷺ: «إن قال: وما دلّ على أن الألوهية هي العبادة، وأنّ الإله هو المعبود، وأنّ له أصلًا في «فَعَل ويَفْعَل» قيل: لا تمانع[4] بين العرب في الحكم لقول القائل -يصف رجلًا بعبادة، ويطلب مما عند الله جل ذكره: «تألَّه فلان»- بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج:

لله دَرُّ الغانياتِ المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي

(١) «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي» (٣/ ٦١).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (١/ ١٢٧).

(٣) «جامع البيان في تأويل القرآن» للإمام الطبري (١/ ١٢٣).

(٤) «قوله «لا تمانع»، أي: لا اختلاف بينهم، يدعو بعضهم إلى دفع ما يقوله الآخر»، تعليق الأستاذ محمود شاكر على تفسير «جامع البيان في تأويل القرآن» للإمام الطبري (١/ ١٢٣).

يعني: من تعبدي وطلبي اللهَ بعملي»[١].

ثانيًا: قراءة عبد الله بن عباس ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧] **فقرأ الآية (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ)** قال: عبادتَك، ويقال: إنه كان يُعبَد ولا يَعبُد، وعن مجاهد: (وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ)، قال: عبادتك[٢].

ثالثًا: تـوارد أقـوال علمـاء اللغـة وأصـحاب المعـاجم اللغويـة الـذين تتبعوا المفردات العربية ونقلها وتدوينها، ومشافهة أهلها على أن معنى الإله في «لسان العرب» الذين نزل القرآن بلسانهم هو: المعبود، فمن علماء اللغة الذين نصوا على ذلك:

✍ **أولًا: ابن فارس:** حيث قال في «مجمل اللغة»: «أله إلاهة كعبد عبادة، والمتألهُ: المتعبدُ، وبذلك سمي الإله»[٣].

✍ **ثانيًا: ابن منظور،** قال في «لسان العرب»: «الإله: الله ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه، والجمع آلهة. والآلهة: الأصنام، سموا بذلك؛ لاعتقادهم أن العبادة تحق لها»[٤].

✍ **ثالثًا: الفيومي،** قال في «المصباح»: «يأله من باب تعب[٥] إلاهة بمعنى عبد عبادة، وتأله تعبد، والإله المعبود، وهو الله ﷻ، ثم استعاره

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» للإمام الطبري (١/ ١٢٣).

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» للإمام الطبري (١٣/ ٣٩-٤٠).

(٣) «مجمل اللغة» لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ) (١/ ١٠١).

(٤) «لسان العرب»، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - (١٤١٤ هـ) (١٣/ ٤٦٧).

(٥) قال المعلمي ؒ: «وقول المصباح: (من باب تعب) سهوًا». «رفع الاشتباه» (١/ ٣٩٥).

المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى، والجمع آلهة»[١].

رابعًا: **الفيروزآبادي**، قال في «القاموس»: «أله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة»[٢].

الخلاصة:

الإله في اللغة بمعنى مفعول، أي: معبود، وليس بمعنى فاعل، أي: خالق، فكلُّ من عُبد سُمِّي «إلهًا»، فالألوهية هي العبودية لله ﷻ.

◊ تعريف مفردتي «التوحيد والألوهية» باعتبارهما مصطلحًا مركبًا:

بعد بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردتي «التوحيد والألوهية» تبين مما سبق تقريره أن معنى **«توحيد الألوهية»**: إفراد الله بالعبودية، فهذا معنى توحيد الألوهية في الاصطلاح الشرعي، وإن تعددت واختلفت عبارات العلماء عن هذا المعنى؛ فإنه يبقى أنه المعنى المراد من هذا التركيب الاصلاحي، **فمن عبارات العلماء التي تفيد هذا المعنى:**

قول شيخ الإسلام ﷺ: «إثبات الإلهية لله وحده بأن يُشهد أن لا إله إلا هو، ولا يُعبد إلا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُوالى إلا له، ولا يُعادى إلا فيه، ولا يُعمل إلا لأجله»[٣].

وقال الإمام ابن القيم ﷺ: «توحيد الإلهية المتضمن أنه وحده الإله

(١) «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت (١/ ١٩).

(٢) «القاموس المحيط»، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، (١٤٢٦ هـ) (ص١٢٤٢).

(٣) «درء التعارض» (١/ ٢٢٤).

المعبود المحبوب، الذي لا تصلح العبادة والذل والخضوع والحب إلَّا له»[١].

✍ **ويقول الصنعاني** ﷺ: «توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات...، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يُشعر بالإقرار بالله تعالى»[٢].

✍ **وقال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي** ﷺ: «وسُمِّي توحيدًا فعليًّا؛ لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فهو توحيد الله بأفعال العبيد»[٣].

وهكذا؛ فإفراد الله بجميع أنواع العبادة هو حقيقة توحيد الألوهية، ولهذه الحقيقة مسميات عدة، اختلفت عبارات أهل العلم في بيانها، مع اتفاقهم على أصل المعنى، فيُسمى حال إضافته لله **«توحيد الألوهية»**، وحالة إضافته للعبد بتوحيد العبادة، وتوحيد العمل، وتوحيد العبودية، وتوحيد القصد والطلب، وتوحيد الإرادة والطلب.

۞ مسألة: معنى (لا إله إلا الله).

تقدم في تقريرنا لمعاني التوحيد في اللغة والاصطلاح الشرعي أن معنى **«الإله»**: «المعبود»، وعليه يكون معنى (لا إله إلا الله): «لا معبود إلا الله»، وقد ذكر أهل العلم أن خبر «لا» مقدر محذوف[٤] تقديره (حق)، أي لا معبود

---

(١) «بدائع الفوائد» (٤/ ١٣٢).

(٢) «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، ويليه «شرح الصدور في تحريم رفع القبور»، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ) (ص٥٠).

(٣) «الحق الواضح المبين» ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي (٣/ ٢١٢).

(٤) قال ابن هشام: «وقد كثر حذف خبر «لا» هذه، حتى قيل: إنه لا يُذكر» ونقل سيبويه عن بعضهم أن لفظ الجلالة «الله» هو خبر «لا»، ورده فقال: «ويرده أنها لا تعمل إلا في نكرة منفية واسم الله تعالى معرفة موجبة». =

بحق، ووجه ذلك: أننا إذا جعلنا معنى (لا إله إلا الله): «لا معبود» ونفينا وجود معبودات دون تقدير الخبر الذي به يتقيد النفي؛ كان ذلك مخالفة للواقع؛ فالناظر في واقع البشرية يجد تنوعًا للمعبودات، وقد أثبت الله ذلك في كتابه(١).

ومن هنا قال أهل العلم النفي في كلمة التوحيد متوجه لنفي وجود معبود بحق سوى الله، فيكون معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله، فكلمة التوحيد تنفي العبادة بحق عمًّا سوى الله، وتثبتها لله وحده.

وبهذا يتبين المعنى الصحيح لكلمة التوحيد، وهو المعنى الموافق لدلالة نصوص الكتاب والسنة، فليس معناها لا قادر إلا الله، أو لا خالق إلا الله، أو لا موجود إلا الله وغير ذلك من المعاني، فكلها معانٍ تردها نصوص الوحيين، لأن تفسيرها بذلك لا يتوافق مع دلالة الكتاب والسنة؛ إذ من المعلوم أن كفار قريش حين قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥] لم يكن مقصودهم أنه ﷺ جعل الخالق خالقًا واحدًا، أو القادر قادرًا واحدًا، فهم مُقرُّون بذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١]، فموضع الإشكال بالنسبة لهم ليس في حصر خلق الكون في خالق واحد، وإنما في حصر العبودية في معبود واحد، فهذا هو المعنى الذي أنكروه.

= انظر: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، (١٩٨٥م) (ص٧٤٥، ٨٢٦).

(١) مثل قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ ﴾ [الأنعام:٧٤].

وإذا تقرر هذا يتبين لك أركان هذه الكلمة «لا إله إلا الله»، وأنهما ركنان:

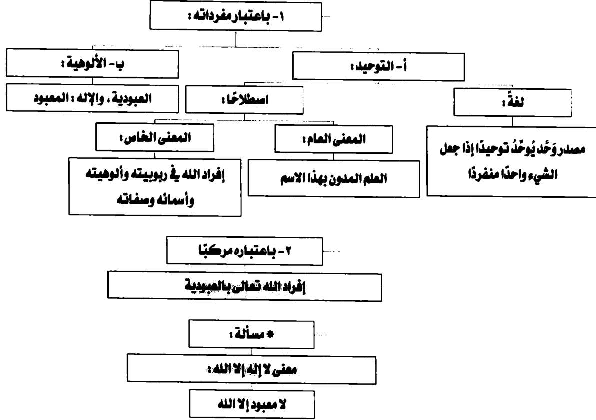
الأول: النفي «**لا إله**»، أي: نفي الألوهية بحق عن كل معبود سوى الخالق ﷻ.

الثاني: الإثبات «**إلا الله**» أي: إثبات أن الله تعالى هو المعبود بحق، وكل معبود سواه فعبادته عبادة باطلة.

✍ **قال في «الكليات»: «لا إله إلا الله:** هي كلمة التوحيد والإخلاص والنجاة والتقوى والعليا والطيبة والقول الثابت، أوَّلها نفي وآخرها إثبات، دخل أوَّلُها على القلب فجلًّا، ثم تمكن آخرُها فخلًّا، فنسخت ثم رسخت، وسلبت ثم أوجبت، ومحت ثم أثبتت، ونقضت ثم عقدت، وأفنت ثم أبقت»[1].



(١) «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش ـ محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ص٩٧١.


تعريف (توحيد الألوهية):
١- باعتبار مفرداته:
أ- التوحيد:
ب- الألوهية:
العبودية، والإله: المعبود
لغةً:
مصدر وَحَّد يُوحِّدُ توحيدًا إذا جعل الشيء واحدًا منفردًا
اصطلاحًا:
المعنى العام:
العلم المدون بهذا الاسم
المعنى الخاص:
إفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته
٢- باعتباره مركبًا
إفراد الله تعالى بالعبودية
* مسألة:
معنى لا إله إلا الله:
لا معبود إلا الله

تدريب

س١: ما معنى الإله؟ وما المراد بتوحيد الألوهية؟

س٢: ما معنى «لا إله إلا الله»؟

س٣: وضح موضع النفي والإثبات في كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»؟

س٤: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) إفراد الله بالعبادة هو حقيقة توحيد:

(أ) الألوهية. (ب) الربوبية. (ج) الأسماء والصفات.

(٢) الإله هو المعبود، يدل على ذلك:

(أ) إجماع العرب.

(ب) قراءة ابن عباس «ويذرك...»

(ج) جميع ما سبق.

(٣) النفي والإثبات هما:

(أ) شروط لا إله إلا الله

(ب) أركان لا إله إلا الله.

(ج) واجبات لا إله إلا الله.

س٥: ما الهدف من دراسة توحيد الالوهية؟

س٦: عرف (توحيد الألوهية) باعتبار مفرداته، وباعتباره مركبًا.

س٧: هل (توحيد الألوهية) و(توحيد العبادة) بمعنى واحد؟ ولِمَ؟



أدلة تفسير كلمة التوحيد

دلَّ على صحة تفسير كلمة التوحيد بالمعنى الذي سبق تقريره أدلة عديدة، أشير إلى طرف منها زيادة على ما سبق؛ لمزيد البيان والتوضيح:

❁ الدليل الأول: واقع كفار قريش:

فالمتأمل لنصوص الكتاب والسنة يجد أن كفار قريش لم يكونوا ينكرون اختصاص الرب سبحانه بالربوبية، وكمال الأسماء والصفات، فقد دلَّت الأدلة على إقرارهم وإيمانهم بهذا، وإنما خالفوه ﷺ، ولم يقبلوا الإقرار بإفراد الله بالعبادة وترك صرف العبادة لغير الله تعالى، فحين قال لهم قولوا: (لا إله إلا الله)، قالوا قولتهم التي ذكرها الله عنهم بقوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[ص:٥]، فإقرارهم بأنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ثم استنكارهم لكلمة التوحيد دليل على أنهم فهموا أن المراد من لا إله إلا الله أمران:

الأول: عدم صرف العبادة لغير الله تعالى.

الثاني: عبادة الله وحده.

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا، فَيَكُونَ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطَئُوا عَقِبَهُ[1]، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا

(١) أي: يسيرون في أثره، ويكون سيدًا عليهم.

صَلَاحٌ. قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً: اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: «حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي» فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١] السُّورَةُ، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر:٦٤]... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٦]»[1].

فحين علم كفار قريش معنى الشهادتين عرضوا على النبي ﷺ مقاسمة العبادة سنة وسنة، وظنُّوا ذلك أمرًا وسطًا، والحق أن الوسط: لزوم ما جاء عن الله تعالى، فليس كل قسمة في الظاهر هي الوسط.

وقال تعالى في إثبات إيمان كفار قريش الإجمالي بالربوبية والأسماء والصفات: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩].

✍ قال ابن عطية ؒ: ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض في أمرهم، وذلك أنهم يقرون أن الخالق الموجد لهم وللسماوات والأرض هو الله تعالى، وهم مع ذلك يعبدون أصنامًا ويدعونها آلهتهم، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا «خلقهن الله» فلما ذكر تعالى المعنى جاءت العبارة عن الله بـ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ليكون ذلك توطئة لما عدد بعد من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش»[2].

۞ الدليل الثاني: فهم الصحابة ؓ لمعنى (لا إله إلا الله):

فقد دلت الأدلة المروية عن الصحابة الكرام، وهم الذين شهدوا التنزيل، والذين نزل القرآن بلغتهم على أنهم فهموا أن معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٦٢).
(٢) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٤١).

الله) «لا معبود بحق إلا الله»، فهذا هو المعنى الذي استقرَّ في أذهانهم، وبه فسروا نصوص الكتاب والسنة الواردة في معنى هذه الكلمة العظيمة، ومن الشواهد الدالة على تقرر هذا المعنى لديهم رضوان الله عليهم:

أولًا: ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ في سؤال جبريل ﷺ للنبي ﷺ وجواب النبي ﷺ له، فقال جبريل: **«ما الإسلام؟»** فقال النبي ﷺ: **«الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة...»**[1].

ثانيًا: ما في حديث عمر ﷺ قال جبريل: «ما الإسلام» فقال النبي ﷺ **«تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»**[2].

ثالثًا: ما رواه ابن عمر ﷺ مرفوعًا: **«بني الإسلام على خمس: على أن يُوحد الله...»**[3] الحديث، وفي رواية **«على أن يُعبد الله»**[4]، وفي رواية: **«على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله»**[5]، فألفاظ هذه الروايات مختلفة، لكن معناها متفق على الدلالة على حقيقة واحدة، فهي روايات تفسر بعضُها بعضًا.

✍ **قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»**: «وقد عبَّر في حديث عمر هنا بقوله: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فدلَّ على أن المراد بالعبادة في حديث الباب: النطق بالشهادتين...، ولما عبر الراوي بالعبادة؛ احتاج أن يوضحها بقوله: «ولا تشرك به شيئًا»، ولم يحتج إليها في رواية عمر؛ لاستلزامها ذلك» أي: لاستلزام «لا إله إلا الله» نفي الشرك.

(١) «صحيح البخاري» حديث رقم (٥٠)، (٤٧٧٧)، «صحيح مسلم» حديث رقم (٩).
(٢) «صحيح مسلم» حديث رقم (٨).
(٣) «صحيح مسلم» حديث رقم (١٦).
(٤) «صحيح مسلم» حديث رقم (١٦).
(٥) «صحيح البخاري» (٨)، «صحيح مسلم» حديث رقم (١٦).

الدليل الثالث: دلالة الكتاب على تفسير كلمة التوحيد بأنه «لا معبود بحق إلا الله».

فالآيات القرآنية فيها الدلالة الواضحة الجلية على أن حقيقة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله، فهذا المعنى أشارت إليه آيات الكتاب إشارات واضحة لمن تأملها، ومن ذلك:

أولًا: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزخرف: ٢٦-٢٨].

ففي الآية نفي وإثبات؛ نفي لكل معبود، وإثبات لمعبود واحد هو الله، وكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، نفي لكل معبود وإثبات العبادة لله وحده.

والمتأمل يجد أن الكلمة التي قالها إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾.

ومثلها قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ ﷻ»[1].

فاشتملت الآية، والحديث النبوي على ركني «لا إله إلا الله» اللَّذَين بهما يتحقق معناها، ويدخل بهما الإنسان الإسلام، ويخلع ثوب الكفر، والإشراك بالله تعالى، فمن أقر بلا إله إلا الله وجب عليه إفراد الله وحده بالعبادة.

وقوله ﷺ «وحسابه على الله»، أي إن الله ﷻ هو الذي يتولى حسابه، فإن كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا عذبه العذاب الأليم. وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد ولم يأت بما ينافيه ظاهرًا،

(١) رواه مسلم حديث رقم (٣٧) عن أبي مالك الأشجعي سعد بن طارق، عن أبيه مرفوعًا.

والتزم شرائع الإسلام، وجب الكف عنه، ولا ندخل في نيته.

قال العيني رحمه الله: «قوله: (وحسابه على الله) وفي رواية غيره: (وحسابهم على الله) أي: فيما يُسرُّون به من الكفر والمعاصي، والمعنى: أنا نحكم عليهم بالإيمان، ونؤاخذهم بحقوق الإسلام بحسب ما يقتضيه ظاهر حالهم، والله تعالى يتولى حسابهم، فيثيب المخلص ويعاقب المنافق»(١).

ومتى تدبر العاقل المريد للحق كلام الله سبحانه، وسنة نبيه ﷺ وجد فيهما الدلالات الواضحات التي تقرر هذا المعنى بجلاء، وتقيم الحجة على إبطال كل معنى لكلمة التوحيد يخالف ذلك.

الدليل الرابع: تفسير المفسرين.

فعلى سبيل المثال -لا الحصر- أشير لبعض تفاسير السلف للآيات المتعلقة بكلمة التوحيد، والتي تؤكد ما سبق تقريره في تفسير معنى «لا إله إلا الله»، فمن ذلك:

أولًا: تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

قال الطبري رحمه الله: «قد بينا فيما مضى معنى «الألوهية»، وأنها اعتباد الخلق فمعنى قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]: الذي يستحق عَليكم أيها الناس الطاعةَ له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد، فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنَّ مَنْ تُشركونه معه في عبادتكم إياه هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ وَلا نَظير»(٢).

---

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٤٥).
(٢) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٦٥).

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

✍ **قال الطبري** ﷫: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء»[١].

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴾ [النمل:٢٦].

✍ **قال الطبري:** «الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئًا»[٢].

✍ **وقال البغوي:** «أي: هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره»[٣].



---

(١) «تفسير الطبري» ص (٢٢/ ١٧٣).
(٢) «تفسير الطبري» ص (١٨/ ٢٨٣).
(٣) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» ص (٣/ ٥٠٠).

تدريب

س١: هل كان كفار قريش ينكرون وجود الله؟ دلل على قولك.

س٢: كيف فهم الصحابة ﷺ معنى (لا إله إلا الله)؟

س٣: اذكر من الآيات ما يدل على أن معنى (لا إله إلا الله) «لا معبود بحق إلا الله».

س٤: ماذا يحرم من المسلم إذا نطق بالشهادة؟

س٥: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) دلت نصوص الكتاب والسنة على أن كفار قريش تنكر:

(أ) أن الله هو الخالق.

(ب) أن الله هو القادر

(ج) أن الله هو المعبود وحده.

(٢) فهم الصحابة الكرام أن «لا إله إلا الله» تدل على:

(أ) لا معبود بحق إلا الله.

(ب) أنه لا خالق إلا الله

(ج) جميع ما سبق.



المطلب الثاني

موضوع توحيد الألوهية

❁ موضوع توحيد الألوهية:

هو معرفة حق الله تعالى على عباده، ومعرفة حقيقة العبادة الواجب صرفها له سبحانه دون مَن سواه؛ لِمَا له من الكمال المطلق في ربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وبيان أن ما سواه من المعبودات مربوب ناقص، ولبيان هذه الحقائق، ومعرفة ما يختص به سبحانه، من التأله، ووجوب استحقاقه سبحانه للعبادة، وجب بيان حقيقة معنى العبادة لغة وشرعًا، وأدلة ذلك، فببيان ذلك تتضح به المعاني الواجب إخلاصها لله تعالى، وحده لا شريك له، وحقائقها، وحدودها، وهذا التحقيق من الواجب تربية الناس عليه، فكثير من الخلاف في أبواب توحيد العبادة ناشئ من عدم تحقيق مسائلها تحقيقًا يتبين به حدُّ العبادة التي لا تُصرف إلا لله وأنواعها، ويفرق بين مشترك الأفعال والمعاني، فيُعرف حدُّ حق الله الخاص منها، وحدود ما يمكن أن يصرف للعباد

❁ تعريف العبادة:

◊ العبادة لغة:

الـذُّلُّ والخضوعُ، في «الصحاح»: «وأصل العُبودِيَّةِ الخضوعُ والذلُّ. والتعبيدُ: التذليلُ يقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ»(١).

(١) «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري =

✍ وفي «تهذيب اللغة»: «وَمعنى الْعِبَادَة فِي اللُّغَة: الطَّاعَة مَعَ الخضوع. وَيُقَال: طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كَانَ مذلَّلًا بِكَثْرَة الْوَطْء»[(١)].

✍ وفي «لسان العرب»: «وأَصل العُبودِيَّة الخُضوع والتذلُّل»[(٢)].

وهذا المعنى الذي قرره علماء اللغة، لمفردة العبادة، هو ما نقله شيخ المفسرين: الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري، فقد قال: «معنى العبادة: الخضوعُ لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة»[(٣)].

ونقل إجماع العرب على ذلك، فقال ﷺ: «العبودية، عندَ جميع العرب أصلُها الذلَّة، وأنها تُسمي الطريقَ المذلَّلَ الذي قد وَطِأَتْهُ الأقدام، وذلّلته السابلة: معبَّدًا. ومن ذلك قولَ طَرَفَة بن العَبْد:

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجياتٍ وأَتْبَعت ... وَظِيفًا وظيفًا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ[(٤)]

يعني بالمؤر: الطريق. وبالمعبَّد: المذلَّل الموطوء. ومن ذلك قيل للبعير المذلّل بالركوب في الحوائج: معبَّد. ومنه سُمي العبْدُ عبدًا؛ لذِلّته لمولاه. والشواهد على ذلك - من أشعار العرب وكلامها- أكثرُ من أن تُحصى، وفيما ذكرناه كفاية لمن وُفّق لفهمه إن شاء الله تعالى»[(٥)].

= الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧ هـ) (٢/ ٥٠٣).

(١) «تهذيب اللغة»، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، (٢٠٠١م) (٢/ ١٣٨).

(٢) «لسان العرب» (٣/ ٢٧١).

(٣) «جامع البيان» (١/ ٣٦٢-٣٧٣).

(٤) «ديوان طرفة بن العبد» (ص ٢٠).

(٥) «جامع البيان» (١/ ١٥٧).

وهنا ملحظ يجب التنبيه عليه، ورفع ما قد يتضمنه من لَبْس، يلاحظ القارئ في تعريف مفردة العبادة، وبيان حقيقتها في لغة العرب تضمن معناها الذلة والخضوع، وأن الطاعة والاستكانة من لوازمها، كما قرر ذلك علماء اللغة، ومن المعلوم أن العبد المملوك سُمِّي عبدًا لخضوعه لسيده وتذلله له، وهنا يرد سؤال عن الفرق بين المقامين: مقام التذلل الذي يكون عبادة ولا يجوز صرفه إلا لله، ومقام التذلل الذي يصرفه العبد لسيِّده، وهذا يدعو لضرورة معرفة الضوابط التي تفرِّق بين العبادة لله وعبودية المملوك لسيده، **وهي على النحو التالي:**

الضابط الأول: أن الخضوع والتذلل لله اختيارًا، فالعابد يقوم بعباداته اختيارًا تذللًا لله.

الضابط الثاني: أن يكون خاضعًا بقلبه غاية الخضوع والتذلل منقادًا بجوارحه مستسلمًا لربه مفتقرًا إليه، معتقدًا وجوب ذلك عليه.

الضابط الثالث: أن يجمع مع غاية الذل والخضوع غاية الحب لله.

فهذا هو خضوع العبودية لله تعالى؛ فليس كل خضوع أوجب ذلة ومسكنة عبادة، فثم خضوع لأجل مصلحة دنيوية، وخضوع بسبب القهر، وأما خضوع العبادة فهو خضوع اختياري، مع كمال المحبة.

◈ **تعريف العبادة شرعًا:**

✍ **عرَّفها شيخ الإسلام بقوله:** «الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لكلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة»(١).

---

(١) «العبودية»، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفي: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد زهير الشاويش -الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: السابعة المجددة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (ص٤٤).

وهذا التعريف بالنظر إلى المتعبَّد به أي: بالنظر للأفعال التي يتعبد به العباد لله تعالى، وأما بالنظر إلى فعل العبد وحاله، فتعريف العبادة: **«غاية الذل والخضوع والطاعة مع غاية الحب لله تعالى»**.

فالعبادةُ حقيقةٌ شرعيةٌ تتضمن معنى الذل والحب، فالخضوع الذي يصاحبه البغض لا يُسمى عبادة شرعًا، ومَن أحبَّ ولم يخضع لم يأت بالمعنى الشرعي للعبادة.

فالعبادة شرعًا: ما اجتمع فيه الخضوع التام مع كمال المحبة، ولا يكفي أحدهما، بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظمَ عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله»[١].

يتلخص لنا مما سبق الأمور التي يسترشد بها العبد في معرفة ماهية الأفعال التي تسمى عبادة.

الأمر الأول: أمر الله تعالى بفعل العمل.

الأمر الثاني: أمر الله تعالى بإخلاص النية له في العمل.

الأمر الثالث: نهيه تعالى عن الإشراك معه في هذا العمل.

الأمر الرابع: ذمه تعالى من أشرك معه غيره في ذلك العمل، بما يدل على ذم الفاعل، ذلك ككونه ظالمًا لنفسه أو معتديًا، وما إلى ذلك من أوصاف تشعر بذم الإشراك في هذا العمل.

الأمر الخامس: وصف العمل بأنه من الدين.

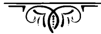
الأمر السادس: ثناؤه تعالى على القائمين بهذا العمل.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٥٣).

الأمر السابع: أنه جعله من شروط تحقق الإيمان.

فهذه بعض الضوابط التي قد تُعين الإنسانَ في معرفة العمل؛ هل هو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله أوْ أنها ليست عبادة.



موضوع توحيد الألوهية

معرفة حق الله تعالى على عباده، ومعرفة حقيقة العبادة الواجب صرفها له سبحانه دون مَن سواه

والعبادة:

تعريفها:

- **لغة:** الذل والخضوع
- **شرعًا:**
  - **أ- باعتبار المتعبد به:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة
  - **ب- باعتبار فعل العبد وحاله:** غاية الذل والخضوع والطاعة مع غاية الحب لله تعالى

ضوابط تُعرف بها:

١- أمر الله تعالى بفعل العمل.

٢- أمره بإخلاص النية له في العمل.

٣- نهيه تعالى عن الإشراك معه في هذا العمل.

٤- ذمه تعالى من أشرك معه غيره في ذلك العمل، بما يدل على ذم الفاعل

٥- وصف العمل بأنه من الدين.

٦- ثناؤه تعالى على القائمين بهذا العمل.

٧- أنه جعله من شروط تحقق الإيمان

تدريب

س١: ما حق الله على العباد؟

س٢: ما معنى العبادة؟

س٣: ما الضوابط التي تفرق بين العبادة لله وعبودية المملوك لسيده؟

س٤: اذكر بعض الأمور التي قد تُعين الإنسانَ في معرفة العمل؛ هل هو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله أوْ لَا؟

س٥: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) في قوله تعالى ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧] دليل على:

(أ) أن النذر عبادة.

(ب) أن النذر مستحب.

(ج) أن النذر ليس عبادة.

(٢) في قوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء:٢١٣] دليل على:

(أ) أن الدعاء ليس عبادة.

(ب) أن الدعاء عبادة.

(ج) لا شيء مما سبق.



الأسئلة

(١) ما موضوع توحيد الألوهية؟

(٢) عرف (العبادة) لغة واصطلاحا.



المطلب الثالث

أهمية توحيد الألوهية

توحيد الألوهية أساسُ دعوة الرسل، من أولهم نوح ﷺ إلى آخرهم نبيِّنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه؛ ولأجل الدعوة إليه والحض عليه، أرسل اللهُ الرسلَ، وأنزل الكتب.

وأَوْجُهُ أهميتِهِ ومكانته في العاجل والآجل في حياة العباد، وأثره على الحياة الخاصة للإنسان، والمجتمع كثيرة، نشير في هذا الموضع لبعضها على النحو التالي:

❁ **أولًا: بتحقيق الألوهية يتحقق المقصود من خلق العباد:**

فقد دلَّت الأدلةُ من الكتاب والسنة أن الغاية من خلق الجن والإنس إفراد الله تعالى بالعبادة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فاللام في قوله تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: للتعليل وبيان الحكمة وليست لام العاقبة أو الصيرورة، لأن لام العاقبةِ إنَّما تكون في كلام من يجهل العاقبة أو لا يستطيع دفعها، كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ [القصص:٨]. فاللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ﴾ لام العاقبة، لما علم أنه ليس القصد من التقاطه أن يكون عدوًّا لهم، فجاءت اللام مبينة ما يؤول إليه حاله وحالهم، وأنه سوف يكون لهم عدوًّا، وهذا في حق الله تعالى محالٌ، فالله سبحانه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وعليه يستحيل في حقه سبحانه دخول لام العاقبة

والصيرورة في أفعاله وأحكامه، فإن وردت فاللام في أفعاله وأحكامه سبحانه لام الحكمة والغاية المطلوبة[1].

وبهذا يتبين أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ لبيان الحكمة، أي: أن الحكمة من خلق الجن والإنس عبادة الله وحده لا شريك له، فعبادة الله هي الغاية التي خُلِق الناسُ لتحقيقها والقيام بها، فالمراد من خلق الثقلين: إفراده سبحانه بالعبادة.

ولا يشكل على هذا ما قد نرى من حصول أمور تخالف ما يريده الله من عباده شرعًا، أو عدم وقوع ما يريده الله شرعًا؛ لأن إرادة الله تعالى نوعان:

النوع الأول: إرادة كونية قدرية.

النوع الثاني: إرادة دينية شرعية.

والمراد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] الإرادة الشرعية، وليست الكونية، ولا تلازم بين الحصول، أو عدم الحصول، وبين إرادته شرعًا، فكون بعض العباد لم يلتزم بمقتضى الإرادة الشرعية فيما يخص عبادة الله لا يعني أنه تعالى لم يرد ذلك شرعًا، وأنها الحكمة من خلق الجن والإنس.

والإرادة الكونية هي الواردة في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود:١١٨، ١١٩].

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فهذه إرادة الكونية أي أن من سنة الله الكونية في الخلق أنه خلقهم منهم الكافر، ومنهم المؤمن؛ ولذلك هم مختلفون.

(١) انظر: «تفسير ابن عطية»، و«تفسير التحرير والتنوير».

ولتوضيح هذه المسألة أُبيِّنُ الفرْقَ بين الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية في النقاط التالية:

أولًا: الإرادة الكونية بمعنى المشيئة؛ أي أنه سبحانه شاء ذلك وأراده كونًا وقدرًا، وحكمها أنها تقع لا محالة قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

ثانيًا: الإرادة الشرعية بمعنى المحبة؛ أي أنه سبحانه أحب ذلك ورضيه وأمر به، وحكمها أنها قد تقع، وقد لا تقع قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧].

❁ ثانيًا: أن تحقيق توحيد الألوهية تحقيق للغاية التي أرسل الله الرسل من أجلها:

فمِنَ الأوجه الجلية الدالة على أهمية ومكانة توحيد الألوهية، أن بتحقيقها تتحقق الغاية التي أُرسل الرسلُ من أجل الدعوة إليها والتذكير بها قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

✍ **قال ابن كثير** رحمه الله: «وبعث في كل أمة رسولًا، أي: في كل قرن من الناس وطائفة رسولًا، وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾، فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسلَ بذلك، منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أُرسل إليهم نوحٌ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم يدعون إلى التوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]»[١].

فهذه الآية جمع الله سبحانه فيها بين النفي والإثبات ﴿أَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

والطاغوت: وصف يصدق على «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع»[٢].

فمن تجاوز حدَّه ودعا إلى عبادة نفسه فقد اتَّخذ نفسه طاغوتًا، ومن عبده من الأتباع فقد تجاوز حدَّه، واتخذ لنفسه طاغوتًا من دون الله، **فيختلف الحكم في وصف المعبود بكونه طاغوتًا باختلاف حال المعبود على النحو التالي:**

من جهة العبد، فكلُّ مَن عَبَدَ غير الله فقد اتخذ طاغوتًا من دون الله، والمعبود لا يخلو من حالتين:

- معبودات ذات إرادة كالإنسان والملائكة.
- معبودات ليست لها إرادة كالجمادات، وما في حكمها من الحيوانات.

فكل معبود ليست له إرادة كالأحجار والأشجار والقبور والأصنام، والحيوانات، فيسمَّى طاغوتًا؛ لكونه اتُّخِذ إلهًا من دون الله.

وكل معبود ذي إرادة عُبد من دون الله برضاه كإبليس وفرعون، فيسمَّى طاغوتًا من جهتين: من جهة كونه دعا إلى عبادة نفسه، ومن جهة أنه اتخذ إلهًا من دون لله.

(١) «تفسير ابن كثير» ٤/ ٥٧٠.

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ١/ ٤٠.

وإن لم يكن راضيًا كالأنبياء والملائكة والصالحين، فلا يسمى طاغوتًا، وإنما يُسمى مَن عَبَدَهُ بأنه اتَّخذ طاغوتًا من دون الله؛ لأنه اتخذه إلهًا من دون الله.

ورؤوس الطواغيت تعود لخمسة أحوال:

◈ مَن دعا إلى ضلالة وكُفْرٍ كالشيطان.

◈ مَن حكم بغير ما أنزل الله.

◈ مَن ادَّعى علم الغيب كالكهان والسحار.

◈ مَن ادَّعى إلى عبادة نفسه كفرعون.

◈ مَن عُبد من دون الله وهو راضٍ.

الخلاصة:

أن توحيد الألوهية عليه مدار دعوة الرسل جميعهم، وهذا يدل على مكانته وأهمية تعلُّمه.

ثالثًا: الأمر بتوحيد الألوهية.

فمن الأوجه التي تتجلى بها أهمية توحيد الألوهية الأمر به، فقد أمر اللهُ به في كتابه في غير آية، ونهى عن كل ما يضاده، وفي هذا تنبيه لأهميته.

من الآيات التي جاء الأمر بتوحيد الألوهية:

◈ قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

قال ابن عطية ﷺ: ﴿قَضَىٰ﴾ في هذه الآية هي بمعنى أَمَرَ وأَلْزَمَ وأَوْجَبَ

عليكم، وهكذا قال الناس»[1]، فالله سبحانه أمر بعبادته وحده سبحانه.

◊ وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦] قال ابن كثير ﵀: «يأمر ﷻ بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات[2] والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته»[3].

◊ وقال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [الأنعام:١٥١] فنهى عن ضد التوحيد وهو الشرك بالله.

✍ **قال الطبري** ﵀: «قل يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الزاعمين أن الله حرَّم عليهم ما هم محرِّموه من حروثهم وأنعامهم، على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك: تعالوا، أيها القوم، أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقًّا يقينًا، لا الباطل تخرُّصًا، تخرُّصَكم على الله الكذبَ والفريةَ ظنًّا، ولكن وحيًا من الله أوحاه إليّ، وتنزيلًا أنزله عليَّ: ألَّا تشركوا بالله شيئًا من خلقه، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام، ولا تعبدوا شيئًا سواه»[4].

و﴿شَيۡـٔٗا﴾: نكرة جاءت في سياق النهي، فتعم كل ما يُشرك به صغيرًا كان أو كبيرًا، ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا.

---

(١) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - (١٤٢٢هـ) (٣/ ٤٤٧).

(٢) أي: الأوقات.

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلام، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م).

(٤) «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥) - طبعة مؤسسة الرسالة - تحقيق وتخريج: أحمد محمد شاكر، ومحمود شاكر.

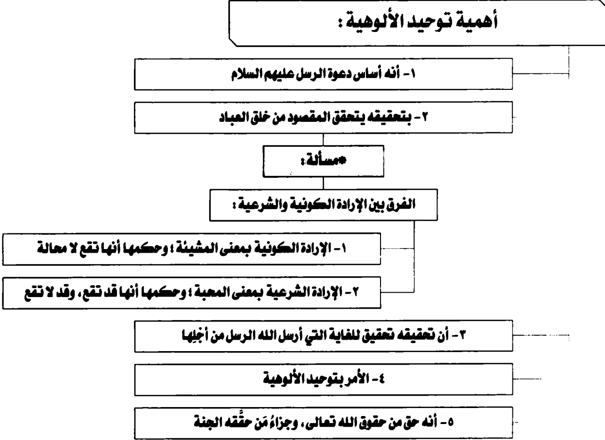
❁ **رابعًا: أن توحيد الألوهية حق من حقوق الله تعالى، وجزاءُ مَن حقَّقه الجنة.**

إفراد الله بالعبادة والتجرد من الشرك حقٌّ للهِ تعالى على عباده وجزاؤه الجنة، فَعَنْ مُعَاذٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»[1].

فاعتبار توحيد الألوهية حقًّا لله تعالى، والوعد بالجنة لمن أتى بهذا الحق فيه دليلٌ واضحٌ جليٌّ على أهميته، وأنه مما يجب على العباد العناية به، والتفقه في أحكامه ونواقضه، فأيُّ حقٍّ أعظم وأجلّ من حق الله تعالى؟!



(١) متفق عليه، رواه: البخاري حديث رقم (٢٨٥٦)، ومسلم حديث رقم (٤٩).


أهمية توحيد الألوهية :
١- أنه أساس دعوة الرسل عليهم السلام
٢- بتحقيقه يتحقق المقصود من خلق العباد
*مسألة :
الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية :
١- الإرادة الكونية بمعنى المشيئة ؛ وحكمها أنها تقع لا محالة
٢- الإرادة الشرعية بمعنى المحبة ؛ وحكمها أنها قد تقع، وقد لا تقع
٣- أن تحقيقه تحقيق للغاية التي أرسل الله الرسل من أجلِها
٤- الأمر بتوحيد الألوهية
٥- أنه حق من حقوق الله تعالى، وجزاءُ مَن حقَّقه الجنة

تدريب

س١: ما الفرق بين الإرادة الشرعية، والإرادة الكونية؟

س٢: هل كل ما عُبد من دون الله مصيره النار؟ اشرح ما تقول بإيجاز.

س٣: ما الدليل من القرآن والسنة على وجوب عبادة الله وحده؟ اذكر خمسة أدلة فقط.



الأسئلة

(١) اذكر أهمية توحيد الألوهية بإيجاز.

(٢) ما معنى (الطاغوت)؟ وهل كل معبود يسمى طاغوتًا؟ دلل على ما تقول.

(٣) رؤوس الطواغيت تعود لخمسة أحوال، اذكرها.



المطلب الرابع

فضل توحيد الألوهية وثمراته

جعل اللهُ للتوحيد فضائلَ جمة، وثمارًا جليلة في الدنيا والآخرة، فمن فوائد التوحيد الحسية والمعنوية، التي دلت عليها نصوص الوحيين ما يلي:

أولًا: الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة:

فمتى حقَّق العبدُ التوحيدَ، وعمل بمقتضاه في حياته، تحقق له ما وعده الله به من الأمن، والهداية قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

والأمن في الآية الكريمة أمنٌ شاملٌ للأمن الحسيِّ، والمعنويِّ، ووجه تحقق الأمن بتحقق التوحيد: أن العبد حين يحقق التوحيد، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله شرع له الأخذ بالأسباب، فيسعى في حدود ما شرع الله، ويَكِلُ مَا وراء ذلك لمسبب الأسباب، فيحصل له من الأمن والاستقرار النفسي ما لا يخشى معه إلا الله، فلا يحمله الخوف على الرزق على ترك مراد الله تعالى، فهو آمن أمنًا نفسيًّا في الدنيا؛ قد تساوت عنده الأمور، وآمن في الآخرة من الفزع الأكبر.

وللعلماء في تفسير الظلم في هذه الآية قولان:

القول الأول: أنه الشرك بالله تعالى؛ فهذه الآية لما نزلت شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «**لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ** ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ

ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾»(١).

قال ابن كثير ﷺ: «وقوله: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٨١] أي: فأيُّ الطائفتين أصوب؟ الذي عَبَدَ مَن بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢] أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة»(٢).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢] الآية، المراد بالظلم هنا الشرك، كما ثبت عن النبي ﷺ في «صحيح البخاري» من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ وقد بيَّنَهُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]، وقوله: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦]»(٣).

القول الثاني: أنه الذنب، قال الإمام الطبري: «وقال آخرون: بل معنى ذلك: «ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، وذلك: فعلُ ما نهى الله عن فعله، أو ترك ما أمر الله بفعله، وقالوا: الآية على العموم؛ لأن الله لم

(١) «صحيح البخاري» حديث رقم (٣٤٢٩)، ومسلم حديث رقم (١٢٤) من حديث ابن مسعود.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية (١٤٢٠هـ).

(٣) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، عام النشر: (١٤١٥ هـ) (١/ ٤٨٦).

يخصَّ به معنى من معاني الظلم»[1].

والذين قالوا بهذا القول قالوا: الحديث يدل على أن الشرك أعظم الذنوب، وهو سبب لذهاب الأمن، فالمشرك فاقدٌ للأمن بشكلٍ كليٍّ، والظالم لنفسه بما دون الشرك نقص الأمن والاهتداء بقدر ظلمه لنفسه، وحصل له من الأمن والاهتداء بقدر توحيده وإيمانه، فإذا بلغ مرتبة التوحيد الكامل؛ حصل له الأمن والاهتداء الكامل.

وقال ابن القيم ﵀: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

قال الصحابة: «وأينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال: ذلك الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»، فلما أشكل عليهم المراد بالظلم، فظنوا أن ظلم النفس داخل فيه، وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لم يكن آمنًا ولا مهتديًا، فأجابهم -صلوات الله وسلامه عليه- بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك. وهذا - واللهِ - هو الجواب الذي يشفي العليل، ويروي الغليل؛ فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق هما الأمن في الدنيا والآخرة، والهدى إلى الصراط المستقيم. فالظلمُ المطلقُ التامُّ رافعٌ للأمن وللاهتداء المطلق التام، ولا يمنع أن يكون الظلم مانعًا من مطلق الأمن ومطلق الهدى، فتأمله. فالمطلق للمطلق، والحصة للحصة»[2]. اهـ.

---

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن»، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، (١٤٢٠ هـ) (١١/ ٥٠٢).

(٢) «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة»، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن =

وعلى المعنيين؛ فالشرك داخل في معنى الظلم، فكلما كَمُل توحيدُ العبد حصل له الأمن والاهتداء بقدر توحيده.

ثانيًا: دخول الجنة:

من فضائل توحيد الألوهية وفوائد الالتزام به ظاهرًا وباطنًا دخول الجنة، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ(١) أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ(٢)، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ

= أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي ابن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٠٨هـ) (٣/ ١٠٥٨).

(١) قال الإمام أحمد ﷺ: «ولكن المعنى من قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١] فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: «كن»، فكان عيسى «بكن» وليس عيسى هو الكُنُ، ولَكِنْ بالكُنِّ كَانَ، فالكُنُّ من الله قول، وليس الكن مخلوقًا».

وقال الإمام الدارمي ﷺ: «فيقال لهذا المعارض: أوَيحتاج في هذا إلى تفسير ومخرج؟ قد عقل تفسيره عامة من آمن بالله أنه إذا أراد شيئًا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ومتى لا يقول له: «كن» لا يكون. فإذا قال: «كن» كان، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته، لا أنه نفس الكلمة التي خرجت منه، ولكن بالكلمة كان، فالكلمة من الله «كن» غير مخلوقة، والكائن بها مخلوق».

انظر: «الرد على الجهمية والزنادقة»، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى (ص١٢٦)، و«نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد»، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المحقق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) (٢/ ٦٧٥).

(٢) أي أنه ﷺ روح من الأرواح التي خلقها الله تعالى، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣].

الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»[1].

◈ **مراتب دخول الجنة:**

بالجمع بين نصوص الوعد- كحديث عبادة بن الصامت ﷺ السابق- والوعيد؛ يتبين أن دخول الجنة على مرتبتين أساسيتين:

◀ المرتبة الأولى: دخول الجنة دون سابقة عذاب.

◀ المرتبة الثانية: دخول الجنة بعد التطهر من الذنوب:

فمَنِ التزم بالتوحيد فهو داخل الجنة لا محالة، سواءً دخلها دخولًا ابتداءً أو دخلها دخولًا مسبوقًا بعذاب، فيخرج من النار ويدخل الجنة، وقوله ﷺ: **«أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»** لأهل العلم فيه تفسيران:

التفسير الأول: قالوا: أي أن صاحب التوحيد يدخل الجنة، سواء كان عمله صالحًا أو غير ذلك، فمآله إلى الجنة، فإن حسنة توحيد الألوهية تكفِّر ما يكون من الذنوب بإذن الله فيدخل الجنة.

التفسير الثاني: قالوا: إن صاحب التوحيد يدخل الجنة، ويكون في منازلها بحسب عمله، وعلى المعنيين فإنه داخل للجنة بإذن الله، وهذه ثمرة عظيمة كل مسلم يرجوها.

= وما يضاف إلى الله قسمان:

١- ما كان قائمًا بذاته (حسي)، فهذه إضافة تشريف، أو إضافة خلق، مثل: بيت الله، رسول الله، ناقة الله، سماء الله، أرض الله.

٢- ما لا يقوم بذاته (معنوي)، فهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، مثل: كلام الله، وجه الله.

(١) متفق عليه، رواه البخاري حديث رقم (٣٤٣٥)، ومسلم حديث رقم (٢٨).

ثالثًا: تكفير الذنوب:

من فوائد وثمار تحقيق التوحيد قولًا وفعلًا: تكفير الذنوب، يدل على ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ ﷻ:... يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(١).

فـ «يخبرنا الله ﷻ في هذا الحديث القدسي أن من مات مخلصًا توحيده لله، تاركًا جميع أنواع الشرك، فإن الله سيُبدِّل سيئاته بحسنات، حتى ولو كانت ذنوبه ملء الأرض أو قريبًا من ملئها»(٢)، وهو كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:٤٨]، وفي هذا الحديث والآية ردٌّ على الخوارج الذين يكفِّرون مرتكب الكبيرة.

رابعًا: تحريم دخول النار:

من فوائد التوحيد ومنافعه الجليلة على أهله القائمين بحقه اعتقادًا وعملًا بمقتضاه: أن الله حرَّم أجسادهم على النار، قال ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»(٣).

والمبتغي لا بد أن يُكمل وسائل البُغية، إذا أكملها حُرمت عليه النار تحريمًا مطلقًا، إن أتى بالحسنات على الوجه الأكمل، فالنار تحرم عليه تحريمًا مطلقًا، وإن أتى بشيء ناقص، فإن الابتغاء فيه نقص، فيكون تحريم

(١) الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣٨).

(٢) «الجديد في شرح كتاب التوحيد»، المؤلف: محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي، دراسة وتحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، الناشر: مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، (١٤٢٤هـ) (ص٤٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري حديث رقم (٤٢٥)، ومسلم حديث رقم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك.

النار عليه فيه نقص، لكن يمنعه ما معه من التوحيد من الخلود في النار[١].

◈ **شروط لا إله إلا الله:**

للانتفاع بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، وما وعد الله بها من جزيل الثواب لابد من تحقيق شروطها، وقد تنوعت عبارات أهل العلم في التعبير عنها، فسماها بعض أهل العلم «حقوقًا ولوازم»، وأجمل بعض أهل العلم في بيانها، وفصل آخرون[٢] غير أنهم - في الجملة- متفقون على أن لكلمة التوحيد شروطًا لا تقبل إلا بها.

روى البخاري معلقًا عن وهب ابن منبه أنه قيل له: « أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»[٣].

ورُوي أن الحسن البصري قال للفرزدق وهو يدفن امرأته: «ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، قال الحسن: نِعْم العدة، لكن لشهادة أن لا إله إلا الله شروطًا»[٤].

✍ **قال ابن رجب:** «قال طائفة من العلماء: إن كلمة التوحيد سبب مقتضى لدخول الجنة وللنجاة من النار، لكن له شروط... وقيل للحسن: إن

(١) انظر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» ص (١/ ٧٨)

(٢) ولعلماء السلف في ذكر شروط الشهادة طريقتان: مجملة ومفصلة؛ فالذين ذكروها مجملة قالوا: إنها مشروطة بالإتيان بالفرائض واجتناب الكبائر، أو هي مشروطة بالعلم بمعناها والعمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا. انظر: «مقاصد كتاب التوحيد» للدكتور عيسى السعدي ص (٦٢-٦٣).

(٣) البخاري، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله (٢/ ٧١).

(٤) «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول»، المؤلف: حافظ بن أحمد ابن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، (١٤١٠ هـ) (٢/ ٤٢٩).

ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدَّى حقَّها وفرضها، دخل الجنة»[(١)].

✍ **وقال الأوزاعي**: «لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنيَّة موافقة للسنة، فكان من مضى ممن سلف لا يفرِّقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسمٌ جامعٌ كما جمع هذه الأديان اسمها، وتصديقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله، فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، **ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه**، وكان في الآخرة من الخاسرين»[(٢)].

وقد أخذ أهل العلم هذه الشروط من استقراء نصوص الوحيين، فجعلها بعضهم ثمانية، وجعلها بعضهم سبعة، ومنهم من جعلها أربعة، وهذا الاختلاف في عددها ليس نتيجة اختلاف الأدلة في المسألة، وإنما سببه مسلك أهل العلم في الاختصار، فبعض أهل العلم يدخل بعض الشروط في بعض، والبعض فرق بينها والمراد واحد.

وهذه شروط كلمة التوحيد الثمانية التي استقر القول بها، أبين معناها وأدلتها؛ رجاء أن يكون في ذلك إعانة لأهل التوحيد على فهم هذه الكلمة العظيمة، والالتزام بمقتضاها:

(١) «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم»، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، (١٤٢٢هـ) (١/ ٥٢٢).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد بن سعد الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، (١٤٢٣هـ) (٥/ ٩٥٦).

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل

العلم: تصور المعلوم على ما هو عليه، فمن شروط كلمة التوحيد: تصور معناها ومعرفة مقتضاها.

قال العلامة المعلمي ﵀: «وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع والمعقول على أنَّه لا يكفي النطق بها بدون معرفة معناها»(١).

ومن أدلة هذا الشرط قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[محمد:١٩]، وبوب البخاري ﵀: (باب العلم قبل القول والعمل).

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[الزخرف:٨٦].

قال الطبري: «وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده»(٢).

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك.

اليقين: هو العلم الذي لا شك معه؛ فلا بد أن يمتلأ القلبُ يقينًا بمعنى كلمة التوحيد.

قال حافظ حكمي ﵀: «الثاني اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك»(٣).

قال السعدي ﵀: «واليقين أخص من العلم بأمرين:

الأول: أنه العلم الراسخ القوي الذي ليس عرضة للريب والشك

(١) «رفع الاشتباه» (٢/ ٤).
(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٦٦٢).
(٣) «معارج القبول» لحافظ حكمي (٢/ ٤١٩).

والموانع، ويكون علم يقين إذا ثبت بالخبر، وعين يقين إذا شاهدته العين والبصر، ولهذا يقال: ليس الخبر كالمعاينة، وحق يقين إذا ذاقه العبد وتحقق به.

الثاني: أن اليقين هو العلم الذي يحمل صاحبه على الطمأنينة بخبر الله»[١].

ودليل هذا الشرط: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

✍ **قال الطبري** رحمه الله: «إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدَّقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوّة نبيه ﷺ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكّ منه في وجوب ذلك عليه»[٢].

ومن أدلة هذا الشرط: قوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: **«فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»**[٣].

✍ **قال حافظ حكمي** رحمه الله: «فاشترط ﷺ لدخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنًا بها قلبُه غير شاكٍّ فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط»[٤].

---

(١) «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، المتوفى: (١٣٧٦هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ) (ص٣٥٩).

(٢) «تفسير ابن جرير الطبري» (٢٢/ ٣١٨).

(٣) «صحيح مسلم» حديث رقم (٥٢).

(٤) «معارج القبول» (٢/ ٤٢٠).

الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك

بعد علم العبد معنى كلمة التوحيد، وتصور معناها على حقيقته، الواجب عليه أن يقول هذه الكلمة قولًا وفعلًا مخلصًا لله تعالى، فبذلك يتحقق ما أشار إليه قوله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(١).

و«المقصود في الحديث: الإخلاص في قول لا إله إلا الله على وجه الخصوص، فلا يقصد بقولها إلا وجه الله دون أدنى شائبة من الشرك، ولا شك أن هذا يستتبع ويستلزم إخلاص العبادة كلها لله ﷻ»(٢).

وقال ﷺ في حديث عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(٣).

الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب

الصدق: الإبانة عما يخبر به على ما كان، «فيقولها صدقًا من قلبه يواطئ قلبه لسانه»(٤)، لا كفعل المنافقين الذين يقولونها دون صدق، فلا يطابق قولهم اعتقادهم، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:٨-١٠].

وقوله ﷺ: «ما مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ،

---

(١) «صحيح البخاري» حديث رقم (٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) «شهادة أن لا إله إلا الله»، المؤلف: د. صالح بن عبدالعزيز سندي، الناشر: دار الإمام مسلم- المدينة المنورة، الطبعة الثانية، (١٤٣٢هـ) (ص٧٨).

(٣) متفق عليه.

(٤) «معارج القبول» (٢/ ٤٢٢).

صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»[(١)].

«فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب»[(٢)].

◈ **مسألة: الفرق بين الإخلاص والصدق:**

الصدق والإخلاص بينهما تلازم، فلا يكون العبد مخلصًا حتى يكون صادقًا، ولا يكون صادقًا إلا وهو مخلص، والصدق ينافي الكذب والنفاق، والإخلاص ينافي الشرك.

✍ **قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن** ﷺ: «والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق... من قالها غير صادق في قوله، فإنها لا تنفعه لمخالفة القلب اللسان، كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك حال المشرك، فلا تُقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص»[(٣)].

◈ **الفرق بين الصدق واليقين**

الصدق واليقين بينهما تقارب، والصدق منافٍ للكذب الذي هو حال المنافقين، واليقين منافٍ للشك الذي هو كذلك من حال المنافقين

الشرط الخامس: القبول المنافي للرد

قبول العبد قولًا وفعلًا لمقتضى كلمة التوحيد بعد العلم بمعناها، وانعقاد قلبه بمعناها يقينًا من شروط لا إله إلا الله، فلا يصح إيمان العبد بها إلا بقبول جميع أخبار وأحكام الإسلام ظاهرًا وباطنًا، فلا يرد شيئًا مما جاء به النبي ﷺ

---

(١) رواه: البخاري حديث رقم (١٢٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) «معارج القبول» للشيخ حافظ حكمي (٢/ ٤٢٢).

(٣) «قرة عيون الموحدين» (ص١٨).

من الأخبار والأحكام، بل يقبلها جميعًا.

قال الإمام ابن باز ﷺ: «القبول لما دلت عليه، ومعناه: أن يقبل ما دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به»(١).

قال الله حكاية عن المشركين في عدم قبولهم لكلمة التوحيد: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات:٣٥-٣٧].

قال البغوي ﷺ: «يتكبرون عن كلمة التوحيد، ويمتنعون منها»(٢).

«والاستكبار: شدة الكبر، فالسين والتاء للمبالغة، أي: يتعاظمون عن أن يقبلوا ذلك من رجل مثلهم، ولك أن تجعل السين والتاء للطلب، أي: إظهار التكبر، أي يبدو عليهم التكبر والاشمئزاز من هذا القول»(٣).

الشرط السادس: الانقياد المنافي للترك

التسليم والانقياد لشرائع الإسلام الظاهرة والباطنة من لوازم الإيمان بكلمة التوحيد، ومن شروط قبولها، فالذي يقول: قبلتُ بهذه الكلمة لكني لا أنقاد لها ولما دلت عليه من نبذ الشرك وعبادة الله وحده والتزام شرائعه؛ فلا يصح أن يحكم على فعله هذا بالقبول لها.

---

(١) «مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز ﷺ»، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه: محمد بن سعد الشويعر (٧/ ٥٦).

(٢) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (تفسير البغوي)، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه عثمان جمعة ضميرية وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، (١٤١٧ هـ) (٧/ ٣٩).

(٣) «التحرير والتنوير»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: (١٩٨٤ هـ) (٢٣/ ١٠٧).

فمعنى هذا الشرط: «الانقياد لما دلت عليه من المعنى، بأن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق. فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقد لشريعته بل استكبر عن ذلك، فإنه لا يكون مسلمًا كإبليس وأمثاله»(١).

وقد دل على الاستسلام لها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

✍ **قال الطبري** ﵀: «ومن يُعبِّد وجهه متذللًا بالعبودة، مقرًّا له بالألوهة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقول: وهو مطيع لله في أمره ونهيه، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾»(٢).

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور:٤٧].

✍ **قال الواحدي** ﵀: «﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ قال مقاتل: صدقنا بتوحيد الله وبالرسول محمد أنَّه من الله ﴿وَأَطَعْنَا﴾ قولهما، يعني المنافقين يقولون هذا بألسنتهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ ثم يعرض عن طاعتهما طائفة منهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد قولهم آمنا»(٣).

✍ قال النسفي ﵀: «﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ بألسنتهم ﴿وَأَطَعْنَا﴾ الله والرسول ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله»(٤).

---

(١) «مجموع فتاوى ابن باز ﵀» (٧/ ٥٧).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٤٩-١٥٠).

(٣) «التفسير البسيط»، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، (١٤٣٠ هـ) (١٦/ ٣٣١).

(٤) «تفسير النسفي» (٢/ ٥١٢).

✍ وقال أبو السعود: «﴿وَأَطَعْنَا﴾ أيْ: أطَعْناها في الأمْرِ والنَّهْيِ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ عن قبول حُكمِه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد ما صدرَ عنهم ما صدرَ من ادِّعاءِ الإيمانِ باللهِ وبالرَّسولِ والطَّاعةِ لهما على التَّفصيلِ، وما في ذلك من معنى البُعد للإيذانِ بكونه أمرًا معتدًّا به واجبَ المُراعاةِ»(١).

◈ الفرق بين القبول والانقياد

الانقياد والقبول متلازمان، وقد قرنهما العلامة عبد الرحمن المعلمي في شرط واحد سماه (الالتزام)، قال ﷺ: «أن من شرط الاعتداد بشهادة أن لا إله إلا الله أن تقع على وجه الالتزام»(٢).

وبيَّن أنَّ مِن الأدلة على ذلك عدم إيمان عم النبي ﷺ مع علمه بمعنى الشهادتين واستيقانه بها ودفاعه عنها، إلا أنه ردها ولم يلتزم بها، وقصة هرقل وغير ذلك، فقبولها يوجب على من قالها الانقياد لما دلت عليه.

وبهذا يتضح أن قبول كلمة التوحيد ـ في الجملة ـ هو عمل قلبي يقع قبل الانقياد، فيقبل ما دلت عليه من معنى وما ألزمت به من شرائع الإسلام وأخباره، ثم ينقاد لها بتطبيق معناها ومقتضاها من الالتزام بالشرائع والأخبار، والقبول ينافيه الرد، والانقياد ينافيه الترك.

📄 الشرط السابع: المحبة المنافية لضدها

محبة كلمة (لا إله إلا الله) وما دلت عليه من معنى التوحيد وبغض الشرك، شرط للانتفاع بها، فيكون العبد محبًّا لله ورسوله مبغضًا للشرك ووسائله، مواليًا لله ورسوله والمؤمنين ومعاديًا للشرك والمشركين، كما قال

---

(١) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (٦/ ١٨٦).

(٢) «رفع الاشتباه» (١/ ٢١).

تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ والذين معه من الأنبياء أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

قال الطبري ﷺ: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، يقول: قدوة حسنة ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خليل الرحمن، تقتدون به، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من أنبياء الله... حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، من الآلهة والأنداد... ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله، وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا، وظهر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، يقول: حتى تصدّقوا بالله وحده، فتوحدوه، وتفردوه بالعبادة»(١).

وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة:١٦٥].

وقوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله

معنى الكفر بما يعبد من دون الله: البراءة مما يُعبد من دون الله، واعتقاد بطلانه، فذلك صريح الإيمان، ولا يتحقق إلا بذلك، فلا يصح إيمان من لم

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/٣١٧).

(٢) رواه البخاري حديث رقم (١٥) واللفظ له، رواه مسلم حديث رقم (٦٩).

يكفر بالطاغوت ويعتقد بطلانه.

قال العلامة ابن باز رحمه الله: (ومعناه أن يتبرأ من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] قال ﷺ: **«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»**(١))(٢).

خامسًا: دخول الجنة بغير حساب

من فوائد التوحيد على أهله القائمين بحقه المستقيمين على أمره سبحانه، أن من حقق التوحيد في عمله، بحيث لا يكون عمله إلا لله، وحققه في قلبه، فلا يلتفت لغير الله، فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال ﷺ: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»**، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **«مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟»** فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: **«هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»**، فَقَامَ عُكَّاشَةُ

(١) «صحيح مسلم» حديث رقم (٢٣).

(٢) «مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله»، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر (٧/ ٥٧).

بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: «**وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**» مع قوله: **هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

وقد نعت ﷺ هذه الفئة من أهل الإيمان بنعوت أربعة تدل أنها بلغت الغاية في تحقيق التوحيد:

أولًا: «**لا يسترقون**»: أي لا يطلبون من أحد أن يرقيهم؛ لشدة توكلهم على الله، وخوفًا من تعلق قلوبهم بغير الله، وعدم إذلال أنفسهم لغير الله.

ثانيًا: «**لا يكتوون**»: أي لا يفعلونه إما لكراهته، وإما ردًّا لاعتقاد الجاهلية بأن الكي يمنع المرض عن الصحيح المعافى، قال ابن قتيبة تعليقًا على قوله ﷺ: «**لَمْ يَتَوَكَّلْ مَنِ اكْتَوَى**»[2] «**كَيُّ**» الصحيح لئلا يعتل، كما يفعل كثير من أمم العجم، فإنهم يكوون ولدانهم وشبانهم من غير علة بهم، يرون أن ذلك الكي، يحفظ لهم الصحة، ويدفع عنهم الأسقام.... وكانت العرب تذهب هذا المذهب في جاهليتها، وتفعل شبيها بذلك في الإبل إذا وقعت النُّقَبَةُ فيها، وهو جرب، أو الْعُرُّ، وهو قروح تكون في وجوهها وَمَشَافِرِهَا، فتعمد إلى بعير منها صحيح، فتكويه ليبرأ منها ما به الْعَرُّ أو النُّقَبَةُ... وهذا هو الأمر الذي أبطله رسول الله ﷺ، وقال فيه: «**لَمْ يَتَوَكَّلْ مَنِ اكْتَوَى**»؛ لأنه ظن أن اكتواءه، وإفزاعه الطبيعة بالنار -وهو صحيح- يدفع عنه قدر الله تعالى ولو

(١) البخاري حديث رقم (٥٧٥٢)، مسلم حديث رقم (٣٧٤) واللفظ له من حديث ابن عباس ﷺ.

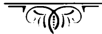
(٢) «مسند الإمام أحمد»، الحديث رقم (١٨٢٠٠)، ورقم (١٨٢١٧)، من حديث المغيرة بن شعبة، وحسنه شعيب الأرنؤوط

توكل عليه، وعلم أن لا منجى من قضائه، لم يتعالج -وهو صحيح- ولم يكوِ موضعًا لا علة به، ليبرأ العليل»[١].

ثالثًا: «**لا يتطيرون**»: التطير هو ما جمع انقباض القلب وتبعه عمل من المضي أو الرد، كما في حديث الفضل بن عباس: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ**»[٢] أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، فتمنعهم من المضي فيما أرادوا، بل يعتقدون أن الأمر كله بيد الله، وأن ذهاب الطير إلى اليمين أو اليسار ليس له أثر في القدر.

رابعًا: «**على ربهم يتوكلون**»: هذا علة لجميع ما سبق من الصفات والنعوت التي استحقت به هذه الفئة من المؤمنين ما دل عليه الحديث من فضيلة التوكل على الله، وعدم التفات القلب لغيره، فعدم الاكتواء والاسترقاء، والتطير، أمثلة لعظيم توكلهم واعتمادهم على مولاهم ﷻ وذُكرت هذه الأمثلة لكثرة وقوعها.

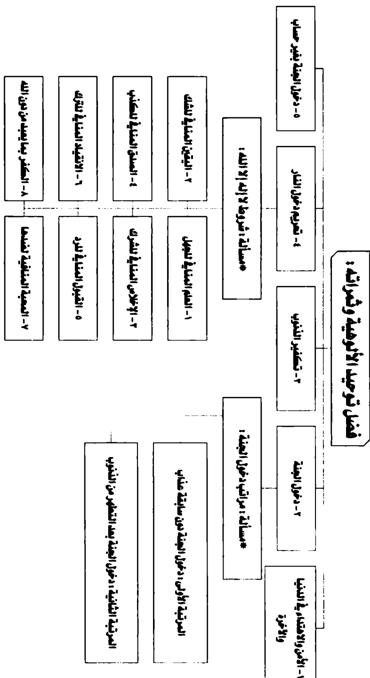
فمن حقَّق تمام التعلق بالله ولم يلتفت قلبه لغير الله؛ كان محققًا لكمال التوحيد المستحب، ومُكرمًا بدخول الجنة بغير حساب.



---

(١) «تأويل مختلف الحديث»، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراق، الطبعة: الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة (١٤١٩هـ) (ص٤٦١-٤٦٣).

(٢) «مسند أحمد» (١٨٢٤) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ابن علاثة- واسمه محمد بن عبد الله- قال البخاري: في حديثه نظر، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، ومسلمة الجهني- وهو ابن عبد الله- لم يوثقه غير ابن حبان، ثم هو لم يدرك الفضل بن عباس.


فضل توحيد الألوهية وثمراته :
١- الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة
٢- دخول الجنة
٣- تكفير الذنوب
٤- تحريم دخول النار
٥- دخول الجنة بغير حساب
*مسألة : مراتب دخول الجنة :
المرتبة الأولى : دخول الجنة دون سابقة عذاب
المرتبة الثانية : دخول الجنة بعد التطهر من الذنوب
*مسألة : شروط لا إله إلا الله :
١- العلم المنافي للجهل
٢- اليقين المنافي للشك
٣- الإخلاص المنافي للشرك
٤- الصدق المنافي للكذب
٥- القبول المنافي للرد
٦- الانقياد المنافي للترك
٧- المحبة المنافية لضدها
٨- الكفر بما يعبد من دون الله

مراتب الناس في تحقيق التوحيد

◊ **المرتبة الأولى: من كان معه أصل التوحيد:**

أي: الإيمان بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، مع الإيمان بأركان الإسلام والعمل بها مع التلبس بالمعاصي أو البدع أو الشرك الأصغر، والناس في هذه المرتبة هم على صنفين:

الصنف الأول: معه أصل التوحيد، ولكنه متلبس ببعض البدع والمعاصي ولم يقع في الشرك الأصغر، فهذا تحت المشيئة إن شاء الله غفر له ورحمه بفضله، وإن شاء عذبه ما شاء بعدله ثم مصيره إلى الجنة، فهذا له مطلق الأمن لما معه من التوحيد.

الصنف الثاني: معه أصل التوحيد، ولكنه وقع في الشرك الأصغر، والصواب من قولي العلماء: أن الشرك الأصغر لا يكون تحت المشيئة بل لا يغفره الله، وإنما يكون ضمن الأعمال التي توزن فترجح إحدى كفتي الميزان، ويكفر بمكفرات الذنوب الأخرى، فإن عذب صاحبه في النار، فإن مصيره إلى الجنة، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

فعموم الآية يشمل الشرك الأصغر عند المحققين من أهل العلم، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** ؒ: إن الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، لعموم قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨] و«أن يشرك به» مؤول بمصدر

تقديره: شركا به، وهو نكرة في سياق النفي، فيفيد العموم[1] وقيل بخلاف ذلك، وأن الآية في الشرك الأكبر، فلا تتناول الشرك الأصغر، والخلاف يدل على عِظَم شأن الشرك الأصغر، فيجب على العبد أن يكون منه على حذر، وأن يسعى في تحقيق التوحيد، وأن يخاف من الشوائب التي تشوب حقيقة التوحيد[2].

◈ **المرتبة الثانية: من كان معه كمال التوحيد الواجب:**

أي تحقيق أصل التوحيد مع ترك البدع والمعاصي والشرك بنوعيه، ونحو ذلك مما ينقص التوحيد، فهذه المرتبة هي مرتبة تحقيق كمال التوحيد الواجب، فصاحبها يحصل له الأمن التام من عذاب الله تعالى؛ لقوله ﷺ بقوله: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[3]، فمن بلغ هذه المرتبة حرَّمه الله على النار؛ بفضل ما معه من التوحيد الواجب.

◈ **المرتبة الثالثة: من كان معه كمال التوحيد المستحب:**

أي تحقيق كمال التوحيد الواجب مع عدم التفات القلب إلى غير الله، وهذه مرتبة الكمال التي دلّ النص الصحيح بأن طائفة من الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فمن حقق كمال التوحيد المستحب؛ كان ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

---

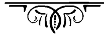
(١) انظر: «الرد على البكري» (ص ١٤٦).

(٢) انظر: «شرح كشف الشبهات» (ص١١٨) لابن عثيمين.

(٣) البخاري حديث رقم (٥٤٠١)، مسلم حديث رقم (٢٦٣).

جدول يوضح الفرق بين مراتب أصحاب التوحيد:

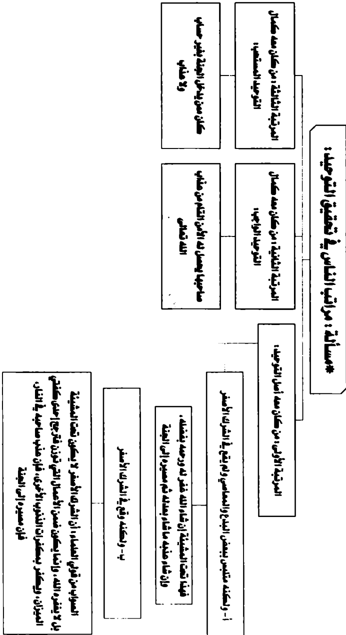
م	أصل التوحيد	كمال التوحيد الواجب	كمال التوحيد المستحب
١	معه أركان الإسلام وأركان الإيمان[(١)].	معه أركان الإسلام وأركان الإيمان.	معه أركان الإسلام وأركان الإيمان.
٢	لديه معاصٍ أو بدع أو شرك أصغر	ليس لديه معاصٍ[(٢)] أو بدع أو شرك	ليس لديه معاصٍ وبدع أو شرك
٣	قلبه يلتفت لغير الله، وقد يتعلق به فيقع في الشرك الأصغر[(٣)].	قلبه يلتفت لغير الله؛ لكنه لا يتعلق به، ولا يقع في الشرك الأصغر	قلبه لا يلتفت لغير، فتعلقه بالله تام، فاستحق الأمن التام
٤	لا يخلد في النار	لا يدخل النار	يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب



(١) مع العمل بها.

(٢) والمقصود: ليس ملازمًا لها، ولا مصرًّا عليها.

(٣) كتعليق التمائم مثلًا.


*مسألة : مراتب الناس في تحقيق التوحيد :
المرتبة الأولى : من كان معه أصل التوحيد :
أ - ولكنه متلبس ببعض البدع والمعاصي ولم يقع في الشرك الأصغر
فهذا تحت المشيئة إن شاء الله غفر له ورحمه بفضله ، وإن شاء عذبه ما شاء بعدله ثم مصيره إلى الجنة
ب - ولكنه وقع في الشرك الأصغر
الصواب من قولي العلماء : أن الشرك الأصغر لا يكون تحت المشيئة بل لا يغفره الله ، وإنما يكون ضمن الأعمال التي توزن فترجح إحدى كفتي الميزان ، ويكفر بمكفرات الذنوب الأخرى ، فإن عذب صاحبه في النار ، فإن مصيره إلى الجنة
المرتبة الثانية : من كان معه كمال التوحيد الواجب :
صاحبها يحصل له الأمن التام من عذاب الله تعالى
المرتبة الثالثة : من كان معه كمال التوحيد المستحب :
كان ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب

تدريب

س١: اذكر فضل التوحيد، وما جزاء من حققه؟

س٢: ما المقصود بالشرك في الآية ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟

س٣: ما مراتب دخول الجنة؟

س٤: ما شروط «لا إله إلا الله»؟

س٥: ما الفرق بين الإخلاص والصدق

س٦: ما الفرق بين الصدق واليقين

س٧: ما الفرق بين القبول والانقياد

س٨: **اختر الإجابة الصحيحة:**

(١) السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب:

(أ) مَن وُلد في الإسلام.

(ب) الذين صحبوا النبي ﷺ.

(ج) الذين على ربهم يتوكلون.

(٢) كمال التوحيد المستحب صاحبه:

(أ) لا يخلد في النار.

(ب) يدخل الجنة.

(ج) يدخل الجنة بغير حساب.

الأسئلة

(١) ما هي فضائل توحيد الألوهية؟

(٢) اذكر الأقوال في معنى الظلم الوارد في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، وما الراجح منهما؟

(٣) ما هي مراتب دخول الجنة؟ اذكرها مع الاستدلال لكل منها.

(٤) كلمة التوحيد لا تقبل إلا بشروط، كيف استنبطها العلماء؟ وما هي؟ اذكرها مع الاستدلال لكل منها

(٥) ما الفرق بين الإخلاص والصدق؟

(٦) ما الفرق بين الصدق واليقين؟

(٧) ما الفرق بين القبول والانقياد؟

(٨) ذكر النبي ﷺ أربع صفات لمن يدخلون الجنة بغير حساب، اذكرها مع بيان معناها.

(٩) اذكر مراتب الناس في تحقيق التوحيد مع التفصيل في كل منها.



المطلب الخامس

الدعوة إلى توحيد الألوهية وتعليمه

الدعوة إلى الله مهمة الأنبياء والمرسلين، راية يحملها مِن كلِّ خلفٍ عدولُه، والدعوة لتوحيد الألوهية من أهم مهمات دعوة الأنبياء والمرسلين والصالحين في كل زمان ومكان، فهي الأصل الذي اتفقت كلمة الرسل على الدعوة إليه، وتشديد النكير على ما يضاده ويخالفه، وقد قال ﷺ **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شيئًا»**(١)

وأي هدى أعظم من توحيد الله، الذي ندعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وفيما يلي استعراض بعض الجوانب الدالة على فضل الدعوة إلى توحيد الألوهية، وبيانه للناس:

❁ **أولًا: توحيد الألوهية هو دعوة الرسل أجمعين:**

دل على هذا آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

✍ **قال الإمام الطبري** ﷺ: «ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولًا، كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له

(١) أخرجه: مسلم حديث رقم (٢٦٧٤) (١٦)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

الطاعة، وأخلِصوا له العبادة ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدَّكم عن سبيل الله، فتضلوا»[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥].

فهذه الآيات تدل على الآتي:

(أ) أهمية الدعوة إلى توحيد الألوهية.

(ب) أن من أهم مهمات أتْبَاع الرسل الدعوة إلى ما دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ثانيًا: الدعوة إلى توحيد الألوهية سبيل خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام:

فدعوته ﷺ أساسها الدعوة لإفراد الله تعالى بالعبادة التي هاجر وجاهد من أجلها، قال ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**[2].

قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] فسبيله ﷺ المأمور باقتفاء أثره فيه الدعوة إلى الله جمعًا بين الدعوة إلى التوحيد، والدعوة بعلم بما يدعو، وبحال المدعو، فكانت دعوته إلى التوحيد على بصيرة.

---

(١) «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٠١).

(٢) رواه البخاري، واللفظ له (٢٥)، مسلم حديث رقم (٣٥).

✍ **يقول الإمام الطبري** ﵀: «يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِيٓ﴾ طريقتي ودعوتي، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى وحده لا شريك له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين علم مني به ﴿أَنَا۠﴾ ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي»(١).

✍ **وقد ذكر أهل العلم في قوله تعالى:** ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] **معنيين:**

- **المعنى الأول:** أي أنا وأتباعي على بصيرة في الدعوة والعبادة، ووجه ذلك العطف على الضمير المنفصل ﴿أَنَا۠﴾.
- **المعنى الثاني:** أي أنا أدعو إلى الله على بصيرة، وكذلك من اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة، ووجه العطف على الضمير المتصل في قوله ﴿أَدْعُوٓاْ﴾(٢).

وكلا العطفين جائز، فعليه يكون المعنى: أنا وأتباعي على بصيرة وندعو إلى الله على بصيرة.

✍ **قال في «تيسير العزيز الحميد»:** «والتحقيق أن العطف يتضمن

---

(١) «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩١).

(٢) قال ابن عثيمين ﵀:

الأول: ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأ، وخبرها ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ معطوفة على ﴿أَنَا۠﴾؛ أي: أنا ومن اتبعني على بصيرة؛ أي: في عبادتي ودعوتي.

الثاني: «أنا» توكيد للضمير المستتر في قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ﴾؛ أي: أدعو ﴿أَنَا۠﴾ إلى الله ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يدعو أيضًا؛ أي: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ويدعو من اتبعني، وكلانا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾.

المعنيين، فأتباعه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله»[١].

وقد بوَّب الإمام البخاري ﷺ في صحيحه «باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ﷻ» وذكر حديث معاذ وتوجيه النبي ﷺ له بالدعوة إلى التوحيد فقال: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى**»[٢].

۞ ثالثًا: أن توحيد الألوهية هو أول ما يجب أن يُدعى إليه

فأول ما يجب أن ندعو الناس إليه، ونبينه لهم توحيد الألوهية؛ فهو أساس العبودية، قال ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ،...**»[٣].

وعن ابن عباس ﷺ أن معاذًا قال: بعثني رسول الله ﷺ، قال: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ....**»[٤].

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا ﷺ على اليمن، قال: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ**

---

(١) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، (١٤٢٣هـ) (ص٩٥).

(٢) رواه البخاري حديث رقم (٧٣٧٢).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم (٧٣٧٢).

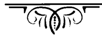
(٤) أخرجه مسلم حديث رقم (١٩).

مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ...»(١)

خلاصة الروايات الثلاث:

- «إلى أن يوحدوا الله».
- «إلى شهادة أن لا إله إلا الله».
- «إلى عبادة الله».

هذه الروايات الثلاث كلها تدل على معنى واحد، وهو التأكيد على أهمية مكانة التوحيد؛ وهي مختلفة الألفاظ متفقة المعنى، فإفراد الله بالعبادة أول ما يُدعى إليه الناس، إلا مَن ينكرون وجود الخالق ﷻ، فيبدأ معهم بالدعوة إلى إثبات الله والإيمان بوجوده ﷻ.



(١) أخرجه البخاري حديث رقم (١٤٥٨)، ومسلم حديث رقم (٣١).

الدعوة إلى توحيد الألوهية

فضله :

١- هو دعوة الرسل أجمعين

٢- سبيل خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام

٣- هو أول ما يجب أن يُدعى إليه



تدريب

س١: ما أول ما يجب على المسلم أن يدعو إليه؟

س٢: ما الدليل على فضل الدعوة إلى توحيد الألوهية؟

س٣: هل يقع على أتباع الرسل واجب الدعوة إلى ما أرسل به الرسل؟

س٤: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].
ما المقصود بالبصيرة المذكورة في الآية الكريمة؟

س٥: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) أول ما يجب على المسلم أن يتعلمه:

(أ) فقه العبادة. (ب) فقه المعاملات. (ج) التوحيد.

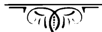
س٦: ضع علامة (✓) أو (✗):

(١) من أهم مهمات أتْبَاع الرسل الدعوة إلى ما دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام. ( )

(٢) كان المشركون على عهد النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية، ويشركون في توحيد الألوهية. ( )

س٧: أكمل:

(١) قال رسول الله ﷺ: « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ................ .



المبحث الثاني

بيان الشرك وأنواعه وخطورته وأسباب الوقوع في الشرك

وفيه توطئة ومطلبان:

- المطلب الأول: تعريف الشرك وبيان أنواعه وخطورته.
- المطلب الثاني: أسباب الوقوع في الشرك.

التمهيد

المبحث الثاني:

بيان الشرك وأنواعه وخطورته وأسباب الوقوع فيه:

١-تعريف الشرك وبيان أنواعه وخطورته

٢-أسباب الوقوع في الشرك



توطئة

الشرك بالله من أعظم ما ينقض حقيقة التوحيد، وهو أصل شرك الجاهلية الذي بعث الله خاتم النبيين بالدعوة لنبذه ومحاربته، وبيان حقيقته وصوره من أهم الواجبات؛ ليكون المسلم على بصيرة بما يناقض حقيقة الإيمان، وإخلاص العبودية لله تعالى؛ لذلك سيكون هذا التمهيد في مطلبين:

- المطلب الأول: تعريف الشرك وبيان أنواعه وخطورته.
- المطلب الثاني: أسباب الوقوع في الشرك.



المطلب الأول

تعريف الشرك وبيان أنواعه وخطورته

أولًا: تعريف الشرك شرعًا

تنوعت عبارات العلماء في بيان حقيقة ماهية الشرك، ومن أجمع التعاريف المبينة لحقيقته أنه: «جعل شيء من حق الله لغيره»[(١)].

سواء أكان الحق المجعول لغيره تعالى فيما يختص به في باب العبودية أو الربوبية أو الأسماء والصفات، فإن جعل أي حق من حقوق الله لغيره من الشرك.

ثانيًا: أنواع الشرك

ينقسم الشرك إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: الشرك الأكبر:

وهو جعل شيء من حق الله لغيره يزول معه أصل الإيمان.

ضابطه: جعلُ ندٍّ لله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته[(٢)].

حكمه: يزيل أصل الإيمان إن كان الواقع فيه مسلمًا، عالمًا لمناقضته لأصل التوحيد.

القسم الثاني: الشرك الأصغر:

وهو جعل شيء من حق الله لغيره يزول معه كمال الإيمان الواجب.

ضابطه: ما نهى الشرع عنه، وكان وسيلة إلى الشرك الأكبر وجاء في

(١) «شرح كتاب التوحيد» للشيخ صالح العصيمي.
(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٥١٦).

النصوص تسميته شركًا.

حكمه: يزيل تحقق كمال الإيمان الواجب.

جدول يوضح الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر

الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
أن يجعل الإنسانُ لله ندًا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.	ما نهى الشرع عنه، وكان وسيلة إلى الشرك الأكبر، وجاء في النصوص تسميته شركًا
صاحبه مخلد في النار	صاحبه لا يخلد في النار
يذهب معه أصل الإيمان (صاحبه يخرج من دين الإسلام)	يذهب معه كمال الإيمان (صاحبه لا يخرج من دين الإسلام)

أوجه الشبه بين الشرك الأكبر والأصغر

- الشرك بنوعية إذا تاب منه صاحبُه يغفره اللهُ لصاحبه.
- أن الله لا يغفر الشرك كبيره وصغيره، وإن كان صاحب الشرك الأصغر لا يخلد في النار، ولا يلزم أن يدخل النار ولكنه مُتوعَّد بها، وتدخل أعماله الشركية في موازنة الأعمال أو تُغفر من خلال مكفرات الذنوب، كالأمراض والمصائب وغيرها.

ثالثًا: خطورة الشرك:

كثيرة هي الأوجه الدالة على عظم شأن الشرك وخطره في العاجلة والآجلة، ومن أبين الأوجه وأظهرها ما يلي:

- النص بأن الله تعالى لا يغفر الشرك.
- خوف الأنبياء ﷺ من الشرك.

- خفاء الشرك.

فهذه الأوجه الثلاثة دلَّت عليها النصوص الشرعية دلالة ظاهرة بيِّنة، وبيان ذلك التالي:

◈ الوجه الأول: أن الله تعالى لا يغفر الشرك

الشرك مساواة الخالق سبحانه بالمخلوق، ولا ريب أن الفرق بين الخالق والمخلوق ظاهر في العقول ومستقر في الفطر السليمة، ومن هنا كان الشرك مشتملًا على الإساءة العظيمة لله تعالى، ومستلزمًا لوصف الخالق بنقائص تجعل الشرك ذنبًا لا يغفره الله إلا بالتوبة، فمن مظاهر النقائص التي يستلزمها الشرك بالله تعالى:

أولًا: استلزامه إضافة النقص للخالق سبحانه، فإن مساواة المخلوق الضعيف، الذي لا يقوم إلا بغيره بالخالق الكامل في ذاته وصفاته، الغني غنًا مطلقًا، لازمه إضافة النقص له سبحانه.

ثانيًا: أنه مناقض لمقصود الخلق والأمر، ومناف له من كل وجه، وفي هذا غاية المعاندة والاستكبار عن طاعة الخالق سبحانه.

ثالثًا: استلزامه تشبيه الخالق بالمخلوق في خصائص الإلهية، الأمر الذي يوجب تعلّق القلوب بغير الله تعالى، ومن تعلَّق بمخلوق تعلُّق عبادة؛ فقد جعل من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، مشابهًا لمن له الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده أزمة الأمور كلها سبحانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بذاته بالقادر الغني بذاته»[1].

---

(١) بتصرف من: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (ص٧٢)، وبمعناه في «الداء والدواء» (ص٣٠٤).

وقد دلَّ على عدم مغفرة الله للشرك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

✍ قال الطبري ﷺ: فإن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام»[١].

✍ وقال ابن كثير ﷺ: «أنه ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به»[٢].

وكفى بهذا الوعيد الشديد تخويفًا من الشرك، ففي «تخصيص الشرك بعدم المغفرة دلالة على أنه أعظم الذنوب، ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب على ذنب سواه؛ وهذا يقتضي شدة الخوف منه»[٣].

وفي هذه الآية رد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون في النار في الآخرة، أما في الدنيا فعندهم ليسوا بمؤمنين ولا كفار، بل في منزلة بين المنزلتين.

ولا يجوز أن تحمل هذه الآية على التائب -من الشرك-؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

✍ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ تعليقًا على هذه الآية: «فجعل ما دون ذلك الشرك معلقًا بمشيئته، ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب؛ فإن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره، كما قال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣] فهنا عمم وأطلق؛ لأن المراد به التائب (أي عمم جميع

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٧/ ١٢١).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢٥).
(٣) «مقاصد كتاب التوحيد» (ص٤٠).

الذنوب وأطلق المغفرة للجميع) - وهناك خص وعلق - (أي خص ما دون الشرك بالمغفرة، سواءً وعلق مغفرته لها بالمشيئة)»(١).

ومن الأدلة على ما سبق تقريره، من عدم غفران ذنب الشرك بالله تعالى قوله ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»(٢).

ومعنى الند: الشبيه والنظير.

قال ابن القيم ﵀: «الند الشبيه، يقال: فلان ند فلان، وند يده، أي مثله وشبيهه»(٣).

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] فلا يجعل له شبيهًا أو نظيرًا في عبادته سبحانه، فمن مات وهو يجعل لله ندًّا دخل النار؛ لأنه ذنب لا يُغتفر.

وقوله في الحديث «يدعو» الدعاء إذا أطلق يراد به أمران:

- دعاء عبادة: مثل: الصلاة والزكاة والصيام، فصرف شيء منها لغير الله

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٨٥). وهذا فيه ردٌّ على المعتزلة الذين قيَّدوا الآية بالتوبة، ومنهم الزمخشري في «تفسيره»، ولا يستقيم هذا المعنى معهم للآتي:
١. لأن الآية صريحة في مغفرة ما دون الشرك ولا يوجد قيد بالتوبة.
٢. أنه لا فرق في مغفرة الشرك وما دونه لمن تاب، فالجميع سواء يغفر الله لهم.
٣. أن هناك فرقًا بين قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣] فهنا ذكر المغفرة لجميع الذنوب لمن تاب منها، وهذا إجماع المفسرين ومنهم الزمخشري، ومن الذنوب: الشرك، ويدل عليه سبب نزول الآية، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] ظاهره في عدم مغفرة الشرك، ومغفرة ما دونه من الذنوب لمن شاء الله له المغفرة.
انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٢٤-٢٢٨)، و«الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» للزمخشري (١/ ٥٢٠).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٤٤٩٧) من حديث ابن مسعود ﵁.

(٣) نقله في «فتح المجيد» عن ابن القيم (ص٧٧).

شرك أكبر.

- دعاء مسألة: وهو الطلب، والشرك منه يتحقق بطلب الميت أو الغائب أو الحاضر بما لا يقدر عليه إلا الله.

قوله: «من دون الله» (من) تأتي مرادًا بها معنيان:

الأول: تأتي بمعنى (مع)، فيكون معنى الكلام: مَن مات وهو يدعو مع الله ندًّا.

الثاني: تأتي بمعنى (غير)، فيكون معنى الكلام: من مات وهو يدعو غير الله جعله ندًّا لله، فتضمن الحديث النهي عن صرف دعاء العبادة ودعاء المسألة لغير الله تعالى، وأن صرفهما لغيره شرك موجب لدخول النار.

ومما يجب التأكيد عليه:

أن الشرك الأصغر لا يُغفر لعموم الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، لكنه يدخل في موازنة الأعمال وفي عموم التكفير بمكفرات الذنوب، أما الكبائر فيغفرها الله لمن شاء برحمته، ويعاقب صاحبها بما شاء بعدله، وصاحب الشرك الأصغر وصاحب الكبيرة لا يُخلدون في النار ولا يُسلب منهم اسم الإسلام، بخلاف الشرك الأكبر.

◈ الوجه الثاني: خوف الأنبياء ﷺ من الشرك.

الأنبياء ﷺ مع جلالة قدرهم، وعظيم إيمانهم، ورسوخ اعتقادهم، يخشون الوقوع في الشرك، قال تعالى على لسان إبراهيم ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥]، «أي: اجعلني وبنيَّ في جانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها»[1].

(١) «تيسير العزيز» (ص٩٠)، «فتح المجيد» (ص٧٤).

✍ **قال الطبري في** «تفسيره»: «أبعدْني وبنيَّ من عبادة الأصنام»[١].

✍ **ويقول إبراهيم التيميّ**: «من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول: «ربّ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ»[٢].

فإبراهيم ﷺ الذي حطَّم الأصنام يخاف أن يقع في الشرك، وقد علل خوفه بقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾، فلا شك أننا أحق بالخوف منه، وكفى بهذا دليلًا على خطر الشرك، فالجدير بالمؤمن أن يكون في خوف وذعر يدفعه للالتجاء إلى الله، وسؤاله أن يجنبه الشرك، ويحيه ويميته على التوحيد، ويحرص على معرفة الشرك ووسائله ليبتعد عنها، ومعرفة التوحيد وطرائقه لينميها ويلتزمها.

◈ **الوجه الثالث: خفاء الشرك:**

الشرك منه الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، فلا يكاد أن يتفطن له، يقول ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»[٣].

فخفاء الشرك، وإن كان شركًا أصغر كافٍ بأن يخاف المؤمن على إيمانه وأعماله، فقوله ﷺ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» مخاطبًا أصحابه الذين عُرفوا بصحة العقيدة، وقوة الإيمان، يجب أن يحمل المؤمن على عدم الأمن من الشرك، وأن يكون على حذر وحرص على إيمانه وعبادته لربه ﷻ[٤].

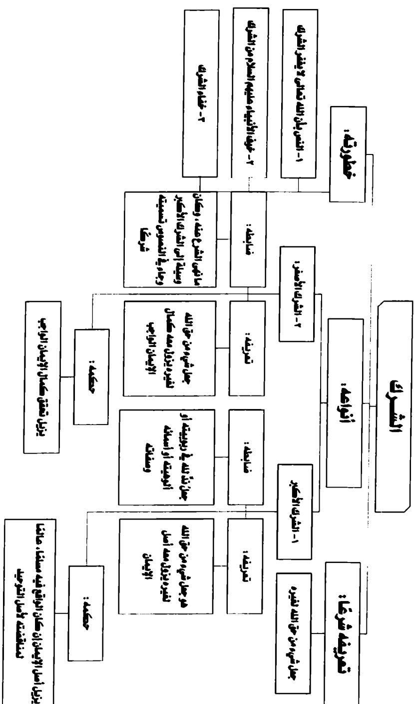
---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ٦٨٧).

(٢) «تفسير الطبري» (١٣/ ٦٨٧).

(٣) رواه أحمد (٢٣٦٣٠) من حديث محمود بن لبيد مرفوعًا، وصححه الألباني، انظر: «الصَّحِيحَة»: ٩٥١ صَحِيح الْجَامِع: ١٥٥٥.

(٤) «حاشية كتاب التوحيد»، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (ت ١٣٩٢هـ)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ ص٥١.


الشـــرك
تعريفه شرعًا:
جعل شيء من حق الله لغيره
أنواعه:
١- الشرك الأكبر
تعريفه:
هو جعل شيء من حق الله لغيره يزول معه أصل الإيمان
ضابطه:
جعلُ ندٍّ لله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته
حكمه:
يزيل أصل الإيمان إن كان الواقع فيه مسلمًا، عالمًا لمناقضته لأصل التوحيد
٢- الشرك الأصغر:
تعريفه:
جعل شيء من حق الله لغيره يزول معه كمال الإيمان الواجب
ضابطه:
ما نهى الشرع عنه، وكان وسيلة إلى الشرك الأكبر وجاء في النصوص تسميته شركًا
حكمه:
يزيل تحقق كمال الإيمان الواجب
خطورته:
١- النص بأن الله تعالى لا يغفر الشرك
٢- خوف الأنبياء عليهم السلام من الشرك
٣- خفاء الشرك

تدريب

س١: اذكر أهم نواقض أصل التوحيد

س٢: ما أنواع الشرك؟

س٣: ما المقصود بالشرك الأكبر؟ وما خطورته؟

س٤: ما المقصود بالشرك الأصغر؟ وما ضابطه؟

س٥: هل الشرك الأصغر يخرج من الملة؟

س٦: اذكر أوجه الشبه والاختلاف بين الشركين الأصغر والأكبر؟

س٧: ما الذنب الذي لا يغفره الله أبدًا؟

س٨: هل يخلد الذين يرتكبون الكبائر في النار؟



الأسئلة

(١) عرف الشرك، واذكر خطورته.

(٢) ما ضابط الشرك الأكبر؟ وما حكمه؟

(٣) ما ضابط الشرك الأصغر؟ وما حكمه؟

(٤) الشرك يستلزم وصف الخالق سبحانه بالنقائص، اذكر هذه الاستلزامات.

(٥) ما الفرق بين دعاء المسألة ودعاء العبادة؟ مع التمثيل لكل منهما.



المطلب الثاني

أسباب الوقوع في الشـرك

للوقوع في الشرك أسباب كثيرة، نكتفي ببيان أهمها، وأكثرها خطرًا:

◈ **أولًا: الغلو في الصالحين، وله صور منها:**

- الإطراء.
- التبرك الممنوع بالصالحين.
- تعظيم قبور الصالحين.

◈ **ثانيًا: اعتقاد التدبير في المعبودات من دون الله.**

وفيما يلي تفصيل ذلك وبيانه:



أولًا:

الغلو في الصالحين

الغلو: لغة:

مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[النساء:١٧١]، أي لا تجاوزوا المقدار[١].

الغلو اصطلاحًا:

مجاوزة الحد الشرعي، جاء في الحديث «أن النبي ﷺ لما رمى الجمرات بحصيات، قال: «**بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ**» يعني: لا تتجاوزوا الحد الشرعي.

قال ابن تيمية رحمه الله: قوله «**وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ**» عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد، والأعمال»[٢].

المراد بالغلو هنا: «مجاوزة الحد بأن يُجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء»[٣]، فمجاوزة الحد فيهم أصلٌ من أصول الشرك الواقع.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر

(١) «جمهرة اللغة»، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة: الأولى، (١٩٨٧م) (٢/٩٦١).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، (١٤١٩هـ) (١/٣٢٨).

(٣) «القول السديد شرح كتاب التوحيد» (ص٧٧).

الصالحين المعظمين»(١).

◈ فالقرآن ذكر أصلين من أصول الشرك -وقع فيهما المشركون بسبب الغلو-:

الأصل الأول: شرك قوم نوح، وكان سببه الغلو في الصالحين، وأرواحهم؛ فجاءهم الشيطان من جهة روح ذلك العبد الصالح، وأثر تلك الروح، وأن من تعلَّق به فإنه يشفع له، ثم ساقهم من ذلك التعظيم إلى أن صوَّروا لهم صورًا، ونصبوا لهم أنصابًا، وأوثانًا، وأصنامًا حتى إذا طال عليهم الأمد عبدوهم.

الأصل الثاني: شرك قوم إبراهيم، وسببه ادِّعاء التأثير في الكواكب من جهة النظر في الكوكب ومن يؤثر ويحرك، فهذا شرك في الربوبية، وما تبعه من الشرك في الألوهية؛ لأنهم جعلوا لتلك الكواكب أصنامًا، وجعلوا لها صورًا، وجعلوها أوثانًا، فعبدوها من دون الله ﷻ وتوجهوا إليها»(٢).

✍ **قال ابن تيمية** ؒ: «والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين:

أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون الشرك... **والسبب الثاني**: عبادة الكواكب»(٣).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ﷺ عن غلو قوم نوح في الصالحين أنه قال: هذه **«أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ**

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٦٣).

(٢) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ) (ص٢٤٢).

(٣) «الرد على المنطقيين»، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان (ص٢٨٦).

أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[1].

✍ قال الطبري في «تفسيره»: «حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس قال: كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقطون المطر، فعبدوهم»[2].

وقد حذَّر سبحانه من الغلو في الصالحين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء:171].

«والخطاب ـ وإن كان لأهل الكتاب ـ إلا أنه عام يتناول جميع هذه الأمة، تحذيرًا لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في العزير... ولهذا قال النبي ﷺ: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»[3]، وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالكفار في كل أحوالهم، ومنها الغلو في الأنبياء والصالحين.

✍ قال ابن كثير ﵀: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حدَّ التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من

(1) صحيح البخاري، رقم (٤٦٣٦، ٤/ ١٨٧٣-١٨٧٤).

(2) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الناشر: دار هجر، الطبعة: الأولى (٢٣/ ٣٠٣).

(3) «فتح المجيد» (ص٢١٩).

دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًّا أو باطلًا، أو ضلالًا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١](١).

✍ **قال العلامة ابن عثيمين** ﵀: فنهى عن الغلو في الدين؛ لأنه يتضمن مفاسد كثيرة، منها:

(١) أنه تنزيل للمغلو فيه فوق منزلته إن كان مدحًا، وتحتها إن كان قدحًا.

(٢) أنه يؤدي إلى عبادة هذا المغلو فيه، كما هو الواقع من أهل الغلو.

(٣) أنه يصد عن تعظيم الله ﷻ؛ لأن النفس إما أن تنشغل بالباطل أو بالحق، فإذا انشغلت بالغلو بهذا المخلوق وإطرائه وتعظيمه؛ تعلقت به ونسيت ما يجب لله تعالى من حقوق.

(٤) أن المغلو فيه إن كان موجودًا؛ فإنه يزهو بنفسه، ويتعاظم ويعجب بها، وهذه مفسدة تفسد المغلو فيه إن كانت مدحا، وتوجب العداوة والبغضاء وقيام الحروب والبلاء بين هذا وهذا إن كانت قدحًا.

۞ صور الغلو في الصالحين:

للغلو في الصالحين صور ونماذج عدة ينبغي للمؤمن أن يكون على علم ودراية بها ليتجنبها، ويكون منها على حذر، فمن صور الغلو في الصالحين:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٧).

◈ الصورة الأولى: الإطراء:

الإطراء: «مجاوزةُ الحدِّ في المدح، والكذبُ فيه»[١]، فالإطراء غلوٌّ في المدح، قال ﷺ: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»[٢].

✍ قال العيني ﷺ: «قوله: «لاَ تُطْرُونِي»، بضم التاء، من الإطراء وهو المديح بالباطل، تقول: أطريت فلانًا: مدحته فأفرطت في مدحه. وقيل: الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. قوله: «كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى»، أي: في دعواهم في عيسى بالإلهية وغير ذلك»[٣].

«وقد ظن بعض الناس أن الكاف في قوله «كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» أنها كاف المثلية؛ يعني: لا تطروني بمثل ما أطرت النصارى ابن مريم، ويقول هذا الظان: إن النصارى أطرت ابن مريم في شيء واحد، وهو أن قالوا: هو ابن الله ﷻ، فيكون النهي عن أن تجعل له ﷺ رتبة البنوة فقط، فإذا كان كذلك فما عداه جائز. وهذا هو فهم الخرافيين لهذا النهي؛ كما قال قائلهم البوصيري في هذا المقام:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت فيه واحتكم

أو كما قال.

يعني: لا تقل: إنه ولد لله، أو إنه ابن لله، فهذا هو القدر المنهي عنه

(١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وآخرين، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى (١١/ ٥١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٤٤٥) من حديث ابن عباس عن عمر ﷺ مرفوعًا.

(٣) «عمدة القاري» للعيني (١٦/ ٣٧).

فقط، ولك أن تقول فيه بعد ذلك ما شئت غير ملوم وغير مثرب عليك.

الوجه الثاني وهو الفهم الصحيح، وهو الذي يدل عليه السياق: أن (الكاف) هنا هي كاف القياس، والمعنى: لا تطروني إطراءً، كما أطرت النصارى ابن مريم.

وكاف القياس هي كاف التمثيل الناقص، **وحقيقتها**: أن يكون هناك شبه بين ما بعدها وما قبلها في أصل الفعل، فنهى ﷺ في قوله: «**لا تطروني كما أطرت**» عن أن يطرى ﷺ كما حصل أن النصارى أطرت ابن مريم، فهو تمثيل للحدث بالحدث، لا تمثيل أو نهي عن نوع الإطراء، فمعنى قوله: «**لا تطروني كما أطرت**» هو نهي عن إطرائه ﷺ؛ لأجل أن النصارى أطرت ابن مريم، فقادهم ذلك إلى الكفر، والشرك بالله، وادعاء أنه ولد لله ﷺ ولهذا قال: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»[(١)].

فالكاف هنا ليست كاف التمثيل الكامل؛ بأن يكون ما بعدها مماثلًا لما قبلها من كل وجه، وإنما هي كاف التمثيل الذي يكون ما بعده مشتركًا مع ما قبله في المعنى، وهي القياسية التي تجمعها العلة؛ ولهذا قال العلماء كما هو معلوم: هذا كهذا، فيقولون مثلًا: نبيذ غير التمر والعنب، كنبيذ التمر والعنب، مساواة بين هذا وهذا، لوجود أصل المعنى بينهما، وهنا نهي عن الإطراء، لأجل وجود أصل الإطراء، في الاشتراك بين إطراء النصارى وما سببه من الشرك، وإطراء ما لو أُطري النبي ﷺ وما سيسببه من الشرك»[(٢)].

◈ **الصورة الثانية: التبرك بالصالحين:**

البركة: الخير الكثير، وزيادته، وطلب ثباته ولزومه.

---

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) «التمهيد» للشيخ صالح آل الشيخ (ص٢٤٦).

والتبرك من جهة الحكم ينقسم إلى:

- تبرك مشروع.
- تبرك ممنوع.

التبرك الممنوع ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكون شركًا أكبر:

وهو اعتقاد أن البركة تأتي من المتبرك به بذاته، أو عن طريق أرواحٍ له تؤثر.

القسم الثاني: ما يكون شركًا أصغر:

وهو اعتقاد البركة في سبب لم يجعله الله سببًا للبركة.

إذا تقرر هذا؛ فإن التبرك يقوم على شرطين تدور عليها أحكام التبرك:

الشرط الأولى: أن البركة لا تثبت لشيء من الأشياء إلا بدليل، فاتخاذ شيء سببًا لم يجعله الله سببًا شرعيًا أو قدريًا؛ شرك أصغر[١].

الشرط الثانية: أن تكون طريقة التبرك شرعية، ومن ذلك: التبرك بماء زمزم بشربه ومسحه على البدن؛ لورود النص بذلك، ومتى تخلف أحد الشرطين كان التبرك ممنوعًا.

أنواع التبرك:

التبرك له عدة أنواع[٢] من جهة المتبرك به، وما يخصنا هنا التبرك

---

(١) كما سيأتي بيانه عند الحديث عن الرقى والتمائم بإذن الله.

(٢) أنواع التبرك من جهة المتبرك:

أولًا: التبرك بالأمكنة

١. التبرك المشروع بالأمكنة:

١. المساجد عمومًا مباركة، وخاصة المساجد الثلاث، وكذا مسجد قباء.

= ووجه البركة: ما يحصل فيها من زيادة الأجر، فقد جاء أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفي المسجد النبوي بألف صلاة، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة، وفي مسجد قباء كأجر عمرة. رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني، انظر: «صَحِيح الْجَامِع» (٦١٥٤)، و«صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب» (١١٨١).

وطريقة التبرك بها: الصلاة فيها، وقراءة القرآن الكريم، والذكر، وتعلم العلم، والاعتكاف، ونحوها من العبادات.

٢. ومن الأمكنة المباركة: مكة، والمدينة، والشام.

قال ﷺ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ**». رواه مسلم، وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا**».

ووجه البركة: ما يحصل من الأجر بالاستجابة لحثه ﷺ سكناها، واتباعًا لمحبة النبي ﷺ لها، وكذلك طلب ما فيها من بركة الأرزاق.

وطريقة التبرك بها: سكناها، والصلاة في مساجدها المباركة.

٣. وكذلك من الأماكن المباركة: عرفة، ومزدلفة، ومنى.

ووجه البركة: ما يحصل فيها من الأجر بالوقوف بها في الأوقات المشروعة، على الوجه المشروع.

وطريقة التبرك بها: حضورها في الأوقات المشروعة، والوقوف بها على الوجه المشروع.

ب. التبرك الممنوع بالأمكنة:

١- التبرك بالأمكنة المباركة بطريقة غير شرعية:

كتقبيل أبواب المساجد، والتمسح بجدرانها، وسواريها، والتمسح بباب الكعبة وجدرانها، والتمسح بمقام إبراهيم ﷺ، وبالحجرة النبوية، أو المحراب النبوي، أو الاستشفاء بتراب المدينة، وأحجارها، والتمرغ عليه.

٢- التبرك بأماكن لم تثبت بركتها:

كغار حراء، وغار ثور، وموقعة بدر، ومكان المولد النبوي، وقبور الصالحين.

◊ ثانيًا: الأزمنة

أ. التبرك المشروع بالأزمنة:

هناك أزمنة خصَّها الله تعالى بزيادة فضل وبركة، كشهر رمضان، والعشر الأواخر منه، وليلة القدر، والعشر الأولى من ذي الحجة، ويوم عرفة، ونحوها.

ووجه البركة فيها: ما يحصل فيها من مضاعفة الحسنات، ومغفرة السيئات.

وطريقة التبرك بها: أداء ما فرض الله فيها من العبادات، والحرص على النوافل المتنوعة على وفق ما جاء به الشرع، مع إخلاص ذلك كله لله ﷻ. =

ب. التبرك الممنوع بالأزمنة:

١ـ التبرك بالأزمنة المباركة بغير المشروع: كإحداث عبادات مخصصة فيها.

٢ـ التبرك بأزمنة لم تثبت بركتها: وذلك كإحياء ليلة المولد، وليلة الإسراء، والمعراج، ويوم الهجرة، ويوم بدر، وفتح مكة، وغيرها، وكل هذا من البدع المحدثة، والله المستعان.

◈ ثالثًا: الأطعمة

أ. التبرك المشروع بالأطعمة:

جعل الله في بعض الأطعمة بركة، كالعسل، وزيت الزيتون، والحبة السوداء، وماء زمزم، والتمر، وكل ما ثبت نفعه من الأطعمة.

ووجه البركة فيه: ما يحصل في أكله، أو شربه، أو الادهان به من الشفاء، والقوة.

وطريقة التبرك به: أكله، أو شربه، أو الادهان به، كل طعام بحسبه.

ب. التبرك الممنوع بالأطعمة:

التبرك بالأطعمة المباركة بطريقة غير شرعية: كما يفعل بعض الناس من وضع حبة البركة في أركان البيت، أو في أساس البيت عند البناء.

◈ رابعًا: الأقوال والأفعال

أ. التبرك المشروع بالأقوال والأفعال:

جعل الله في بعض الأقوال، والأفعال بركة خاصة، وذلك باختصاصها بمزيد الأجر. كقراءة القرآن، والأذكار، والصلاة، والحج، وكل ما أمر الله به من الأقوال، والأفعال.

وجه البركة فيها: ما يحصل بقولها، أو فعلها من الأجر، وتكفير السيئات.

وطريقة التبرك بها: قولها، أو فعلها على وفق مراد الشارع، بإخلاص، ومتابعة.

ب. التبرك الممنوع بالأقوال والأفعال:

١ـ قولها أو فعلها بطريقة غير شرعية: كتخصيصها بعدد، أو زمان، أو مكان بلا دليل.

٢ـ ابتداع أذكار، أو أفعال لم ترد بركتها: كقول المتصوفة (هو)، وكالوقوف أمام الحجرة النبوية مدة طويلة، وقوف تعظيم لأخذ البركة.

◈ خامسًا: الصفات

جعل الله في بعض الهيئات، والصفات بركة، ومن ذلك: الاجتماع على الطعام.

قال ﷺ: «اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ». رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني.

وكذلك الأكل من جوانب القصعة، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ فِي وَسَطِ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَاتِهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ». رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني.

بالصالحين، والتبرك بالصالحين منه الممنوع ومنه المشروع، وتفصيلها على النحو التالي:

أولًا: التبرك المشروع بالأشخاص على نوعين:

النوع الأول: بركة معنوية:

جعل الله سبحانه في بعض الأشخاص كالأنبياء والعلماء والدعاة إلى الله على بصيرة بركة معنوية، والطريقة المشروعة لحصول هذه البركة: الجلوس معهم والاستفادة من علمهم، قال ﷻ عن عيسى ﷺ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[مريم:٣١] وذلك بنفع الناس، وتعليمهم، وهكذا العلماء والدعاة إلى الله على بصيرة.

النوع الثاني: بركة حسية (خاصة بالنبي ﷺ)

تكون بالاستشفاء بآثاره ﷺ، شعره، وعرقه، وملابسه، مع ما يحصل من عظيم الأجر بالجلوس معه ﷺ، فعن ابن سيرين أنه قال: قلت لعبيدة: «عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قِبَلِ أنس، أو من قِبَلِ أهل أنس فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليَّ من الدنيا، وما فيها»(١).

وفي مسلم أن أسماء بنت أبي بكر أخرجت جبة طيالسة، وقالت: «هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا»(٢).

= وكذلك لعق الأصابع بعد الطعام، فقد أمر النبي ﷺ بذلك، وقال: «فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيَّتِهِنَّ الْبَرَكَةُ».

انظر: «الوجيز في شرح كتاب التوحيد» لشيخنا عبدالله بن محمد الجهني (باب: من تبرك بشجر وحجر ونحوهما)، «التبرك أنواعه وأحكامه» ـ المؤلف: د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، الناشر: مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة: السابعة (١٤٣٢هـ).

(١) رواه البخاري حديث رقم (١٦٨)، (١/ ٧٥).

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٢٠٦٩)، (٣/ ١٦٤١).

ومما يجدر التنبيه عليه أنه لم يبق شيءٌ من آثار النبي ﷺ.

✍ **يقول الإمام الألباني** ﵀: «ونحن نعلم أن آثاره ﷺ من ثياب أو شعر أو فضلات قد فُقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين»[1].

ثانيًا: التبرك الممنوع بالأشخاص: نوعان:

النوع الأول: رفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله.

النوع الثاني: التبرك بآثارهم: كشرب ما فضل من شرابهم، أو طعامهم، وغسل أقدامهم، وشرب ذلك الماء، أو التمسح بهم، **فالتبرك بآثار الصالحين خاص بالنبي ﷺ فقط، ولا يجوز التبرك بغير ذات النبي ﷺ لما يلي:**

أولًا: أن النبي ﷺ لا يقاس بغيره من الصالحين والأولياء من ذلك:

- قياس غيره ﷺ به يستلزم فقدان ما اختص به ﷺ.
- قياس غيره به ﷺ بجامع الفضل والصلاح لازمه رفع الصالحين إلى منزلة اختص بها النبي ﷺ.

ثانيًا: إجماع الصحابة ﷺ على عدم التبرك بآثار الصالحين:

فالصحابة مع وجود المبشَّرين بالجنة بينهم، لم يُنقل أنهم كانوا يتبركون بهم أو بغيرهم.

✍ **يقول الشاطبي** ﵀: «الصحابة ﷺ بعد موته ﷺ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه؛ إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة

(١) «التوسل أنواعه وأحكامه»، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المحقق: محمد عيد العباسي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع -الرياض، الطبعة: الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ) (ص١٤٤)، وينظر: «كتاب التبرك» للجديع (ص٢٥٦-٢٦٠).

أفضل من أبي بكر الصديق ﷺ، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر بن الخطاب، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان ابن عفان، ثم علي بن أبي طالب، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركًا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ، **فهو إذًا إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها**... فعلى هذا المأخذ: لا يصح لمن بعده ﷺ الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة»[(١)].

ثالثًا: سد ذريعة الشرك:

فالتبرك بالصالحين يفتح باب الغلو، والاعتقاد في المتبرك به، فتصرف له العبادة من دون الله، فإغلاق باب التبرك سدًّا للذريعة.

يقول الشاطبي ﷺ: «لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حدٍّ، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ بجهلها في التماس البركة؛ حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقدت في المتبرك به ما ليس فيه، وهذا التبرك هو أصل العبادة، ولأجله قطع عمر بن الخطاب ﷺ الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ؛ بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية ـ حسبما ذكره أهل السير ـ»[(٢)].

---

(١) «الاعتِصَام»، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، وآخرين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٩ هـ) (٢/ ٣٠٢-٣٠٤).

(٢) «الاعتِصَام»، للشاطبي (٢/ ٣٠٤).

◊ الصورة الثالثة: تعظيم قبور الصالحين

تمهيد:

تعظيم قبور الصالحين نوع من الغلو الذي تظافرت نصوص الشريعة على النهي عنه، وتشديد القول فيه، وهو على صور، وحالات شتى كبناء المساجد والقِبَاب على القبور، ووضع التصاوير والتماثيل عليها، وقَصْدِ التعبد بأنواع القرب عندها، والتمسح بها، وإسراج السُّرج عليها، ورفعها عن الأرض، وكل ذلك منهيٌّ عنه، فجميع ذلك داخل ضمن الغلو فيها، وقد دلت الأدلة على النهي عن ذلك، منها:

الدليل الأول: حديث عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ﵂، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»**(١).

ففي هذا الحديث فعلان نهى عنهما النبي ﷺ ووصف أصحابهما بأنهم من شرار الخلق، والذم يتناول كل من تحقَّق فيه الوصف، فلا يختص الذم بأولئك القوم من النصارى؛ لأن النبي ﷺ ذكر علة الذم، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا:

الفعل الأول: بناء المساجد على القبور، **قال الكرماني** ﵀: «إنه يدل على مذمة متخذ القبر مسجدًا»(٢).

---

(١) رواه البخاري حديث رقم (٤٣٤).

(٢) «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» المؤلف: محمد بن يوسف بن علي ابن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت:٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة ثانية: (١٤٠١هـ) (٤/ ٨٨).

الفعل الثاني: وضع الصور والتماثيل عند القبور؛ لأنه وسيلة من وسائل وقوع الشرك.

يقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «المعنى الإجمالي للحديث: أن أمّ سلمة وصفت عند النبي ﷺ - وهو في مرض الموت - ما شاهدته في معبد النصارى من صور الآدميّين. فبيَّن ﷺ السبب الذي من أجله اتخذوا هذه الصور؛ وهو الغلو في تعظيم الصالحين؛ مما أدى بهم إلى بناء المساجد على قبورهم ونصب صورهم فيها، ثم بيّن حكم من فعل ذلك بأنهم شرار الناس؛ لأنهم جمعوا بين محذورين في هذا الصنيع هما: فتنة القبور باتخاذها مساجد، وفتنة تعظيم التماثيل مما يؤدي إلى الشرك»[١].

الدليل الثاني: ما روي عن عائشة، وعبد الله بن عباس ﷺ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ -أي الموت- بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: **«لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»** يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[٢].

فلَعْنُهُ ﷺ اليهود والنصارى يدلُّ على شناعة ما فعلوا وخطر ذلك على العقيدة؛ إذ لم يكن ﷺ ليلعن لحظ نفسه، وإنما لعن تحذيرًا من هذه الأعمال لحرمتها وخطرها، وهذا ما فهمه الصحابة وأشاروا إليه بقولهم «يُحذر ما صنعوا»، والذي فعلته اليهود والنصارى وحذَّر منه النبي ﷺ هو بناء المساجد على قبور الأنبياء فمن دونهم من الصالحين من باب أولى.

وقال الكوراني الشافعي ثم الحنفي ﷺ[٣]: «ولعن هؤلاء إنما كان

(١) «الملخص في شرح كتاب التوحيد»، المؤلف: صالح بن فوزان الفوزان، دار النشر: دار العاصمة الرياض، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ) (ص١٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري حديث رقم (٤٣٥)، ومسلم حديث رقم (٥٣١).

(٣) هو أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني، شمس الدين، شيخ الإسلام، =

لبناء المساجد على قبور الصالحين»[١].

✍ ونقل المناوي[٢] ﷺ عن الطيبي[٣] أنه قال: كأنه ﷺ عرف أنه مرتحل، وخاف من الناس أن يعظِّموا قبره، كما فعل اليهود والنصارى، فعرض بلعنهم كيلا يعملوا معه ذلك»[٤].

الدليل الثالث: ما رواه جندب بن عبد الله ﷺ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ**

= الرومي، الشافعي، ثم الحنفي، كردي الأصل، من أهل شهرزور، ولد سنة (٨١٣ هـ) دأب في فنون العلم، حتى فاق في المعقولات، والمنقولات، واشتهر بالفضيلة.

(١) «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري»، المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (المتوفى: ٨٩٣ هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٢٩هـ) (٢/ ١٠٨).

(٢) المُنَاوِي (٩٥٢ _ ١٠٣١ هـ = ١٥٤٥ _ ١٦٢٢ م).
محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه، له نحو ثمانين مصنفًا، منها الكبير والصغير والتام والناقص، عاش في القاهرة، وتوفي بها.

(٣) الطِّيبي (٠٠٠ _ ٧٤٣ هـ = ٠٠٠ _ ١٣٤٢ م).
الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره، وكان شديدَ الردِّ على المبتدعة، ملازمًا لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعًا، ضعيف البصر.

(٤) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت _ لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ) (٢/ ٦٠٠).

مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١).

ففي هذا الحديث إشارة لآخر وصاياه لأمته ﷺ، **قال ابن حجر** ﵀: «وفائدة التنصيص على زمن النهي: الإشارة إلى أنه من الأمر المحكم الذي لم يُنسخ؛ لكونه صدر في آخر حياته ﷺ»(٢).

وقد جاء النهي في هذا الحديث مؤكدًا بثلاث مؤكدات:

الأولى: ذكره ﷺ أن هذا العمل مِن سنن مَن كان قبلنا، بقوله ﷺ: « **أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ**»، وقد نُهينا عن التشبه بهم.

الثاني: نهيه ﷺ في قوله: «**أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**».

الثالثة: تأكيد النهي بقوله ﷺ: «**إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

فهذه المؤكدات الثلاث اجتمعت دلالتها على تأكيد النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وقد تضمن نهيه ﷺ عن جميع صور اتخاذها مساجد.

الدليل الرابع: ما رواه عبد الله بن مسعود ﵁ مرفوعًا: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»(٣).

والشاهد فيه وصفه ﷺ متخذي القبور مساجد بأنهم شرار الخلق والعياذ بالله، و«يخبر ﷺ عمَّن تقوم الساعةُ عليهم وهم أحياءٌ أنهم شرار الناس،

(١) رواه مسلم حديث رقم (٥٣٢) من حديث جندب مرفوعًا.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٢٥).

(٣) «مسند أحمد» (٣٨٤٤) قال شعيب الأناؤوط: إسناده حسن، من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

ومنهم الذين يصلُّون عند القبور وإليها ويبنون عليها القباب، وهذا تحذيرٌ لأمته أن تفعل مع قبور نبيهم وصالحيهم مثل فعل هؤلاء الأشرار»[(١)].

الدليل الخامس: ما رواه مالك في «الموطأ»: عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: **«اللهمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[(٢)].

قال أبو الوليد الباجي في المنتقى: «قوله ﷺ **«اشْتَدَّ غَضَبُ الله»**، يريد: أنه أراد عذاب قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وإنما قال ﷺ ذلك في مرضه تحذيرًا مما صنعه اليهود والنصارى من ذلك»[(٣)].

قال الشيخ الفوزان حفظه الله: «خاف ﷺ أن يقع في أمته مع قبره ما وقع من اليهود والنصارى مع قبور أنبيائهم من الغلو فيها حتى صارت أوثانًا، فرغِب إلى ربه أن لا يجعل قبره كذلك. ثم نبّه ﷺ على سبب لحوق شدة الغضب واللعنة باليهود والنصارى. أنه ما فعلوا في حق قبور الأنبياء حتى صيّروها أوثانًا تعبد، فوقعوا في الشرك العظيم المضاد للتوحيد»[(٤)].

الدليل السادس: ما رواه عبد الله بن عباس ﷺ قال: **«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»** رواه أهل السنن

---

(١) «الملخص في شرح كتاب التوحيد» للفوزان (١٧٦).

(٢) أخرجه مالك (١/ ١٧٢) . ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤١) . عن عطاء بن يسار به مرسلًا، ووصله البزار كما في «كشف الأستار» (٤٤٠)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٤٣)، وفي إسناده ضعف، انظر: «فتح الباري» لابن رجب (٢/ ٤٤١)، وصححه الألباني في المشكاة (١/ ٢٣٤).

(٣) «المنتقى شرح الموطأ»، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ابن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، (١٣٣٢ هـ) (١/ ٣٠٧).

(٤) «الملخص» (ص١٧٩).

الأربعة[١]، وحسَّنه الترمذي، والبغوي[٢]، وابن تيمية[٣].

وفي الحديث النهي عن زيارة النساء للقبور، والنهي عن تعظيم القبور باتِّخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها المفضي إلى الغلو فيها وعبادتها.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «فعمَّ بالنهي أن يُتَّخذ شيءٌ من القبور مسجدًا، وخصَّ قبورَ الأنبياء والصالحين؛ لأنَّ عكوفَ الناس على قبورهم أعظم، واتخاذَها مساجد أكثر، ونصَّ على النهي عن أن يُتَّخذ قبر واحد مسجدًا، كما هو فعل أهل الكتاب، ولذلك إن لم يكن عليه مسجدٌ، لكن قصَده إنسان ليصلِّي عنده، فهذا قد ارتكب حقيقةَ المفسدة التي كان النهي عن الصلاة عند القبور من أجلها، وقد اتخذ القبورَ مساجدَ يقصدها للصلاة فيها، والصلاة عندها، كما يُقصَد المسجدُ الذي هو مسجدٌ للصلاة فيه؛ فإنَّ كلَّ مكان أُعدَّ للصلاة فيه أو قُصِد لذلك فهو مسجد. بل كلُّ ما جازت الصلاة فيه فهو مسجد، كما قال ﷺ: «**جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[٤]، وقال ﷺ: «**الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا المَقْبَرَةَ وَالحَمَّامَ**»[٥] وسواء كان في بيت أو كان محوط، وقد بُني عليه بناءٌ لأجله أو لم يكن»[٦].

(١) «سنن أبي داود» (٣٢٣٦)، و«سنن الترمذي» (٣٢٠)، و«سنن النسائي الصغرى» (٢٠٤٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٧٦).

(٢) «شرح السنة»، المؤلف: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية (٢/ ٤١٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٤٨-٣٥٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري حديث رقم (٤٣٨)، ومسلم حديث رقم (٥٢١)، والنسائي (٧٣٦) واللفظ له.

(٥) رواه الترمذي في «سننه» برقم (٣١٧)، وابن ماجه (٧٤٥)، وأحمد (١١٧٨٨) وصححه الألباني.

(٦) «شرح عمدة الفقه»، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمد الإصلاحي وآخر، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض)، الطبعة: الثالثة، (١٤٤٠ هـ) (٢/ ٤٧٠).

✍ وقال الإمام البغوي ﷺ في شرحه للحديث: «(والمتخذين عليها المساجد): إنما حرم اتخاذ المساجد عليها؛ لأن في الصلاة فيها استنانًا بسنة اليهود.

(والسرج): جمع سراج، وهو المصباح، وإنما حرم اتخاذ السرج عليها؛ لأنها من آثار جهنم، وفيه تضييع المال بلا نفع، وللاحتراز عن تعظيم القبور، كالنهي عن اتخاذها مساجد»(١).

الدليل السابع: ما رواه جابر ﷺ قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ**»(٢).

ويشهد لمنع التجصيص والبناء ما أخرجه مسلم عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ «**أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»(٣).

ويشهد لمنع الجلوس على القبر: ما أخرجه مسلم أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ**»(٤).

بالنظر للأدلة السابقة؛ يمكن استنباط عدد من المسائل العلمية المهمة والتي بيانها وإيضاحها مما يزيد المسألة وضوحًا، ليظهر ما قد يكتنفها من لبس عند بعض الناس.

---

(١) «شرح مصابيح السنة للإمام البغوي»، المؤلف: محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف ابنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بن فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (ت ٨٥٤ هـ) بتصرف، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، (١٤٣٣هـ)، (١/٤٤٧).

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٩٧٠).

(٣) مسلم حديث رقم (٩٦٩).

(٤) مسلم حديث رقم (٩٧١).

المسألة الأولى: حقيقة اتخاذ القبور مساجد

صح النهي عن اتخاذ القبور مساجد، غير أن البعض قد يجادل في بعض الصور التي يشملها النص؛ بحجة أنها ليست من اتخاذ المساجد قبورًا، فكان لزامًا بيان حقيقة اتخاذ القبور مساجد، والمتأمل في نصوص النهي عن اتخاذ القبور مساجد يجد أن حقيقة هذه الصورة المنهي عنها تتحقق بثلاثة أمور:

الأول: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها.

الثاني: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

الثالث: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها.

فكلٌ واحدٍ من هذه الأفعال الثلاثة يتحقق به المعنى الذي جاء النهي عنه على لسان رسول الله ﷺ، وعلى هذا دل كلام أهل العلم وتقريراتهم.

قال الشيخ الألباني ؒ: يمكن أن يفهم من هذا الاتخاذ إنما هو ثلاثة معان[1]:

الأول: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها.

قال ابن حجر الهيتمي ؒ: «اتخاذ القبر مسجدًا معناه الصلاة عليه أو إليه»[2].

قال الإمام النووي ؒ: «قوله ﷺ **(لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا)** فيه تصريح بالنهى عن الصلاة إلى القبر، قال الشافعي ؒ: وأكره أن يُعظَّم مخلوق حتى يُجعل قبره مسجدًا؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من

(١) ذكرته ملخصًا.

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، (١٤٠٧هـ) (١/ ٢٤٦).

الناس»[١].

الثاني: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

قال المناوي رحمه الله: «أي اتخذوها جهة قبلتهم، مع اعتقادهم الباطل، وإن اتخاذها مساجد لازم لاتخاذ المساجد عليها كعكسه، وهذا بين به سبب لعنهم؛ لما فيه من المغالاة في التعظيم»[٢].

قال الألباني رحمه الله: «يعني: -أي المناوي- يلزم من السجود إليها بناء المساجد عليها، كما يلزم من بناء المساجد عليها السجود إليها، وهذا أمر واقع مشاهد»[٣].

وقد جاء النهي عن ذلك صريحًا في «صحيح مسلم»، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»**[٤].

وفي هذا إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ ألا ترى أن قبور الأنبياء من أطهر البقاع؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم، وإنما أراد ﷺ المنع بفتنتها، كما افتتن قوم نوح ومن بعدهم، ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما لعن فاعله؛ لكونه وسيلة إلى تعظيمها، وجعلها نصبًا يوفض إليه المشركون كما هو الواقع، فهكذا اتخاذ المساجد عليها تعظيم لها وتعريض للفتنة بها.

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٧/ ٣٨).

(٢) «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، (١٣٥٦هـ) (٤/ ٤٦٦).

(٣) «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة (ص٢٩).

(٤) «صحيح مسلم» حديث رقم (٩٧٢).

✍ **وقال ابن العماد:** قال العلماء: فإذا كان هذا في حال من سجد لله في مسجد على قبر؛ فكيف حال من سجد للقبر نفسه أو لمن فيه، قالوا: وإنما أكد الزجر عن الصلاة في المسجد الذي على القبر، وغلظ في أمره باللعن والوعيد؛ تحذيرًا من التشبُّه بعبدة الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسدًّا للذريعة، خوفًا من أن يُعبد مع الله تعالى غيره، وظاهر الحديث يقتضي تحريم اتخاذ المسجد على القبر، وإن كان في ملك الباني»[(١)].

الثالث: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها

بوب البخاري ﷺ: «باب ما يُكره من اتخاذ المساجد على القبور» ثم ساق حديث عن عائشة ﷺ، عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: **«لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا»**. قَالَتْ: وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

فيُمنع بناء المسجد على القبر أو إدخال القبر في المسجد، **قال ابن حجر** ﷺ: «قال الكرماني مفاد الحديث منع اتخاذ القبر مسجدًا ومدلول الترجمة اتخاذ المسجد على القبر ومفهومهما متغاير، ويجاب بأنهما متلازمان وإن تغاير المفهوم»[(٢)].

وكذلك لا تجوز الصلاة في المساجد التي فيها قبور، **قال الألباني** ﷺ: «أما شمول الأحاديث للنهي عن الصلاة في المساجد المبنية على القبور؛ فدلالتها على ذلك أوضح، وذلك لأن النهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة فيها من باب أن النهي عن الوسيلة يستلزم النهي عن

(١) «فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب» للإمام المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، المؤلف: أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (المتوفى:٨٧٠ هـ)، قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دراسة وتحقيق وتخريج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، الناشر: المُحقِّق، الطبعة: الأولى، (١٤٣٩ هـ)، (١٤/ ٧٩).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٠١).

المقصود بها والتوسل بها إليه، مثاله: إذا نهى الشارع عن بيع الخمر فالنهي عن شربه داخل في ذلك، كما لا يخفى بل النهي عنه من باب أولى...

فإذا أمر الشارع ببناء المساجد؛ فهو يأمر ضمنًا بالصلاة فيها؛ لأنها هي المقصودة بالبناء، وكذلك إذا نهى عن بناء المساجد على القبور؛ فهو ينهى ضمنًا عن الصلاة فيها؛ لأنها هي المقصودة بالبناء أيضًا، وهذا بيِّنٌ لا يخفى على العاقل إن شاء الله تعالى»[١].

وفي صحة الصلاة فيها خلاف، وعلى المذهب أنها لا تصح، وفرَّق الشيخ ابن عثيمين ﷺ فيما إذا كان المسجد قَبْلَ القبر فإن الصلاة صحيحة بشرط أن لا يكون في قِبْلَةِ المسجد، وإن كان القبر موجود قَبْلَ المسجد والمسجد بني عليه؛ فإن الصلاة لا تصح. والله أعلم[٢].

الخلاصة:

تبيَّن مما سبق أن البناء على القبور واتخاذها مساجد بأي صورة من الصور الثلاث الآنفة الذكر محرم، وهو من الكبائر المفضية إلى الشرك:

قال الشافعي ﷺ: «وأكره أن يبنى على القبر مسجد، وأن يسوى أو يصلى عليه، وهو غير مسوّى أو يصلى إليه»[٣].

قال ابن تيمية: «اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا الصلاة عندها»[٤].

---

(١) «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص٣٧).

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (٨/ ٢).

(٣) «الأم»، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: (١٤١٠هـ) (١/ ٣١٧).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الناشر: دار عالم الكتب، الطبعة: السابعة (٢/ ٢٩٨).

وقال أيضًا: «فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء، والصالحين، أو الملوك وغيرهم، تتعين إزالتها بهدم، أو بغيره[1]، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين»[2].

وقال ابن القيم ﷺ: «أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن مَن فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور، وتشريفها، واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيدًا، وعن شد الرحال إليها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سدًّا للذريعة»[3].

وعدَّ الهيتمي من الكبائر التالي: «اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها»[4].

وغيرها من أقوال العلماء- سلفًا وخلفًا- متكاثرة في بيان تحريم بناء المساجد على القبور؛ لصحة النص وصراحته في ذلك.

المسألة الثانية: وجود قبر النبي ﷺ داخل المسجد

استدل من قال بجواز بناء المساجد على القبور أو إدخال القبور في المساجد بوجود قبر النبي ﷺ داخل المسجد النبوي.

فيقال: «أما كون قبره ﷺ في المسجد، فهذا لم يكن من فعل الصحابة ﷺ،

---

(١) هدم المساجد والقباب المبنية على القبور في حق مَنْ بيده الأمر من الحكام والأمراء، وليس حكمًا متروكًا للعامة، وهو من باب إنكار المنكر باليد، وهذا له أحكام خاصة يُرجع لها في مظانها.

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٨٧).

(٣) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ١١٢).

(٤) «الزواجر» (١/ ٢٤٤).

وإنما كان ﷺ مدفونًا في حجرة عائشة ﵂، وكانت خارج المسجد، ثم لما أراد الوليد بن عبد الملك توسعة المسجد عام (٩٤هـ) أدخل حجرة عائشة إلى المسجد، وقد خالفه في هذا الفعل التابعون، وأنكروا عليه، كسعيد بن المسيب وغيره، وعليه يُقال:

١. النبي ﷺ لم يُدفن في المسجد، بل دُفن في بيته.

٢. المسجد لم يُبن على قبره ﷺ، بل هو الذي بناه ﷺ في حياته.

ويظهر -والله أعلم- أن الوليد إنما جعل حدَّ المسجد من الجهة الشرقية حجرة عائشة، فالحجرة من الجهة الشرقية ملاصقة للمسجد لا داخلة فيه، وأما الجهة الشمالية التي هي عكس القبلة فوسع من خلفها، فصار القبر من تلك الجهة في قبلة المصلي، ولذا جعلوا في جهته الشمالية جداران مسنمان - على شكل مثلث - وذلك حتى يكون القبر بعيدًا عن قبلة المصلي في تلك الجهة، وأحاطوه أيضًا بجدار من قبل الروضة.

فصورة القبر في تلك الحال أنه داخل الحجرة، والحجرة مغلقة تمامًا بثلاثة جدران، وكانت الحجرة ملاصقة للمسجد لا داخلة فيه، إلا من الجهة الشمالية.

فلما كان عهد الدولة العثمانية، وسَّعوا المسجد من الجهة الشرقية بعد الحجرة، فصار القبر داخل المسجد تمامًا، وهو فعل لا يُحمد البتة.

ولذا لما جاءت التوسعة السعودية الأخيرة للمسجد لم يوسعوا من الجهة الشرقية من جهة القبر، وإنما رجعوا كثيرًا كما هو ملاحظ الآن، وهذا من مناقبها حرسها الله بالتوحيد»[1].

---

(١) «الوجيز في شرح كتاب التوحيد».

✍ **وفي هذا يقول الشيخ الكوراني** ﵀: «فإن قلت: إذا كان المساجد على قبور الأنبياء بهذه المثابة من الجرم العظيم؛ فكيف بنوا على قبر رسول الله ﷺ المسجد؟ قلت: لم يبنوا على قبره مسجدًا، بل كان المسجد هناك قبل القبر.

✍ **قال النووي**: لما كثر المسلمون وامتدت الزيادة في المسجد حتى دخلت بيوت أمهات المؤمنين في المسجد، ومنها حجرة عائشة، وكان فيها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، بنوا على القبور حيطانًا من قفة مستديرة؛ لئلا تظهر فيصلي عليها العوام، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا؛ حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبلة»[1].

المسألة الثالثة: البناء على القبور وتجصيصها

المسألة التي قبل في بناء المساجد على القبور أو في اتخاذها مسجدًا بالصلاة عندها أو عليها أو إليها، وهذه المسألة في البناء على القبور أو تجصيصها، والصحيح أنه لا يجوز البناء على القبور ولا تجصيصها، والسنة أن تكون متساوية مستوية مرتفعة قدر شبر، جاء في البخاري: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ سُفْيَانَ التَّمَّارِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: «أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ مُسَنَّمًا»[2].

✍ **قال المعلمي** ﵀: «فيه أن من الهيئة المشروعة التسنيم، والظاهر أن تلك الحال هي التي وُضِعَت عليها القبور؛ لأنه لم يثبت أنها كانت مسطَّحة

(١) «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري»، المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى (٨٩٣ هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٢٩ هـ) (٢/ ١٠٨).

(٢) «صحيح البخاري» حديث رقم (٢/ ١٠٣): «باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر ﵄».

كما علمت، ولأن قبر النبي ﷺ وصاحبيه لا يجْسُر أحدٌ أن يُقدِم على تغييرها عمَّا اتفق عليه الصحابة، خصوصًا في تلك المدة، والصحابة ﷺ أحياء، وفي التابعين أئمة فضلاء، والتغيير الذي وقع في إمارة عمر بن عبد العزيز إنما هو بناء الجدار للاضطرار، ولم يثبت تغيير في هيئة القبر، ولا ضرورة تدعو إليه، ولو احتيج إلى إصلاح زالت به الهيئة الأولى، لما أُرْجِعَ إلا بنحوها. وحسبك بعمر بن عبد العزيز علمًا وورعًا ودينًا، وهو يومئذٍ حاضرٌ وهو الأمير، ولا بد أن يكون استشار من هنالك من العلماء، وعمل بمشورتهم»(١).

✍ **قال في الفتح**: «روى أبو بكر الآجري في كتاب صفة قبر النبي ﷺ من طريق إسحاق بن عيسى ابن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المديني قال: رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز، فرأيته مرتفعًا نحوًا من أربع أصابع»(٢).

✍ **وقال في التوضيح**: «قال الشافعي: تُسطَّح القبور ولا تُبنى ولا تُرفع، تكون على وجه الأرض نحوًا من شبر»(٣).

فهذا يدل على أن السُنَّة تسنيم القبر وارتفاعه قدر شبر؛ ليكون ظاهرًا فلا يمتهن أو يصلى عليه أو إليه فلا يُبنى عليه، ولا يُجصص؛ لورود النهي

(١) «آثار الشيخ العَلَّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلِّمِيّ اليَماني»، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، منهم: المدير العلمي للمشروع عَلِي بْن مُحَمَّد العِمْرَان، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، (١٤٣٤ هـ) (٥٣٧-٣٨).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٧).

(٣) «التوضيح لشرح الجامع الصحيح»، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، (١٤٢٩ هـ) (١٠/ ١٩٤).

عن ذلك، فَعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»(١).

فالحديث فيه أمر بتسوية القبور المرتفعة ارتفاعًا يخرجها عن السنة الواردة، فهذا الارتفاع المأمور بإزالته كما قال جمهور أهل العلم ليس هو التسنيم، ولا ما يعرف به القبر كي يحترم، وإنما هو الارتفاع الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله؛ فإنها كانت تُعلي عليها وتَبني فوقها تفخيمًا لها وتعظيمًا، وأما تسنيمها فذلك صفة قبر رسول الله ﷺ، وقبر أبي بكر وعمر ﵄.

✍ **وقال الإمام النووي في المفهم**: «(وقوله ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته) ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها، وأن تكون لاطية، وقد قال به بعض أهل العلم.

وذهب الجمهور إلى أن هذا الارتفاع المأمور بإزالته ليس هو التسنيم، ولا ما يعرف به القبر كي يُحترم، وإنما هو الارتفاع الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله؛ فإنها كانت تُعلي عليها وتَبني فوقها تفخيمًا لها وتعظيمًا، وأما تسنيمها فذلك صفة قبر رسول الله ﷺ، وقبر أبي بكر وعمر ﵄ على ما ذكر في «الموطأ»، وقد جاء عن عمر أنه هدمها وقال: ينبغي أن تسوَّى تسويةَ تسنيمٍ. وهذا معنى قول الشافعي: تُسَطَّح القبور ولا تُبنى ولا تُرفع، وتكون على وجه الأرض، وتسنيمها اختيار أكثر العلماء وجملة أصحابنا وأصحاب أبي حنيفة والشافعي.

قلت: والذي صار إليه عمر بن عبد العزيز أولى، فإنه جمع بين التسوية والتسنيم(٢).

---

(١) رواه مسلم حديث رقم (٩٦٩).

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر ابن =

✍ **وقال الشيخ الهرري:** «(قبرًا مشرفًا) أي: مرتفعًا (إلا سويته) أي: ألزقته بالأرض، قال في الأزهار: وقال العلماء: يستحب أن يرفع القبر قدر شبر، ويكره فوق ذلك»[١]، على ما جاء في صفة قبر النبي ﷺ.

ومن أدلة النهي - أيضًا- ما رواه جابر، قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ**» رواه مسلم.

✍ **قال الإمام النووي في المفهم:** «وقوله نهى أن يُجصص القبر ويُبنَى عليه، التجصيص والتقصيص هو البناء بالجصّ، وهو القَصّ والقَصّة، والجصاص والقصاص واحد، فإذا خلط الجصُّ بالرماد فهو الجيّار...

وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكَرِه البناء والجصّ على القبور، وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه، ووجه النهي عن البناء والتجصيص في القبور أن ذلك مباهاة واستعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبُّه بمن كان يعظّم القبور ويعبدها. وباعتبار هذه المعاني وبظاهر هذا النهي ينبغي أن يقال هو حرام»[٢].

فدل الحديث على النهي عن تجصيص القبر والقعود عليه والبناء، والنهي هنا يقتضي التحريم إلا إذا وجد صارفًا ولا صارف، بل إن واقع السنة يدل على عدم البناء والتجصيص، يقول الإمام الصنعاني ؒ: «الحديث دليل على تحريم الثلاثة المذكورة؛ لأنه الأصل في النهي، وذهب الجمهور إلى أن النهي

= إبراهيم القرطبي (٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، الناشر: (دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، (١٤١٧ هـ) (٢/ ٦٢٦).

(١) «الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، (١٤٣٠ هـ) (١١/ ٢٥٥).

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢/ ٦٢٧).

في البناء والتجصيص للتنزيه والقعود للتحريم، وهو جمع بين الحقيقة والمجاز، ولا يعرف ما الصارف عن حمل الجميع على الحقيقة التي هي أصل النهي، وقد وردت الأحاديث في النهي عن البناء على القبور والكتب عليها والتسريج، وأن يزاد فيها، وأن توطأ، فأخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**». وَفِي لَفْظٍ لِلنَّسَائِيِّ: «**نَهَى أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقَبْرِ أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ أَوْ يُجَصَّصَ أَوْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ**»[١].

ومن **الأدلة** ما جاء في «صحيح مسلم» عن ثمامة بْنَ شُفَيٍّ أنه قال: كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا**»[٢].

وفي «المصنف» عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ، قَالَ: خَرَجْنَا غُزَاةً فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ إِلَى هَذَا الدَّرْبِ وَعَلَيْنَا فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: فَتُوُفِّيَ ابْنُ عَمٍّ لِي يُقَالُ لَهُ: نَافِعٌ فَقَامَ مَعَنَا فَضَالَةُ عَلَى حُفْرَتِهِ، فَلَمَّا دَفَنَّاهُ قَالَ: «خَفِّفُوا عَنْ حُفْرَتِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَةِ الْقُبُورِ»[٣].

قال النووي رحمه الله: «فيه أن السُّنة أن القبر لا يُرفع على الأرض رفعًا كثيرًا ولا يُسنم، بل يُرفع نحو شبر ويُسطح، وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه، ونقل القاضي عياض عن أكثر العلماء: أن الأفضل عندهم تسنيمها، وهو مذهب مالك»[٤].

---

(١) «سبل السلام»، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث (١/ ٤٩٨).

(٢) «صحيح مسلم» حديث رقم (٩٦٨)

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٧٩٤)، وأحمد (٢٣٩٦٨)، وهو حديث صحيح.

(٤) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، (٧/ ٣٦).

✍ **وقال السبتي**(١) ﷺ في شرحه على مسلم: «وذكر الأمر بتسوية القبور، وفي الحديث الآخر: **(ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته)** جاء في هذا آثار عن النبي ﷺ وأصحابه وعن العلماء، وجاء -أيضًا- أنها صفة قبره وقبر أبي بكر وعمر، وجاء -أيضًا- أنها تُسَنَّمُ، وتسنيمها اختيار أكثر العلماء وجماعة أصحابنا وأبي حنيفة والشافعي، وحكى بعضهم فيه الخلاف، وحملهُ بعضهم على الرفق، وجمعوا بين الأمر بتسويتها وبين تسنيمها: أن تسويتها ألّا يبنى عليها بناءً عاليًا ولا تعظَّم، كما كانت قبور المشركين، وتكون لاطيةً بالأرض، ثم تسنم ليتميز أنه قبر، وقد جاء عن عمر أنه هدمها، وقال: ينبغي أن تسوى تسوية تسنيم، وهذا معنى قول الشافعي: تُسطَّح القبور، ولا تُبنى ولا تُرفع، وتكون على وجه الأرض نحوًا من شبر»(٢).

ما سبق تقريره هو ما دلت عليه النصوص هو المروي عن **الصحابة رضوان الله عليهم**، فروى البخاري أن ابن عمر ﷺ رأى فُسطاطًا على قبر

---

(١) القاضي عياض (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م)
عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش مسمومًا، قيل: سمه يهودي.
من تصانيفه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ط» و«الغنية - خ» في ذكر مشيخته، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك - ط» أربعة أجزاء وخامس للفهارس، و«شرح صحيح مسلم - خ» [ثم طُبع] و«مشارق الأنوار - ط» مجلدان، في الحديث، و«الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع - ط» في مصطلح الحديث وكتاب في «التاريخ».
نقلًا عن: «الأعلام» للزركلي (٥/ ٩٩).

(٢) «إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم»، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ) - المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، (١٤١٩ هـ) (٣/ ٤٣٩).

عبد الرحمن، فقال: «انزعه يا غلام، فإنما يظله عمله»[١].

وقال البيهقي في «السنن»: «وروينا عن أبي موسى في وصيته: «ولا تجعلن على قبري بناءً»، وعن أبي سعيد الخدري: «لا تضربن عليّ فسطاطًا»، وعن أبي هريرة كذلك»[٢].

◊ مسألة: القبة الموجودة على قبر النبي ﷺ

يستدل البعض بجواز البناء على القبور بشبهة أن على قبر النبي ﷺ قبَّة مبنية، وحقيقة الأمر أنه ليس دليلًا صحيحًا؛ لأن هذه القبة بُنيت في وقت متأخر عن عصر مَن يُقتدى بهم من الصحابة والتابعين، مع إنكار أئمة الهدى لها.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «ليس في إقامة القبة على قبر النبي ﷺ حجة لمن يتعلل بذلك في بناء قباب على قبور الأولياء والصالحين؛ لأن إقامة القبة على قبره لم تكن بوصية منه، ولا من عمل أصحابه ﷺ، ولا من التابعين، ولا أحد من أئمة الهدى في القرون الأولى التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، إنما كان ذلك من أهل البدع، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**.

وثبت عن علي ﷺ أنه قال لأبي الهياج: **أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**.

فإذا لم يثبت عنه ﷺ بناء قبة على قبره، ولم يثبت ذلك عن أئمة الخير، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك، لم يكن لمسلم أن يتعلق بما أحدثه المبتدعة من

---

(١) «صحيح البخاري» حديث رقم (٢/ ٩٥) باب: الجريد على القبر.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى»، باب: لا يبنى على القبور ولا تجصص (٧/ ٢٨٧).

بناء قبة على قبر النبي ﷺ»[١].

✍ **وفي ذلك يقول الإمام الصنعاني** ﵀: «فإن قلت: هذا قبر رسول الله قد عمرت عليه قبة عظيمة، أنفقت فيها الأموال.

قلت: هذا جهلٌ عظيمٌ بحقيقةِ الحالِ، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه، ولا من الصحابة، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أمته، وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي، المعروف بالملك المنصور في سنة (٦٧٨هـ)»[٢].

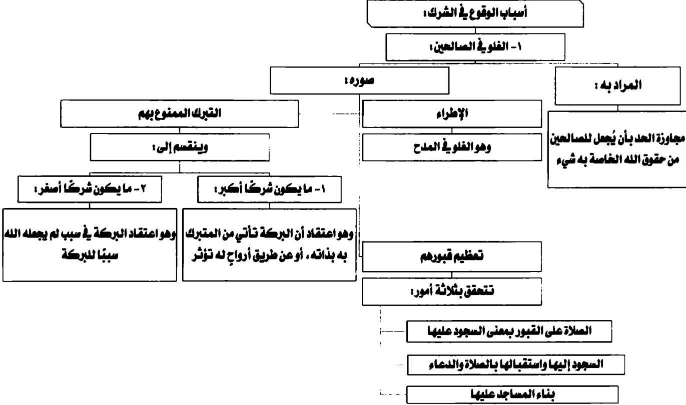
وبهذا يتضح أنها شبهة لا تستقيم، وأن الأصل ما ثبت عنه ﷺ من تحريم البناء على القبور.



---

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى»، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع (٢/ ٢٦٥).

(٢) «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، ويليه: «شرح الصدور في تحريم رفع القبور»، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني الناشر: مطبعة سفير، الطبعة: الأولى (ص٨٤).


أسباب الوقوع في الشرك:
١- الغلو في الصالحين:
المراد به:
مجاوزة الحد بأن يُجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء
صوره:
الإطراء
وهو الغلو في المدح
تعظيم قبورهم
تتحقق بثلاثة أمور:
الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها
السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء
بناء المساجد عليها
التبرك الممنوع بهم
وينقسم إلى:
١- ما يكون شركًا أكبر:
وهو اعتقاد أن البركة تأتي من المتبرك به بذاته، أو عن طريق أرواحٍ له تؤثر
٢- ما يكون شركًا أصغر:
وهو اعتقاد البركة في سبب لم يجعله الله سببًا للبركة

تدريب

س١: اذكر أهم أسباب الوقوع في الشرك.

س٢: اذكر بعضًا من صور الغلو في الصالحين، وبيِّن خطورته.

س٣: لماذا نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد.

س٤: ما العلة في عدم إبراز قبره ﷺ.

س٥: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) **بناء الأضرحة على القبور:**

(أ) جائز.

(ب) غير جائز.

(ج) جائز مع الكراهة.

(٢) **حكم الصلاة في المسجد الذي به ضريح:**

(أ) جائز مع الكراهة.

(ب) غير جائز.

(ج) جائز.

(٣) الجلوس فوق القبر:

(أ) غير جائز.

(ب) جائز.

(ج) جائز مع الكراهة.

س٦: ضع علامة (✓) أو (✗):

(١) لا يجوز التبرك بقبور الصالحين والأولياء. ( )

(٢) المسجد النبوي يضم قبر النبي ﷺ، وهذا دليل على جواز بناء المساجد على القبور. ( )



الأسئلـة

(١) عرف الغلو لغة واصطلاحا، وما المراد به في هذا المبحث؟.

(٢) ذكر في القرآن أصلين من أصول الشرك وقع فيهما المشركون بسبب الغلو، اذكرهما.

(٣) للغو في الدين مفاسد كثيرة، اذكر بعضا منها.

(٤) ما معنى التبرك بالصالحين؟ وما هي أقسامه من جهة الحكم؟.

(٥) متى يكون التبرك شرعيا؟ وكيف؟.

(٦) التبرك المشروع بالأشخاص على نوعين، اذكرهما مع الاستدلال لكل منهما.

(٧) لـِمَ لا يجوز التبرك بالأشخاص إلا ذات النبي ﷺ؟ اذكر ثلاثة الأسباب.

(٨) اذكر ثلاثة أدلة على أن تعظيم القبور لا يجوز، مع بيان وجه الدلالة.

(٩) ما حكم الجلوس على القبر؟ دلل لما تقول.

(١٠) ما حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور؟ وهل يستثنى من ذلك شيء؟ ولم؟.

(١١) هل يجوز البناء على القبور أو تجصيصها؟ ولم؟ استدل لما تقول بدليلين.



ثانيًا

اعتقاد التدبير في المعبودات من دون الله

معنى اعتقاد التدبير في المعبودات من دون الله أن يعتقد العبد أن مخلوقًا من مخلوقات الله بيده ضر أو نفع، يُعطي أو يمنع، سواءً كان العطاء في الدنيا أو الآخرة، عطاءً ذاتيًا -أي: بذاته ينفع ويضر- أو سببيًا -أي أنه سبب ولم يجعله الله سببًا-، وهذا أمرٌ ممتنع بينت الشريعة عدمه بعدة صور في القرآن الكريم، والسنة النبوية، منها:

(١) إثبات أن الأمر كله بيد الله سبحانه.

(٢) بيان ضعف المخلوقات، وأنها لا تملك شيئًا.

(٣) ذكر بعض أنواع العطاء والمنع، وبيان أنها بيد الله وحده.

وتفصيل ذلك بأدلته في الآتي:

❁ أولًا: إثبات أن الأمر كله بيد الله سبحانه

اللهُ سبحانه الربُّ المالكُ الخالقُ الرازقُ المدبرُ لشؤون خلقه أجمعين لا رب لهم سواه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

✍ **قال الطبري** ﷺ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: من بيده خزائن كلِّ شيء؟... وقوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ من أراد ممن قصده بسوء، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه

عذابه وعقابه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من ذلك صفته، فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمد: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ يقولون: فمن أيّ وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!»[1].

✍ **وقال ابن كثير** ﷺ: «يقرر تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له»[2].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

✍ **قال الطبري:** «وما عظَّم الله حقّ عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان»[3].

✍ **وقال ابن كثير:** «أي: ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره»[4].

وعند البخاري أنه جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ،

---

(١) «تفسير الطبري» (١٩/ ٦٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٨٨).

(٣) «تفسير الطبري» ٢١/ ٣٢٣.

(٤) «تفسير ابن كثير» ٥/ ٤٥٤.

ثُـمَّ قَـرَأَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧](١).

فمن كان هذا وصفه، فكيف يصرف حقه لغيره، فالله سبحانه هو المهيمن على خلقه، صاحب الملك المطلق، فلا تصرف العبادة لغيره، ولا يستحق أن يخضع لغيره، ولا يُرتجى ويُدعى أحد سواه.

ثانيًا: بيان ضعف المخلوقات، وأنها لا تملك شيئًا.

بيّن سبحانه في كتابه ضعف المعبودات من دون الله التي يتقرب لها عابدوها، فأبطل دعوى مشاركته سبحانه في تصريف الكون، أو النفع والضرر في آيات منها:

قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩١، ١٩٢].

فهذه الآية فيها بيان حال ضعف المعبودات من دون الله ووصف هذه المعبودات بصفات:

(١) أنهم لا يخلقون شيئًا.

(٢) أنهم مخلوقون.

(٣) أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم.

(٤) أنهم لا يستطيعون نصرة غيرهم.

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئًا من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٤٨١١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

بهم سوءًا، أو أحلّ بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءًا نصر نفسه ولا دفع ضر عنها؟

وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه، وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرًّا، فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعدُ؟»[1].

وقال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

فذكر تعالى من الحقائق العقلية، والوقائع الحسية الدالة على أنه سبحانه المستحق للعبادة، وبين من صفات المعبودات دونه ما يدل على نقصهم، وعدم استحقاقهم للعبادة، فمما أشارت إليه الآيات من هذه الحقائق التالي:

(١) أنهم لا يملكون حتى أصغر الأمور المحتقرة كالقطمير: وهو اللفافة الرقيقة على نواة التمر.

(٢) أنهم لا يسمعون دعاء من يدعوهم.

(٣) على فرض سماع صوت السائل؛ فإنهم لا يستطيعون إجابة سؤال السائل، لا بتحقيق مطالبهم ولا الرد عليه بجواب، فهذا حال معبوداتهم في الدنيا لا ينتفعون بها، وفي الآخرة ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ ﴾ [فاطر:١٤].

(٤) أنهم يوم القيامة يكفرون بشرك هؤلاء، وشركهم هو دعاء هذه الأصنام من

(١) «تفسير الطبري» (٣١٩/١٣).

دون الله، وهذا فيه بيان أن صرف الدعاء لغير الله شرك أكبر، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

فبهذه الأوصاف يتبين بها أن المعبودات من دون لا تستحق العبادة، وأن الذي يستحق العبادة هو من بيده الملك المطلق القادر الحكيم ﷻ المعطي المانع وحده.

✍ قال القرطبي ﷺ: «أَيْ هَـذَا الَّـذِي مِـنْ صُـنْعِهِ مَـا تَقَـرَّرَ هُـوَ الْخَـالِقُ المدبر، والقادر المقتدر، فهو الذي يُعبد»(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣].

✍ قال الطبري ﷺ تعليقًا على الآيات: «إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض من خيرٍ ولا شرٍّ، ولا ضرٍّ ولا نفعٍ، فكيف يكون إلهًا من كان كذلك؟!»(٢).

و«قطع تعالى الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعًا يعلم من تأمله وعرفه أن من اتَّخذ من دون الله وليًّا أو شفيعًا، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٦).

(٢) «تفسير الطبري» (١٩/ ٧٧٢).

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع:

(١) إما مالك لما يريد عابده منه.

(٢) فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك.

(٣) فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا.

(٤) فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده.

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيًا مترتبًا منتقلًا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يطلبها المشرك؛ وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا ونجاةً، وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها! والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنه في نوع، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا! وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن»[١].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: «حتى إذا جُلِّيَ عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب»[٢] بعد سماعهم لأمر الله.

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض)، الطبعة: الثانية، (١٤٤١ هـ) (١/ ٥٢٨-٥٣٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٥).

ففي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ[١]، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ[٢]، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ[٣]، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ»[٤].

وقوله: «كأنه سلسلة على صفوان» أي: الفزع الذي يحصل للملائكة كفزع من يسمع سلسلة على صفوان، فهو تشبيه للسماع بالسماع لا المسموع بالمسموع؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

✍ قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «وليس المراد تشبيه صوت الله تعالى بهذا؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، بل المراد تشبيه ما يحصل لهم من الفزع عندما يسمعون كلامه بفزع من يسمع سلسلة على صفوان»[٥].

---

(١) أي: إذا تكلم الله ﷻ بالوحي.

(٢) أي: تخضع الملائكة لقول الله تعالى ووحيه.

(٣) الذي يكذب الشيطان أو الساحر والكاهن مع ما قذف إليه.
ومائة كذبة: العدد هل له مفهوم أو للمبالغة؟ الذي يظهر أنه للمبالغة، والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم (٤٧٠١).

(٥) «القول المفيد على كتاب التوحيد»، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ) (١/ ٣١٠).

ففي هذه الآية والحديث بيان لأفضل أهل السماء جبريل ﵇ والملائكة الكرام، وأنهم يخافون ربهم ويصعقون إذا سمعوا الأمر منه سبحانه في السماء، وذلك لضعفهم وفقرهم وحاجتهم لله ﷻ، فكيف يُصرف لها شيء من أنواع الحاجات من دون الله تعالى، ومن هو دونهم من أهل الأرض والسماء من باب أولى.

والمراد: أن أفضل أهل السماء ليس بيدهم من الأمر شيء، وأن الأمر كله بيد الله، فلا يُصرف شيء من العبادة لغير الله، ولا يلتفت القلب لغيره.

وعَنْ أَنَسٍ ﵁، شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ» فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨][1].

هذا الحديث فيه بيان ضعف خير البشر سيدنا محمد ﷺ من وجهين:

الأولى: أنه ﷺ لم يستطع أن يدفع عن نفسه الشر، فكان من باب أولى أن يعجز دفع الشر عن غيره.

الثاني: أنه تعالى أخبر نبيه وصفيه من خلقه أنه ليس له من الأمر شيء بعد قوله: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ**»؟ استبعادًا منه ﷺ أن يفلحوا، فبيَّن اللهُ أن عواقب الأمور بيده سبحانه، وليست بيد النبي ﷺ؛ فليس له من تصريف الأمور شيء، فهذا حال خير البشر، وهو على قيد الحياة، فمن باب أولى بعد الممات، ومن باب أولى غيره من الصالحين والأولياء، فكيف يُطلب منهم، ويُنذر لهم، ويُذبح عند قبورهم والعياذ بالله، **وقد دل على هذا**

(١) أخرجه مسلم حديث رقم (١٧٩١)، وقال البخاري حديث رقم (٥/ ٩٩): باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٨] قال حميد وثابت: عن أنس شج النبي ﷺ يوم أحد فقال: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ**»؟ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨].

المعنى أحاديث عدة، منها:

ما رواه عبد الله عمر ﷺ أنه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجْرِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ العَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا**» بَعْدَ مَا يَقُولُ «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨](١)، وفي رواية: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ.

ففي هذا الحديث كذلك بيان لضعف خير البشر سيدنا محمد ﷺ وذلك من وجهين:

الأول: أن النبي ﷺ ومعه سادات الأولياء والصالحين يعودون عند طلب أمر من دفع ضر أو جلب نفع إلى الله، بخلاف ما يفعله من يدعون غير الله.

الثاني: أن الله لم يستجب دعاءهم لحكمة، وهذا فيه دليل على أنه ليس لهم من أمر النفع والضر شيء، وأن الأمر كله بيد الله.

فكيف يُطلب منهم النفع أو دفع الضر بعد مماتهم، بل كيف يُدعى ويُطلب من غيرهم.

وما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ** - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٤٠٦٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٢٧٥٣)، ومسلم حديث رقم (٢٠٤).

فقوله ﷺ: «لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا» قاله سيد الخلق مبيِّنًا أنه لا يغني عن عشيرته القريبة وخاصة أهله شيئًا، فدل ذلك أن من دونه في المكانة والفضل لا يغني شيئًا، فأمر ﷺ: عشيرته بقوله: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ»: بأن «ينقذوا أنفسهم من عذاب الله بتحقيق التوحيد والقيام بما أمر وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، فذلك هو الذي ينجي من عذاب الله لا الاعتماد على الأنساب والأحساب؛ فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب»[1].

فدلت هذه الأحاديث على أن الأمر كله لله ﷻ، وأن من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه؛ فالنبي ﷺ ومعه سادات الأولياء والصالحين يلجأون عند طلب أمر من دفع ضر أو جلب نفع إلى الله، إن شاء ﷻ استجاب لهم الدعاء على ما تقتضيه حكمته سبحانه، وإن شاء لم يستجب دعاءهم، بخلاف ما يفعله من يدعون غير الله.

ونستخلص أبرز الدلالات التي دلت عليها النصوص السابقة من استحقاق الخالق ﷻ العبادة دون من سواه، وأن من سواه لا يملك نفعًا ولا ضرًّا.

أوجه عدم استحقاق غير الله تعالى العبادة:

الوجه الأول: أنهم مخلوقون مربوبون لله ﷻ لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا غيرهم، فهي معبودات مربوبة لا تملك نفعًا ولا ضرًّا.

الوجه الثاني: بيان أن أفضل أهل الأرض عند الله وسيد الخلق محمد ﷺ محتاج إلى الله تعالى، فغيره من باب أولى، كما دل على ذلك عدم استجابة دعائه على كفار قريش، مع ما حصل منهم من الإيذاء والتكذيب، وبيانه: أنه لا يملك لنفسه ولا لعشيرته وأقرب الناس إليه نفعًا ولا ضرًّا.

---

(١) «فتح المجيد» (ص١٩٠).

الوجه الثالث: بيان ضعف أفضل أهل السماء الملائكة الكرام وحاجتهم إلى الله ﷻ.

الوجه الرابع: نفيه تعالى كل ما يتعلق به المتعلقون بغير الله، فنفى الله الملك المطلق إلا له، ونفى أن يكون له شريك في الربوبية أو معين، ونفى الشفاعة إلا بإذنه، فبأي حق يُطلب منهم أو يُصرف لهم شيء من العبادة(١).

❁ ثالثًا: ذكر بعض أنواع العطاء والمنع، وبيان أنها بيد الله وحده:

◊ أولًا: الهداية

مما يرغبُ فيه العبادُ هداية الله لهم، والهداية أربع مراتب:

(١) الهداية العامَّة:

وهي هداية كل مخلوق من الحيوان والآدمي لمصالحه التي بها قيام أمره، قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى:١-٣] وهذه لا تكون إلا لله ﷻ.

(٢) الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة والنار:

قال الله تعالى: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢، ٢٣].

(٣) هداية توفيق وإلهام:

وهي العناية والتوفيق والاجتباء وقطع أسباب الخذلان ومواده عن القلب، فلا تتخلف عنه الهداية البتة، وهذه لله وحده، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨].

(١) «الوجيز على كتاب التوحيد».

(٤) هداية دلالة وإرشاد:

وهي هداية البيان والدلالة. وهذه يملكها كل من أعطاه الله علمًا، وهي المرادة بقوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] وبقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢] أي: تدل وترشد.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد قال تعالى لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]. والهادي: هو الدليل الذي يدل بهم في الطريق إلى الله والدار الآخرة.

ولا يناقض هذا قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨]، فإن الله سبحانه تكلم بهذا وهذا. فرسله الهداة هداية الدلالة والبيان، وهو الهادي هداية التوفيق والإلهام. فالرسل هم الأدلاء حقًّا، والله سبحانه هو الموفق الملهم الخالق للهدى في القلوب»(١).

وذكر ابن جرير في تفسير الآية: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبًا»(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣/ ٤٦٥).
(٢) «تفسير ابن جرير» (١٩/ ٥٩٨).

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ نزلت في عم النبي ﷺ الذي لم يستطع خيرُ البشر وأكرمهم عند الله أن يهديه للإسلام.

فعن سعيد بن المسيب، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦](١).

فلم يستطع - صلوات ربي وسلامه عليه - نفع عمّه وهدايته للإسلام، وعندما أراد أن يدفع عنه عذاب النار؛ منعه الله من الاستغفار له، وغيره من باب أولى أنه لا يملك ضرًّا ولا نفعًا.

◈ ثانيًا: الرزق

الرزق بيد الله وحده، ولا يطلب من غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧].

فقد بيَّن تعالى في هذه الآية أحد أنواع العطاء الذي يفهمه غالب الناس، وبيَّن أنه منه وحده، وكذلك غيره من أنواع العطاء، والرزق شامل لكل أنواع

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (١٣٦٠)، ومسلم ٣٩ - (٢٤).

الرزق والعطاء، فلا تطلب هذه الأرزاق إلا من الله.

✍ **يقول ابن عطية** ﷺ: «ثم وقفهم على جهة الاحتجاج عليهم بأمر يفهمه عامتهم وخاصتهم، وهو أمر الرزق، فقرر أن الأصنام لا ترزق، وأمر الخير عند الله ﷻ، وخصص الرزق لمكانته من الخلق، فهو خير يدل على جنسه كله»[(١)].

فمن كان بيده الرزق وبيده المنع والعطاء هو وحده الذي يُرجى ويُدعى، لا غيره من المخلوقات المحتاجة لله في رزقها وكل أمرها، فيجب توحيد الله في طلب الرزق، ولا يجوز طلب الرزق من غيره سبحانه.

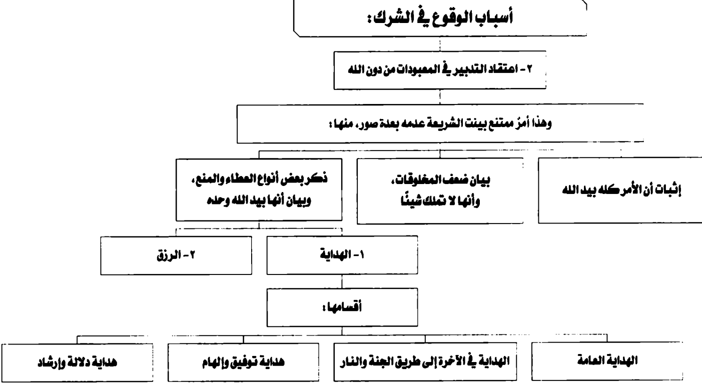
✍ **قال مقاتل بن سليمان**: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ يعني: وحِّدوه، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:١٧] واشكروا اللهَ في النِّعَم، فإنَّ مصيركم إليه»[(٢)].

✍ **وقال الطبري** ﷺ **في تفسير الآية**: إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئًا ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ يقول: فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، تدركوا ما تبتغون من ذلك ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾ يقول: وذلوا له ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ على رزقه إياكم، ونعمه التي أنعمها عليكم»[(٣)].

فطلب الرزق يكون من عند مالكه ﷻ، ويكون ذلك بالدعاء والتوكل على الله واعتماد القلب عليه، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، مع بذل الأسباب المشروعة التي أباحها.



(١) تفسير ابن عطية: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٤/ ٣١١).
(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ٣٧٧).
(٣) «تفسير ابن جرير» (١٠/ ٢٠).


أسباب الوقوع في الشرك:
٢- اعتقاد التدبير في المعبودات من دون الله
وهذا أمرٌ ممتنع بينت الشريعة عدمه بعدة صور، منها:
إثبات أن الأمر كله بيد الله
بيان ضعف المخلوقات، وأنها لا تملك شيئًا
ذكر بعض أنواع العطاء والمنع، وبيان أنها بيد الله وحده
١- الهداية
٢- الرزق
أقسامها:
الهداية العامة
الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة والنار
هداية توفيق وإلهام
هداية دلالة وإرشاد

تدريب

س١: اذكر الآيات الدالة على أن الأمر كله بيد الله وحده، وأن غيره لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا.

س٢: اذكر بعض الأدلة العقلية على بطلان دعاء الأموات.

س٣: اذكر مراتب الهداية؟

س٤: هل يجوز الدعاء على أناس بعينهم وبأسمائهم؟ اذكر الدليل.

س٥: أبو طالب عم النبي ﷺ كان يحوطه برعايته، ويمنعه من المشركين، فكان النبي ﷺ يدعو له، حتى نُهِيَ عن ذلك، فهل نفعه ذلك بشيء.

س٦: أكمل: من كان آخر كلامه........ دخل الجنة.

س٧: على ماذا يدل خوف الملائكة من الله ﷻ؟



الأسئلـة

(١) النفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من أربع خصال، اذكرها؟

(٢) اذكر أوجه عدم استحقاق غير الله تعالى العبادة.



الباب الأول

مـا ينقض أصـل التوحيد



توحيد الألوهية

الباب الأول: ما ينقض أصل التوحيد

الفصل الأول:

الأعمال القولية:

- ١- دعاء غير الله
- ٢- الاستغاثة بغير الله
- ٣- الاستعاذة بغير الله
- ٤- النذر لغير الله
- ٥- طلب الشفاعة من غير الله
- ٦- الاستهزاء بالله ورسوله وآياته

الفصل الثاني:

الأعمال العملية:

- ١- الذبح تقربًا
- ٢- السحر
- ٣- تشريع ما لم يشرعه الله
- ٤- ادعاء علم الغيب

الفصل الثالث:

الأعمال القلبية:

- ١- المحبة
- ٢- الخوف
- ٣- الرجاء
- ٤- التوكل

توطئـة

سأذكر في هذا الباب عددًا من الأعمال والعبادات التي الأصل في صَرْفِها لغير الله شركٌ أكبر مخرج من الإسلام، والعياذ بالله.

وهنا أؤكد أن هذا الحكم متعلق بالفعل لا بالفاعل؛ لأنه لابد فيه من توافر الشروط وانتفاء الموانع، كما هو مقرر عند أهل العلم.

وقد ذكرت سابقًا تعريفَ العبادة وبعضًا من ضوابطها، وفي هذا المقام يحسن التذكير بها على وجه الاختصار:

العبادة: «هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

وحقيقتها: كمال الذل والخضوع مع كمال المحبة.

وضابطها: أن يكون العمل مما أمر الله به، أو حثَّ عليه أو مدح فاعليه، أو منع من صرفه لغيره، أو سماه دينًا، أو ذكر ما يدل على ذم الإشراك في هذا العمل، أو جعله شرطًا لتحقق الإيمان، فأي فعل ورد بأحد هذه الصيغ فهو عبادة.

وفيما يلي بيان لأنواع العبادات العملية والقولية والقلبية التي يكون صرفها لغير الله شرك أكبر:



الفصل الأول

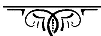
العبادات القولية التي صرفها لغير الله تعالى ينقض أصل التوحيد

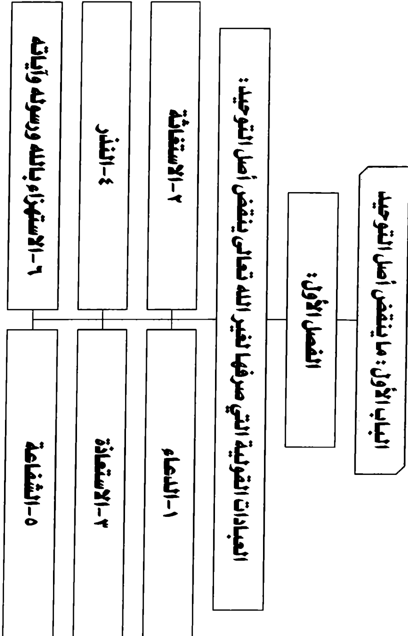
هناك مجموعة من العبادات القولية التي يكون صَرْفُها لغير الله شركًا أكبر.

وهنا أؤكد على أن المقصود أمران:

الأمر الأول: ذكر العبادات التي الأصل في حكم صرفها لغير الله أنه شرك أكبر.

الأمر الثاني: أن العبادات يجتذبها عمل الجوارح والقلب، وهنا سأجتهد في تحديد المحل الغالب على العبادة، فقد يكون العمل قوليًا، ولا بد من دخول عمل القلب فيه، وأنا اخترت ما هو ظاهر في العبادة، فإن كان الغالب في الظهور عمل اللسان جعلتها من أعمال اللسان، وإن كان الغالب ظهورًا عليها عمل الجوارح جعلتها معه، والله الموفق.




الباب الأول: ما ينقض أصل التوحيد
الفصل الأول
العبادات القولية التي صرفها لغير الله تعالى ينقض أصل التوحيد:
١-الدعاء
٢-الاستغاثة
٣-الاستعاذة
٤-النذر
٥-الشفاعة
٦-الاستهزاء بالله ورسوله وآياته

المبحث الأول

الدعـاء

الدعاء من أعظم العبادات وهو نوعان:

◈ **النوع الأول: دعاء مسألة**

هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضرٍّ.

◈ **النوع الثاني: دعاء عبادة**

وهو القيام بالعبادة التي أمر الله بها كالصلاة والصيام وغيرها، «وهو وإن لم يكن فيه صيغة سؤال وطلب إلا أن العابد طالب في المعنى، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن كل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة؛ لأن السائل أخلص سؤله لله»(١).

✍ **قال ابن رجب** ﷀ: «اعلم أن أصل الدعاء في اللغة: الطلب، فهو استدعاء لما يطلبه الداعي ويؤثر حصوله، فتارة يكون الدعاء بالسؤال من الله ﷻ والابتهال إليه، كقول الداعي: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، وتارة يكون بالإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب، وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره، وما يجب من عبده أن يفعله، وهذا هو حقيقة الإيمان»(٢).

✍ **يقول الشيخ السعدي** ﷀ: «كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين، يتناول دعاء المسألة،

---

(١) «مقاصد كتاب التوحيد» (ص١٨٥).
(٢) «فتح الباري» لابن رجب (١/ ٢٠).

ودعاء العبادة»[١].

وقد يكون أحد نوعي الدعاء أظهر في بعض الآيات، **يقول شيخ الإسلام** ﷺ: «فإنّ الدُّعاء في القرآن يراد به هذا تارةً وهذا تارةً، ويراد به مجموعهما؛ وهما متلازمان؛ فإنّ دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الدّاعي، وطلب كشف ما يضره ودفعِه،... فهو يدعو للنفع والضرِّ دعاءَ المسألة، ويدعو خوفًا ورجاءً دعاءَ العبادة؛ فعُلم أنَّ النَّوعين متلازمان؛ فكل دعاءِ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاءِ المسألة، وكل دعاءِ مسألةٍ متضمنٌ لدعاءِ العبادة.

وعلى هذا فقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] يتناول نوعي الدُّعاء... وبكل منهما فُسِّرت الآية. قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان...

فتأمَّله؛ فإنّه موضوعٌ عظيمُ النّفع، وقلَّ ما يُفطن له، وأكثر آيات القرآن دالَّةٌ على معنيين فصاعدًا، فهي من هذا القبيل»[٢].

وهذا التلازم بين معنى الدعاء والعبادة من الاستدلالات القوية على كون الدعاء من أنواع العبادة، بل من أخص العبادات التي يظهر فيها الفرق بين الخالق والمخلوق، ويظهر فيها كمال ذل العبد وخضوعه وتوكله، وأطلق الله على العبادة اسم الدعاء؛ لأن العبادة هي كمال الحب مع كمال الذل، والدعاء من أكثر العبادات الحاملة لهذا المعنى، وهذا الاستدلال ظاهر لمن تأمله.

وقد دلت كثير من الأدلة على أن الدعاء عبادة، وتعددت الصيغ والعبارات في ذلك ومنها:

---

(١) انظر كتاب: «الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة» للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (ص ١٦٩).
(٢) باختصار من «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤-١٥).

(١) الأدلة التي فيها أن الدعاء عبادة:

منها: قوله ﷺ: «(الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) ثم تلا ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]»[١].

✍ **قال الخطابي** رحمه الله: «وقوله: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» معناه أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، كقولهم: الناس بنو تميم، والمال الإبل، يريدون: أنهم أفضل الناس، أو أكثرهم عددًا أو ما أشبه ذلك، وإن الإبل أفضل أنواع الأموال، وأنبلها. وكقول النبي ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[٢]، يريد: أن معظم الحج الوقوف بعرفة وذلك؛ لأنه إذا أدرك عرفة، فقد أمن فوات الحج. ومثله في الكلام كثير»[٣].

✍ **وقال الملا علي القاري** رحمه الله: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» أي: هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تُسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله، والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه قائمًا بوجوب العبودية، معترفًا بحق الربوبية، عالمًا بنعمة الإيجاد، طالبًا لمدد الإمداد على وفق المراد، وتوفيق الإسعاد، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠] قيل: استدل بالآية على أن الدعاء عبادة؛ لأنه مأمور به والمأمور به عبادة.

(٢) الأدلة التي بيَّنت أن دعاء غير الله شرك

منها: قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ

---

(١) وأخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٢٠٧) و(٣٥٢٨) و(٣٦٦٨)، عن النعمان بن بشير مرفوعًا، وقال الألباني في «صحيح الجامع»: صحيح.

(٢) وأخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٩٠٤) و(٩٠٥)، والنسائي (٣٠١٦) عن عبد الرحمن بن يعمر، وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٧٢): صحيح.

(٣) «شأن الدعاء»، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، الطبعة: الأولى، (١٤٠٤هـ) (ص٥-٦).

وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

فسمَّى اللهُ دعاء غيره من المخلوقات شركًا، فقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٤].

✍ **قال الطبري** ﷺ: «إن تدعو أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم قولكم، بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولًا متيسرًا له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم»(١).

✍ **وقال الإمام البغوي** ﷺ: «﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ يَعْنِي: إِنْ تَدْعُوا الْأَصْنَامَ، ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ مَا أَجَابُوكُمْ، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤] يَتَبَرَّؤُونَ مِنْكُمْ وَمِنْ عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا، يَقُولُونَ: مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ»(٢).

ونلاحظ: أن المقصود بالدعاء هنا أصالة دعاء المسألة؛ لذلك قال لم يستجيبوا للنداء الذي هو أصل الدعاء.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥٣).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩٢).

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥، ٦].

قال الطبري رحمه الله: «وأيّ عبد أضلّ من عبدٍ يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة»[١].

فالله ذَكَرَ أن سبب هذا الضلال فيمن يدعو ميتًا، أو غائبًا أو حجرًا أو شجرًا- التالي:

(أ) أنهم لا يستجيبون للداعي، لا بردِّ الجواب ولا بتحقيق المراد، وفي حالة من الضعف لا تمكنهم من الجواب وهم عنهم غافلون، قال تعالى: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥].

(ب) وعلى احتمال أن الغفلة في الآية تعود إلى الداعي وليست الغفلة في المدعو، فيكون هذا الداعي كأنه في غفلة، فهو يشاهد ضعفهم وعدم إجابتهم، ومع هذا هو مستمر في دعائهم، فأي ضلال آكد من هذا، -وهو احتمالٌ ذكره ابن عطية في الآية-[٢].

يقول الشيخ أحمد القاضي: «وهذا التصوير فيه تنفير بالغ من هذه الحال؛ إذ كيف يليق بآدمي عاقل، وإنسان كامل، أن يخاطب من لا يستجيب له؟! فلو أن أحدًا قام إلى أحد هذه الأعمدة، وأخذ يخاطبه، ويتحدث معه؛ لكان مضحكة؛ إذ كيف يخاطب جمادًا؟! فكذلك هؤلاء الذين يسألون الأصنام والأموات تحقيق دعواتهم، لا يختلفون عن هذا بشيء، فهم أهل للمسبة والسخرية»[٣].

(١) انظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ٩٢، ٩٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٢/ ٩٥).

(٣) «بيت القصيد في شرح كتاب التوحيد»، المؤلف: أ.د أحمد بن عبد الرحمن القاضي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى (١٤٤٣هـ) (١/ ٢٣٠).

(ج) أن هذا المدعو سيكون عدوًّا لهذا الداعي الذي كان يرجو منه الخير، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الأحقاف:٦]، فعاقبه الله بخلاف مقصوده لأنه لجأ إلى غير ربه سبحانه.

(د) أن الدعاء عبادة، فلا يصرف لغير الله؛ لذلك سيتبرأ هذا المدعو من هذا الداعي ودعائه، قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦].

ونلاحظ: أن هذه الآيات دلالتها واضحة في تسمية الدعاء عبادة، وفي كون صرفه لغير الله كفرًا وشركًا.

(٣) الأدلة التي جاء فيها أن الدعاء هو الدين:

منها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، فجعل الدُّعاء هو الدين.

قال الطبري رحمه الله: «فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يقول: أخلصوا لله عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودية، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلّمهم، فصاروا إلى البرّ، إذا هم يجعلون مع الله شريكًا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابًا»[(١)].

وقال البغوي رحمه الله: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ وَخَافُوا الْغَرَقَ، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وَتَرَكُوا الْأَصْنَامَ، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ عِنَادِهِمْ وَأَنَّهُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يُقِرُّونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى كَشْفِهَا هُوَ اللهُ ﷻ وَحْدَهُ، فَإِذَا زَالَتْ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ. قَالَ عِكْرِمَةُ: كَانَ أَهْلُ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٦٠).

الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رَكِبُوا الْبَحْرَ حَمَلُوا مَعَهُمُ الْأَصْنَامَ، فَإِذَا اشْتَدَّتْ بِهِمُ الرِّيحُ أَلْقَوْهَا فِي الْبَحْرِ وَقَالُوا يَا رب يَا رب»[١].

فيُلاحظ في هذه الآية الآتي:

(أ) أن الله جعل الدعاء هو الدين ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

(ب) أن الدعاء يجب الإخلاص فيه.

(ج) أن دعاء غير الله نوع من أنواع الشرك، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

قال مقاتل بن سليمان: «قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥] فلا يُوَحِّدون كما يُوَحِّدونه ﷻ في البحر»[٢]، وهم كانوا يوحدونه في الدعاء والاستغاثة لينجيهم، فلما نزلوا البر دعوا واستغاثوا بغيره، فهذا ظاهر شركهم الذي في الآية.

(٤) الأدلة التي جاء فيها أن دعاء غير الله ظلم:

منها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦].

وهذه الآية تحتمل دعاء المسألة ودعاء العبادة، وهما متلازمان كما مر سابقًا، ودلالتها واضحة في كون دعاء غير الله من الظلم؛ لأنه صرف ما يستحقه الله وحده لغيره، وهو شرك.

قال السمعاني ﷺ: قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ الدُّعَاء يكون بمعنيين: أَحدهمَا: بِمَعْنى النداء، كَقَوْلِك: يَا زيد،

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٧).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٩٠).

وَيَا عَمْرو، وَالْآخر: بِمَعْنى الطّلب.

وَقَوله: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ مَعْنَاهُ: لَا ينفعك إِن دَعوته، وَلَا يَضرك إِن تركت دعاءه. وَقَوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يَعْنِي: مِمَّن وضع الدُّعَاء فِي غير مَوْضِعه»(١).

✍ قال الطبري ﷺ في تفسيره للآية: «ولا تدع، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام. يقول: لا تعبدها راجيًا نفعها أو خائفًا ضرَّها، فإنها لا تنفع ولا تضر ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك، فدعوتها من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول: من المشركين بالله، الظالمي أنفُسِهم»(٢).

✍ وفسرها الرازي بدعاء الطلب فقال في قوله تعالى: «﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين؛ لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه»(٣).

وبهذا يتضح كون الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شركا أكبر، سواء كان دعاء عبادة أو دعاء مسألة.

(٥) الأدلة التي جاء فيها ان دعاء غير الله ضلال:

منها: قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ

(١) «تفسير القرآن»، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ) (٢/ ٤٠٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٨-٢١٩).

(٣) «مفاتيح الغيب»، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤٢٠ هـ) (١٧/ ٣٠٩).

ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [الحج:١٢].

وهذه الآية ظاهرة السياق في كون المراد بالدعاء دعاء المسألة، وصرفه لغير الله من الضلال، فالآية التي قبلها تتحدث عمن إذا أصابه فتنة وضرٌّ انقلب على عقبيه، ومَن تصِبْه فتنة وضرٌّ يلجأ لدعاء المسألة أصالة، وإن كان قد يدخل فيها دعاء العبادة من جهة بعض الأفعال التي يفعلها الداعي لدفع الضّرِّ وهي محرمة، كالذبح لغير الله، أو لبس الحلقة والخيط لدفع البلاء، ولكن الذي يظهر من الآية أنه دعاء المسألة، ومحتمل أن المراد دعاء عبادة، لذلك قال ابن عطية ﷺ: «ومَعْنى يَدْعُو: يَعْبُدُ، ويَدْعُو أيضًا في مُلِمّاتِهِ»[1]. فجعل المعنيين في الآية محتملة، وهي متلازمة كما تقدم.

والشاهد أن الله جعل دعاء غيره دعاء مسألة أو دعاء عبادة من الضلال البعيد.

(٦) الأدلة التي جاء فيها أن الله هو الجدير بالدعاء، وهو المختص بالإجابة:

منها: قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

قال ابن عطية: «المُضْطَرّ لا يُجِيبُهُ مَتى أُجِيبَ إلَّا اللهَ ﷻ»[2]، والأظهر في الآية كونها في دعاء المسألة؛ لأن المضطر هو المكروب في حاجة وشدة، فلا يجيبه إلا الله، ولا يكشف السوء عنه إلا الله؛ إذًا فالله هو الذي يستحق الدعاء والمناجاة وحده.

والله سبحانه يجيب المضطر وغير المضطر، وخصص هذه الحالة؛ لوجود شدة التعلق بالله والانفكاك عما سواه أثناء الأزمات، وهذا ظاهر حتى في

(١) «تفسير ابن عطية» (٤/ ١١٠).

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» (٤/ ٢٦٧).

حال المشركين الأوائل؛ فإنهم إذا وقعوا في الكروب دعوا الله مخلصين له الدين.

ففي هذه الآية «ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣]. وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢] أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه»[١]، النتيجة أنه لا يستحق الدعاء والاستغاثة سواه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وهذه الآية ظاهرة في كون المراد بالدعاء هنا دعاء المسألة، وأسباب النزول توضح ذلك، فقد ورد أن النبي ﷺ سُئل: أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فنزلت هذه الآية[٢].

✍ **وقال الطبري** ؒ: «يعني تعالى ذكره: بذلك، وإذا سَألك يا محمد عبادي عَني: أين أنا؟ فإني قريبٌ منهم أسمع دُعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم»[٣].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٣).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٨٣، والبغوي في «معالم التنزيل» ١/ ٢٠٥.
وقد روى الطبري في «جامع البيان» ٢/ ١٥٨، وابن أبي حاتم في «تفسير القرآن العظيم» ١/ ٣١٥ (١٦٦٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» ٢/ ٥٣٥ (١٨٨)، وابن حبان في «الثقات» ٨/ ٤٣٦، وأبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين» (ص ٣١) (١٧)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١٤٣٥، والخطيب في «تلخيص المتشابه» ١/ ٤٦٢، كلهم من طريق جرير عن عبدة السجستاني، عن الصلب بن حكيم، عن أبيه، عن جده

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (٣/ ٤٨٠).

(٧) **الأدلة التي جاء فيها الأمر بدعاء الله سبحانه، وكل ما أمر الله به فهو عبادة:**

منها: **قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

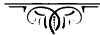
وهذا ظاهر في كون الدعاء دعاء مسألة، وأمر الله أن يدعى وحده بأسمائه الحسنى، ومن الإلحاد في آياته أن يدعى غيره بأسمائه.

وقوله ﷺ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[١].

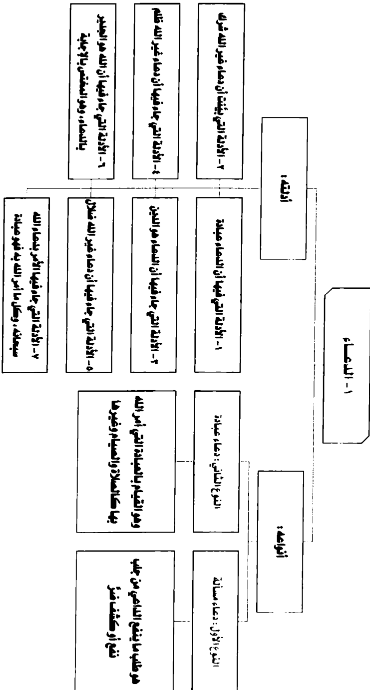
وفي هذا حصر للسؤال والاستعانة بالله تعالى، مما يدل على أنها من العبادات التي لا تكون إلا لله.

الخلاصة:

أن الدعاء عبادة لا تُصرف لغير الله سبحانه، سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة، وصرفها لغير الله شرك أكبر.



(١) رواه: الترمذي (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٢٦٦٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وأورده العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥١، ٧٩٥٧)، وقال: صحيح.


١ - الدعــاء
أنواعه :
النوع الأول : دعاء مسألة
هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضرٍّ
النوع الثاني : دعاء عبادة
وهو القيام بالعبادة التي أمر الله بها كالصلاة والصيام وغيرها
أدلته :
١- الأدلة التي فيها أن الدعاء عبادة
٢- الأدلة التي بيَّنت أن دعاء غير الله شرك
٣- الأدلة التي جاء فيها أن الدعاء هو الدين
٤- الأدلة التي جاء فيها أن دعاء غير الله ظلم
٥- الأدلة التي جاء فيها أن دعاء غير الله ضلال
٦- الأدلة التي جاء فيها أن الله هو الجدير بالدعاء، وهو المختص بالإجابة
٧- الأدلة التي جاء فيها الأمر بدعاء الله سبحانه، وكل ما أمر الله به فهو عبادة

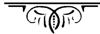
الأسئلة

(١) عرف العبادة، واذكر حقيقتها وضابطها.

(٢) اذكر أنواع الدعاء مع الاستدلال والتمثيل لكل نوع.

(٣) دلت آيات كثيرة من كتاب الله تعالى على أن الدعاء عبادة، اذكر أربعة منها مع ذكر وجه الدلالة.

(٤) ذكر الله تعالى عدة أسباب لضلال من يدعو ميتًا أو غائبًا أو حجرًا، اذكرها مع الاستدلال لها.



المبحث الثاني

الاستغاثة

استغاثة العبادة من العبادات القولية التي صرفها لغير الله شرك أكبر.

والاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون.

◈ **الفرق بين الاستغاثة والدعاء:**

الدعاء	الاستغاثة
الدعاء يكون من المكروب وغيره.	الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب.
الدعاء كله عبادة.	الاستغاثة ليست كلها عبادة.
الدعاء معنى خاص في الهيئة، والكيفية، ويكون معه حب المدعو، وتعظيمه، والرغبة إليه، وإظهار الافتقار إليه، واعتقاد قدرته، وإجابته على الإعطاء.	المستغيث، قد يستغيث بإنسان بدون أن يكون بقلبه محبة له، وتعظيم.

◈ **تنبيه مهم:**

الدعاء أعم من الاستغاثة، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة.

فإذا عُلم أن الاستغاثة نوع من أنواع الدعاء، فكل دليل فيه صرف الدعاء لغير الله شرك فإن الاستغاثة داخلة فيه.

◊ حكم الاستغاثة بغير الله:

تنقسم الاستغاثة بغير الله إلى ثلاثة أقسام بحسب حكمها:

(١) شرك أكبر:

وتكون بإحدى الصور التالية:

- الصورة الأولى: وهي التي يكون فيها اعتماد القلب على المستغاث به بالكلية وليست على الله، وهي الاستغاثة المطلقة التي يجب أن لا تكون إلا لله.
- الصورة الثانية: الاستغاثة في دفع شيء لا يملكه إلا الله، كأن يستغيث به في دفع عذاب القبر.
- الصورة الثالثة: الاستغاثة بالأموات، أو الجمادات، أو الغائبين.

فجميع هذه الصورة داخلة في الاستغاثة التي صرفها لغير الله شرك أكبر؛ لأنها تجمع معاني العبودية من ذل واعتقاد في المستغاث به مما لا ينبغي إلا لله، ويسميها بعض أهل العلم استغاثة العبادة.

(٢) شرك أصغر:

وهي الاستغاثة بحيٍّ حاضر مع كون الاعتماد على الله، ويكون في أمر مقدور عليه، لكن بلفظ غير شرعي، كقوله: استغيث بالله وبك، فهنا الخلل لفظيًا وليس اعتقاديًا، وهو من شرك الألفاظ الذي سيأتي تفصيله.

(٣) استغاثة جائزة:

وهي الاستغاثة التي تجمع الشروط التالية:

(أ) أن تكون بحيٍّ حاضر قادر.

(ب) أن يكون القلب معتمدًا على الله، وأن يجعل المُستغَاث به سببًا، لا مؤثرًا بذاته.

(ج) أن تكون في شيء مقدور عليه عند جنس الخلق، وليس مما هو من خصائص الله.

(د) أن تكون بلفظ جائز.

ومن أدلة جواز هذا النوع، قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

ومما يدل على عدم صرف الاستغاثة لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ما يلي:

- أولًا: ما ذكرناه من أن الاستغاثة نوع من أنواع الدعاء، فكل ما جاء من آيات تمنع صرف الدعاء لغير الله الاستغاثة داخلة فيها.
- ثانيًا: أن الاستغاثة عبادة؛ لأن الله منع صرفها لغيره سبحانه، ومن ذلك:

(١) **قوله تعالى:** ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧].

قال الطبري ﵀: «وإن يصبك الله، يا محمد، بشدة أو بلاء، فلا كاشف لذلك إلا ربّك الذي أصابك به، دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد»[1].

وسبق أن بيّنتُ أن الاستغاثة هي الطلب لرفع البلاء، وإذا كان لا يرفع البلاء إلا الله؛ فلا يستغاث بغيره لرفعه.

(٢) **وقوله:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

قال ابن كثير ﵀: «ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣]. وهكذا

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (١٥/ ٢١٩).

قال هاهنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢] أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه»[١]، فوجب أن يفرد بالاستغاثة.

(٣) وَرَوَى اَلطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ اَلنَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي اَلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اَللهِ ﷺ مِنْ هَذَا اَلْمُنَافِقِ. فَقَالَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاَللهِ»[٢].

وهـذا الحـديث ثابـت ولكـن فيـه ضـعف؛ لأن فـي سـنده: عبـدالله بـن لهيعة ﷺ، ويدل على المقصود من وجهين:

الأول: في قوله: «إنه لا يستغاث بي» فيه إبطال الاستغاثة بغير الله ولو كانت بالرسول ﷺ.

الثاني: في قوله: «إنما يستغاث بالله» وفيه حصر الاستغاثة بالله وحده.

والصحابة ﷺ استغاثوا بالنبي ﷺ فيما يقدر عليه، وهو كف أذى هذا المنافق، فلماذا نهاهم عن ذلك مع أن فعلهم جائز؟

قيل في ذلك عدة أسباب[٣]:

(١) فيه إرشاد للحال الأكمل الذي فيه تأدب مع الله، بأن تجعل الاستغاثة به وحده حتى فيما يجوز.

(٢) أن النبي ﷺ لا يستطيع قتله؛ لأنه مُنع من قتل المنافقين، فقد جاء في الحديث: أن عبد الله بن أُبي بن سلول لما قال: والله لئن رجعنا إلى

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٣)

(٢) حديث ضعيف الإسناد، رواه الطبراني - كما في «جامع المسانيد» (٤/ ٥٦٨) لابن كثير، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) للهيثمي، و«الجامع الكبير» (١٢/ ٥٢) للسيوطي - عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.

(٣) «الوجيز» (ص١٧).

المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يقصد النبي ﷺ وأصحابه ﵃، فقال عمر ﵁: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١).

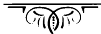
(٣) فيه سد لذريعة الاستغاثة بالنبي ﷺ فيما لا يقدر عليه، وإن كان قادرًا على التخلص من هذا المنافق.

الخلاصة:

أن الاستغاثة منها ما هو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ومنها ما هو جائز، فمما ينبغي التنبه إليه أن «المعنى الدال على الشرك لا يشتبه مع ما ليس كذلك؛ إذ إن التوحيد والشرك هما أظهر المعاني دلالة في الكتاب والسنة، وكذلك العقل والفطرة؛ حيث إنهما مدار المنازعة بين الرسل وأعدائهم.

ولقد كان الناس - في أزمان الرسالات - يستغيث ويستعين بعضهم ببعض فيما هو مقدور لهم، فما نهاهم الرسل عليهم الصلاة والسلام عن ذلك، وما حكموا عليهم بشرك ولا كفر به.

بينما حكموا على الذين كانوا يستغيثون بالأموات أو الغائبين بالشرك، كالمستغيثين بعيسى وعُزير والملائكة عليهم الصلاة والسلام، والمستغيثين بالأحجار والأشجار والأفلاك وما شابه ذلك»(٢)، وعين هذا يقال في الاستعاذة الجائزة والشركية، كما سيأتي معنا في التفريق بينهما. والله أعلم.



---

(١) رواه: البخاري حديث رقم (٤٩٠٥)، ومسلم حديث رقم (٢٥٨٤) من حديث جابر ﵁.

(٢) «شبهات المبتدعة في توحيد العبادة عرض ونقد»، المؤلف: د. عبدالله هذيل، الدار: الرشد، الطبعة الأولى (١/ ٣٦١-٣٦٢).

٢- الاستغاثــة

تعريفها:

هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة

الفرق بين الاستغاثة والدعاء:

الدعاء أعم من الاستغاثة، فكل استغاثة دعاء، ولا عكس

حكم الاستغاثة بغير الله:

١- شرك أكبر:

أ- إذا كان فيها اعتماد القلب على المستغاث به بالكلية وليست على الله

ب- إذا كانت في دفع شيء لا يملكه إلا الله

ج- الاستغاثة بالأموات، أو الجمادات، أو الغائبين

٢- شرك أصغر:

الاستغاثة بحيٍّ حاضر مع كون الاعتماد على الله، ويكون في أمر مقدور عليه، لكن بلفظ غير شرعي

٢- استغاثة جائزة:

أ. بحيٍّ حاضر قادر

ب. القلب معتمد على الله

ج. في شيء مقدور عليه عند الخلق

د. بلفظ جائز

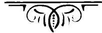
الأسئلة

(١) عرف الاستغاثة، واذكر الفرق بينها وبين الدعاء من ثلاثة أوجه.

(٢) اذكر أقسام الاستغاثة بغير الله بحسب حكمها، مع الصور المندرجة تحت كل قسم والتمثيل لها.

(٣) ما هي شروط الاستغاثة الجائزة؟ وما دليل جوازها؟

(٤) هل تجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ فيما يقدر عليه؟ علل ما تقول.



المبحث الثالث

الاستعاذة

الاستعاذة من العبادات القولية التي صرفها لغير الله شرك أكبر.

والاستعاذة لغة: الالتجاء والاعتصام.

والاستعاذة اصطلاحًا: قال ابن كثير: «هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير»(١).

وقال بعض أهل العلم: أن الاستعاذة تكون لمنع ضرر يتوقع وقوعه ويخافه، كقوله ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ مِن أَرْبَعٍ يقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٢).

وقال آخرون: الاستعاذة تكون لمنع ضرر حاضر، كقوله ﷺ: «**أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٣).

والصحيح أنه ﷺ استعاذ بالله من الأمرين قبل وقوع الضرر وأثنائه، فتكون الاستعاذة عامة من كل شر. والله أعلم.

✍ **قال عبد الرحمن بن قاسم** ؒ في الحاشية: «فالعائذ بالله قد هرب إليه، واعتصم واستجار به، ولجأ إليه، والتزم بجنابه مما يخافه، وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم بالقلب من ذلك أمر لا تحيط به العبارة، وقد أمر الله عباده بها

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١١٤).

(٢) رواه: مسلم حديث رقم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة

(٣) رواه: مسلم حديث رقم (٢٢٠٢) من حديث عثمان بن أبي العاص.

في مواضع من كتابه، وتواترت بها السنة عن المعصوم ﷺ، وهي عبادة من أجل العبادات»(١).

◈ حكم الاستعاذة المطلقة:

الاستعاذة أنواع متعددة، والمراد هنا: الاستعاذة التعبدية المطلقة التي لا تكون إلا لله؛ فهي عبادة، بخلاف الاستعاذة المقيدة بأمر معين من مخلوق حي قادر على أن يعيذه مما استعاذ منه.

والاستعاذة المطلقة عبادة من وجهين:

- **الوجه الأول:** أنها مأمورًا بها أن تكون لله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]، وبما أن الله أمر بها، فهي عبادة.
- **الوجه الثاني:** الاستعاذة التعبدية نوع من أنواع الدعاء، وذلك من جهتين:

(أ) أن فيها طلب العوذ وهذا الطلب دعاء، وهذا الجانب الظاهر منها.

(ب) الاستعاذة فيها ركون القلب ولجوئه بمن استعاذ به، وهذا الجانب الباطن فيها.

ويدل على ذلك أدلة منها:

(١) **قول الله تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

✍ **نقل ابن جرير** ﷺ عن ابن عباس ﷺ: «كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَبِيتُ أَحَدُهُمْ بِالْوَادِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الْوَادِي، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ إِثْمًا»(٢).

---

(١) «حاشية كتاب التوحيد» (ص١١٠).

(٢) «تفسير ابن جرير» (٢٣/ ٦٥٤).

والدلالة من وجهين:

(١) أن الله ذكر هذا الفعل على سبيل الذم؛ لأنه من عمل أهل الجاهلية الذين أمرنا بمخالفتهم.

(٢) أنه حكاية الجن عن أنفسهم بعد أن أسلموا، وسمعوا القرآن من النبي ﷺ فدل ذلك على أن هذا من أعمالهم التي تابوا منها.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]:

اختلف السلف في معنى الآية على قولين:

(١) زاد الجنُ الأنسَ رهقًا. والمعنى: أن الجن زادوا الإنس استضعافًا وخوفًا يرهق قلوبهم وأبدانهم.

(٢) زاد الإنسُ الجنَ رهقًا، والمعنى أن الإنس باستعاذتهم بالجن زادوهم استكبارًا، وهذا الاستكبار جعلهم يتمادون في المعاصي فيزدادون إثمًا.

✍ **قال الشيخ عبد العزيز بن باز** ﵀: «وكلا المعنيين حق، فإذا تعوَّذ الإنسان بالجن فهو تعظيم للجن، ويزاد الجن طغيان وتكبر[١]، ويقابله خوف الإنس من الجن، وذكرهم الله في معرض الذم، فيجب ترك فعلهم»[٢].

(٢) وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ ﵂ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٣].

---

(١) كذا بالأصل، والجادة: «طغيانًا وتكبرًا».

(٢) «شرح كتاب التوحيد»، المؤلف: الشيخ عبدالعزيز بن باز، الناشر: دار الضياء للنشر والتوزيع- طنطا، الطبعة: الأولى (١٤٢٤هـ) (ص٧٩).

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم (٢٧٠٨).

ووجه الدلالة في قوله ﷺ «فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» وفيه التعوذ بصفة من صفات الله تعالى وأن صفاته ليست مخلوقه، وبهذا استدل السلف على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله وأسمائه وصفاته، فلو كان كلامه مخلوقًا من المخلوقات؛ لما جازت الاستعاذة به، فالتعوذ بغير الله وأسمائه وصفاته شرك.

قال ابن عبد البر المالكي ﷺ: «وفي هذا الحديثِ من الفقهِ أيضًا: أن كلامَ الله ﷻ غيرُ مخلوق، وعلى ذلك أهلُ السُّنة أجمَعون، وهم أهلُ الحديثِ والرأي في الأحكام، ولو كان كلامُ الله أو كلماتُ الله مخلوقةً ما أمَر رسولُ الله ﷺ أحدًا أن يستعيذَ بمخلوقٍ»[1].

◈ حكم الاستعاذة بغير الله:

الاستعاذة بغير الله من جهة الحكم تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: شرك أكبر:

وهي استعاذة العبادة، والتي تحتوى على أحد الأمور الثلاثة التالية:

(أ) أن يكون فيها اعتماد القلب على المستعاذ به غير الله مطلقًا، فهذا شرك.

(ب) الاستعاذة بغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله.

(ج) الاستعاذة بالأموات، أو الجمادات، أو الغائبين.

---

(١) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ»، المؤلف: أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ)، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، وآخرون، الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن، الطبعة: الأولى، (١٤٣٩ هـ) (١٣/ ٤٦٣).

القسم الثاني: شرك أصغر

وهي التي يكون الاعتماد فيها على الله، ويكون في أمر مقدور عليه، من حاضر، لكن بلفظ غير شرعي، كقوله: أستعيذ بالله، وبك.

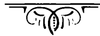
القسم الثالث: جائزة:

وهي التي جمعت الشروط التالية:

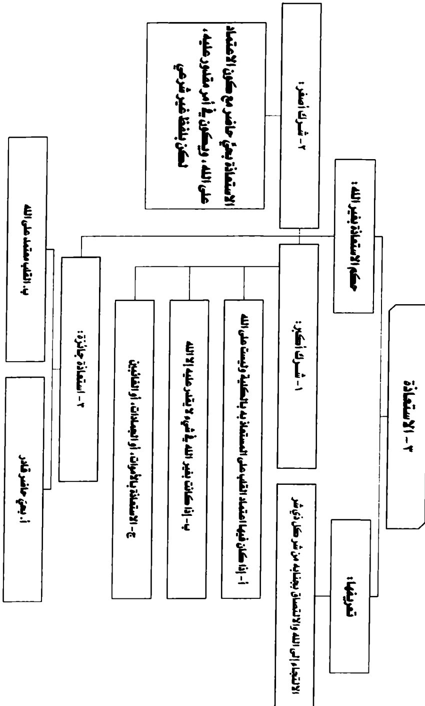
(أ) أن تكون بحيٍّ حاضرٍ فيما هو مقدور عليه عند جنس الخلق وليس من خصائص الله سبحانه.

(ب) أن يكون القلبُ معتمدًا على الله، وأن يجعل المستعاذ به سببًا لا مؤثرًا بذاته.

ومن أدلة جواز هذا النوع: قوله ﷺ **«سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»**[1].



(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٦٠١)، ومسلم حديث رقم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.


٣- الاستعاذة
تعريفها:
الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر
حكم الاستعاذة بغير الله:
١- شـرك أكبر:
أ- إذا كان فيها اعتماد القلب على المستعاذ به بالكلية وليست على الله
ب- إذا كانت بغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله
ج- الاستعاذة بالأموات، أو الجمادات، أو الغائبين
٢- شـرك أصغر:
الاستعاذة بحيٍّ حاضر مع كون الاعتماد على الله، ويكون في أمر مقدور عليه، لكن بلفظ غير شرعي
٣- استعاذة جائزة:
أ. بحيّ حاضر قادر
ب. القلب معتمد على الله

الأسئلة

(١) عرف الاستعاذة لغة واصطلاحا.

(٢) ما حكم الاستعاذة المطلقة؟ وهل هي عبادة؟ دلل على ما تقول.

(٣) هل طلب العوذ دعاء؟ ولم؟

(٤) الاستعاذة بغير الله من جهة الحكم تنقسم إلى أقسام، اذكرها مع بيان حكم كل قسم.

(٥) ما هي شروط الاستعاذة الجائزة؟ وما دليل جوازها؟



المبحث الرابع

النذر

النذر من العبادات القولية التي يجب صرفها لله وحده.

والنذر لغة: هو الإيجاب والإلزام، وجاء في «لسان العرب»: «قال أبو سعيد الضرير: إنما قيل له نذر لأنه نذر فيه أي أوجب، من قولك نذرت على نفسي أي أوجبت»(١).

وفي الاصطلاح: وجاء عن الفراهيدي: «النَّذْر: ما ينذُر الإنسانُ فيجعلُه على نفسه نَحْبًا واجبًا»(٢). وهذا تعريف عام للنذر، وعرفه الجرجاني بأنه: «إيجاب عين الفعل المباح على نفسه؛ تعظيمًا لله تعالى»(٣)، فقيده بكونه الالتزام بفعل المباح تعظيمًا لله، فلو ألزم نفسه بواجب لا يكون نذرًا؛ لأنه ملزوم به بدون النذر، وكونه تعظيمًا لله يخرج النذر عن الوعد الذي فيه إلزام النفس بفعلِ فعلٍ بدون تعظيم لله.

وفرَّق بعض أهل العلم بين الوعد والنذر بكون النذر مقيدا، فإن لم يكن مقيدًا لم يكن نذرًا وإنما وعد، **كما قال الفيروزآبادي في «القاموس»:** «النَّذْرُ: ما كان وعْدًا على شرطٍ، فَعَليَّ إنْ شَفَى اللهُ مَرِيضي كذا، نَذْرٌ، وعليَّ أن

(١) «لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٢٠٠).

(٢) «كتاب العين»، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال (٨/ ١٨٠).

(٣) «كتاب التعريفات» (ص٢٤٠)، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

أَتَصَدَّقَ بِدِينارٍ، ليس بِنَذْرٍ»[1]. والصحيح أن النذر يأتي مقيدًا ومطلقًا، وفرق بعضهم بينه وبين الوعد كون النذر الملزم ما كان من جنس الواجبات والمستحبات، وأما النذر في أمر مباح فهو مخير بين فعله أو الكفارة، والوعد خلاف ذلك فليست فيه كفارة، فالنذر وعد مؤكد يُلزِم فيه المكلف نفسه بفعل أمرٍ طاعة لله، وإن لم يفعله لمانع أو لكونه مباحًا فعليه كفارة.

الخلاصة:

أن النذر هو إلزام المكلف المختار نفسه شيئًا لله لم يكن واجبًا عليه بأصل الشرع.

◈ النذر عبادة؟

«النذر عبادة وقُربة، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له»[2]، **ويدل على ذلك:**

(١) أن الوفاء بالنذر أمر الله به، وما أمر الله به فهو عبادة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

(٢) أن الوفاء بالنذر أمر النبي ﷺ به، وما أمر به النبي ﷺ أمرًا جازمًا فهو عبادة، قال: النبي ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**»[3].

(٣) أن الله مدح الموفين بالنذر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٥-٧].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص٤٨١) تحقيق: مكتب تحيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

(٢) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/ ٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم (٦٦٩٦)، وأبو داود (٣٢٨٩)، والترمذي (١٦٠٥) و(١٦٠٦)، والنسائي (٣٨٠٦) من حديث عائشة ﵂.

(٤) ترتيب الجزاء عليه من الله يدل على أنه عبادة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠].

قال ابن عثيمين ﷺ: «تعليق الشيء بعلم الله دليل على أنه محل جزاء؛ إذ لا نعلم فائدة لهذا الإخبار بالعلم إلا لترتب الجزاء عليه، وترتب الجزاء عليه يدل على أنه من العبادة التي يجازى الإنسان عليها»(١).

دلالة الآية على المقصود من وجهين:

(١) تعظيم الله لأمر النذر، وقرنُه بالنفقة، وهذا فيه دليل على كون النذر عبادة كالنفقة وصرفها لغير شرك.

(٢) في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ إخبار من الله سبحانه أنه يعلمه ليجازيهم عليه، وكل هذا يدل على أنه عبادة، لا يجوز صرفها لغير الله.

قال ابن كثير ﷺ: «يخبر تعالى أنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين ابتغاء وجهه»(٢). اهـ.

◈ أقسام النذر من جهة الحكم:

(١) شرك أكبر:

إذا صرفه لغير الله، ووجه كونه شركًا:

(أ) أنه عبادة، فلا يجوز صرفه لغير الله.

(ب) أن الناذر لغير الله علق رغبته ورهبته في غير الله.

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (٩/ ٢٤٠) الناشر: دار الوطن - دار الثريا.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠١).

✍ **قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن** رحمه الله: «الناذر لله وحده علق رغبته به وحده؛ لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركًا بالله؛ لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، فقد جعله شريكًا لله في العبادة، فيكون قد أثبت ما نفته «لا إله إلا الله» من إلهية غير الله، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص»[1].

وقد نقل شيخ الإسلام رحمه الله الاتفاق على كون صرف النذر لغير الله شركًا فقال: «وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله لا لنبي ولا لغير نبي، وأن هذا النذر شرك لا يوفي به»[2].

✍ **وقال ابن نجيم** رحمه الله: «فَقَالَ الشَّيْخُ قَاسِمٌ فِي شَرْحِ الدُّرَرِ: وَأَمَّا النَّذْرُ الَّذِي يَنْذِرُهُ أَكْثَرُ الْعَوَامّ عَلَى مَا هُوَ مُشَاهَدٌ، كَأَنْ يَكُونَ لِإِنْسَانٍ غَائِبٌ أَوْ مَرِيضٌ، أَوْ لَهُ حَاجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ، فَيَأْتِي بَعْضَ الصُّلَحَاءِ فَيَجْعَلُ سُتْرَةً عَلَى رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ إنْ رُدَّ غَائِبِي، أَوْ عُوفِيَ مَرِيضِي أَوْ قُضِيَتْ حَاجَتِي فَلَكَ مِنْ الذَّهَبِ كَذَا، أَوْ مِنْ الْفِضَّةِ كَذَا، أَوْ مِنْ الطَّعَامِ كَذَا، أَوْ مِنْ الْمَاءِ كَذَا، أَوْ مِنْ الشَّمْعِ كَذَا، أَوْ مِنْ الزَّيْتِ كَذَا، فَهَذَا النَّذْرُ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ لِوُجُوهٍ مِنْهَا:

أَنَّهُ نَذْرٌ لِمَخْلُوقٍ وَالنَّذْرُ لِلْمَخْلُوقِ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ لِلْمَخْلُوقِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَنْذُورَ لَهُ مَيِّتٌ وَالْمَيِّتُ لَا يَمْلِكُ.

وَمِنْهَا: إنْ ظَنَّ أَنَّ الْمَيِّتَ يَتَصَرَّفُ فِي الْأُمُورِ دُونَ اللهِ تَعَالَى وَاعْتِقَادُهُ

---

(١) «قرة عيون الموحدين» (ص٧٧-٧٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٨٦).

ذَلِكَ كُفْرٌ»[١].

✍ **وقال أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل** ﷺ: «ومن هذا القسم -أيضًا- ما قد عم الابتلاء به، من تزيين الشيطان للعامة: تخليق الحيطان والعمد وسرح مواضع مخصومة في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن اشتهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا الى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر»[٢].

✍ **وعلق عليه الإمام البركوي** ﷺ: «يقولون: إن هذا الشجر وهذا الحجر وهذه العين يقبل النذر، أي: العبادة من دون الله تعالى، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له»[٣].

(٢) نذر محرم:

وهو النذر لله بفعل معصية، كنذره أن يذبح ولده أو أن يشرب الخمر.

✍ **قال شيخ الإسلام** ﷺ: «النذر قد يكون لله، وقد يكون لغير الله، وما نُذر لله قد يكون طاعة، وقد لا يكون طاعة»[٤]، فالنذر المعصية يكون لله

(١) «البحر الرائق شرح كنز الدقائق»، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية (٢/ ٣٢١).

(٢) «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، المحقق: عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى - القاهرة، الطبعة: الأولى، (١٣٩٨هـ) (ص٢٥-٢٦).

(٣) «زيارة القبور الشرعية والشركية»، المؤلف: الإمام محي الدين محمد البركوي، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة (١٤٣٣) (ص٥٨).

(٤) «نظرية العقد لشيخ الإسلام» (ص٢٩).

ولكن بفعل معصية وأما الشركي فيكون لغير الله أصلًا.

(٣) نذر مكروه:

وهو النذر المقيد المعلق على حصول شيء، كأن يقول: «لله عليّ كذا وكذا إذا نجحت»، وهذا الذي قال عنه النبي ﷺ: «**لَا تَنْذِرُوا، فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»[١]، ويسمى هذا نذر المجازاة، وهذا الحكم من جهة البدء به، فإن نذر نذرًا مقيدًا فيجب عليه الوفاء به على ما يأتي من تفصيل.

(٤) نذر جائز:

وهو النذر المطلق، كأن يقول: «نذرٌ عليَّ كذا وكذا» دون تعليقه بسبب، فهو يلزم نفسه بطاعة دون أن يعلقها بحصول شيء، وهذا النذر جائز والأولى تركه. وهذا الحكم كذلك من جهة البدء به.

◈ **متى يجب الوفاء بالنذر ومتى لا يجب؟**

(١) **يجب الوفاء بالنذر** إذا كان النذر نذر طاعة، سواءً كان مقيدًا أو مطلقًا؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**»[٢]، ولثناء الله على الموفين بالنذر، ونقل الإمام النووي ﷺ الإجماع على ذلك[٣].

(٢) **يجب الوفاء أو الكفارة**: إذا كان نذرًا مباحًا، كمن ينذر بلبس ثوبًا معينًا أو السفر لمكان معين، فهذا مخير بين الوفاء به أو الكفارة.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم (١٦٤٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) «صحيح البخاري» حديث رقم (٦٦٩٦).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، (١٣٩٢هـ) (١١/ ٩٦).

(٣) يحرم الوفاء بالنذر:

(أ) إذا كان النذر نذر معصية فلا يجوز الوفاء به؛ لقوله ﷺ: «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ**»[(١)]، ونقل ابن حجر وشيخ الإسلام ﷺ الإجماع على ذلك[(٢)]، وعليه كفارة يمين على الراجح من أقوال أهل العلم؛ لحديث عائشة ﷺ مرفوعًا: «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**[(٣)]»[(٤)].

(ب) إذا كان النذر لغير الله، فلا وفاء فيه؛ لأن النذر عبادة فلا يجوز صرفها لغير الله فلا ينعقد النذر أصلًا.

◊ **الفرق بين الحلف والنذر:**

اتضح مما سبق الفرق بين النذر والوعد، وفي هذا الموضع أبيِّن الفرق بين الحلف والنذر؛ لارتباطهما في كون الجميع إلزامًا للنفس بفعل، ولكن أحدهما إلزام النفس لله وهو النذر، والآخر إلزام للنفس بالله وهو الحلف واليمين، ولهذا اختلف حكم الحلف بغير الله عن النذر لغير الله بناء على اختلاف الحقيقة، ويفرق بينهما التالي:

(١) النذر آكد من الحلف من جهة أنه ألزم نفسه بشيء لله، وأما الحلف فهو إلزام للنفس بالله وليس لله، وما كان لله أعظم.

لذلك النذر لغير الله شرك أكبر، والحلف بغير الله شرك أصغر؛ لأن النذر عبادة والعبد ملزم بها، بخلاف الحلف فليس عبادة، والعبد مخير فيها بين

---

(١) «صحيح البخاري» حديث رقم (٦٦٩٦).

(٢) «فتح الباري» (١١/٥٨٧)، «مجموع الفتاوى» (٣١/٥١).

(٣) حديث صحيح، رواه: أبو داود (٣٢٩٠)، والترمذي (١٥٢٤)، والنسائي (٣٨٣٥) وابن ماجه (٢١٢٥)، وغيرهم من حديث عائشة، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٤٧).

(٤) يراجع: «تهذيب فتح المجيد» (ص٢٢٤).

الكفارة والوفاء.

✍ **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ: «الفرق بينهما: أن الناذر التزم لله، وأن الحالف التزم بالله. فإذا التزم لله بالله، فهو نذر ويمين»[(١)].

✍ **وقال ابن القيم** ﷺ: «النذر داخل في مسمَّى اليمين في لغة مَن نزل القرآن بلغتهم.

وذلك أن حقيقته هي حقيقة اليمين فإنه عَقَده لله ملتزمًا له، كما أن الحالف عقد يمينه بالله ملتزمًا لما حلف عليه، بل ما عُقِد لله أبلغ وألزم مما عُقِدَ به، فإن ما عُقِدَ به من الأَيمان لا يُصيّر اليمينَ واجبًا، فإذا حلف على قربة مستحبة لِيفعَلَها لم تَصِرْ واجبةً عليه وتجزئه الكفارة، ولو نَذَرها وجبت عليه ولم تجزئه الكفارة، فدلّ على أن الالتزام بالنذر آكدُ من الالتزام باليمين...

ومما يدل على أن النذر آكد من اليمين: أن الناذر إذا قال: لله عليَّ أن أفعل كذا، فقد عَقَد نذرَه بحُرمةِ إيمانِه بالله والتزامِه تعظيمَه، كما عقدها الحالف بالله كذلك، فهما من هذه الوجوه سواء، والمعنى الذي يقصده الحالف ويقوم بقلبه هو بعينه مقصود للناذر قائم بقلبه، ويزيد النذر عليه أنه التزمه لله، فهو ملتزم من وجهين: له وبه، والحالف إنما التزم ما حلف عليه به خاصةً، فالمعنى الذي في اليمين داخل في حقيقة النذر، فقد تضمن النذرُ اليمينَ وزيادةً»[(٢)].

(٢) النذر فيه قصد التقرب إلى المنذر له رجاء نفعه أو دفع ضره، والحلف فيه قصد حض النفس أو منعها أو حض الغير أو منعه.

(١) «العقود (نظرية العقد)»، المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٦).

(٢) «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته»، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٦٥٩-٧٥١)، تحقيق: علي بن محمد العمران وآخرين، الناشر: دار عطاءات العلم - الرياض، الطبعة: الثانية، (١٤٤٠ هـ) (٢/ ٤١٢-٤١٣).

يقول شيخ الإسلام ﷺ: «أن الناذر قصده أن يتقرب إلى الله تعالى. فإذا التزم لله قربة لزمته؛ لأن ذلك ينفعه في دينه، وهو بدون النذر لم يكن يفعل ذلك، فصار النذر ملزمًا له.

وأما اليمين فليس قصده فيها التقرب إلى الله، إنما قصده حض نفسه أو منعها أو حضن غيره أو منعه، فالمقصود بها: أن يحلف بالله على بلوغ غرضه ومراده، سواء كان طاعة أو معصية، ولهذا لم يوجب الله عليه شيئًا»[1].

فالنذر فيه قصد التقرُّب للمنذر له، بخلاف اليمين والحلف، فليس فيها قصد التقرب، فلا تجد إنسان يتقرب لله أو لغير الله بالحلف، ولكن يتقرب لله وغير الله بالنذر، مما دل على أن معنى التقرب حاضر في نفس الناذر.

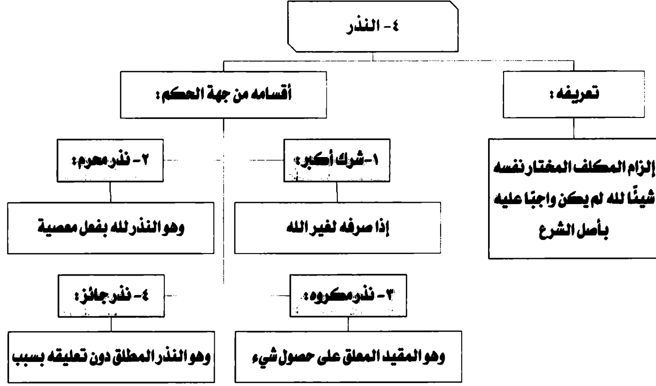
وبهذا يكون النذر عبادة من العبادات وكونه شابه اليمين أو الحلف في كونه إلزامًا للنفس، إلا أنه فارقه في الحقيقة، وهي كون النذر في أصله قربه، ولا يفعله الإنسان إلا تقرُّبًا، ولا يشكل على هذا كون بعض العلماء ذكر أنه ليس عبادة يحض عليها وأنه مكروه، والمقصود ليست عبادة يحض لها ويدعى الناس لفعلها من جهة الابتداء بها، أما إذا وقعت فيجب الحض على الوفاء بها على ما تقدم من تفصيل.

والخلاصة:

أن النذر عبادة لله يجب صرفها له وحده سبحانه، وأن صرفها لغيره من الشرك الذي جاءت النصوص من الكتاب والسنة بالتحذير منه ومنعه.



(١) «العقود (نظرية العقد)» المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ص٢٥).


٤- النذر
تعريفه:
إلزام المكلف المختار نفسه شيئًا لله لم يكن واجبًا عليه بأصل الشرع
أقسامه من جهة الحكم:
١- شرك أكبر:
إذا صرفه لغير الله
٢- نذر محرم:
وهو النذر لله بفعل معصية
٣- نذر مكروه:
وهو المقيد المعلق على حصول شيء
٤- نذر جائز:
وهو النذر المطلق دون تعليقه بسبب

الأسئلـة

(١) عرف النذر لغة واصطلاحا.

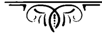
(٢) ما الفرق بين الوعد والنذر؟ وهل في كليهما كفارة؟

(٣) اذكر ثلاثة أدلة على أن النذر عبادة، مع بيان وجه الدلالة منها.

(٤) ما هي أقسام النذر من جهة الحكم؟

(٥) متى يجب الوفاء بالنذر؟ ومتى لا يجب؟ استدل لما تقول.

(٦) هل الحلف والنذر مترادفان؟ ولم؟.



المبحث الخامس

الشفاعة

الشفاعة من المصطلحات التي يتشبث بها المشركون في عبادة أصنامهم والتقرب إليها، قال تعالى موضحًا حالهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس:١٨]، فجاء الإسلام ليبين ضعف هذه الأصنام، وأنها لا تستحق أن تُعبد ولا يُطلب منها الشفاعة؛ لأنها لا تملكها، بل ولا يملكها الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا الأولياء الصالحون، وأنها ملك لله وحده، ويؤتيها من يشاء بإذنه سبحانه.

فبيَّن الله ﷻ هذه الحقائق أيّمَا بيان، وجلَّاها بوضوح حتى لا تلتبس شفاعة رب العالمين بالشفاعة التي هي من كيد الشيطان الرجيم، وسيتضح معنا من خلال هذا المبحث الشفاعة التي جاء الإسلام بإثباتها وبيان أنواعها، والشفاعة التي نفاها وأنواعها، وسيتضح معنا المنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة الوسط بين العالمين، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله ورسوله من أنواع الشفاعات، وينفون ما نفاه الله ورسوله، بخلاف الفرق الأخرى التي تنفي بعض أنواع الشفاعات، كالشفاعة التي ينالها أهل الكبائر من أمة الإسلام، بفضل من الله ورحمة، والتي نفتها المعتزلة والخوارج وأثبتها أهل السنة والجماعة، وبعض الفرق أثبتت الشفاعة حقًّا لغير الله من الأموات والصالحين، مع أن الله بيَّن أنها ملك له سبحانه دون سواه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر:٤٤]، فأهل السنة يثبتونها لله وحده، يأذن بها لمن يشاء من

عباده، كما سيتضح معنا.

◈ تعريف الشفاعة:

لغة: الشفع ضد الوتر، وهو الزوج. تقول: كان وترًا فشفعته شفعًا، أي: جعلت المفرد زوجًا، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع، فبعد أن كان واحدًا أصبحا اثنين(١).

والشفاعة حقيقتها الدعاء، قال في اللسان: وشَفَع لِي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشَفَّعَ: طَلب..... وُرُوِيَ عَنِ الْمُبَرِّدِ وثعلب أنهما قَالَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قَالَا: الشَّفَاعَةُ الدُّعاءُ هَاهُنَا»(٢)، ومن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ يَدْعُو بها، وأُرِيدُ أنْ أخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفاعَةً لِأُمَّتي في الآخِرَةِ**»(٣).

فالشفاعة دعاء، ولكنه دعاء مخصوص بإذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له.

اصطلاحًا: هي التوسط للغير في جلب خيرٍ أو دفع ضرٍّ، والشفاعة يوم القيامة هي: التوسط للغير عند الله لجلب خير أو دفع شر يوم القيامة، بدعاء يأذن الله به لمن يشاء من عباده، وهذا النوع هو المبحوث في كتب العقائد، وهو المتعلق بالشفاعة عند الله يوم القيامة.

وطلب الشفاعة هو طلب الدعاء، أي: سؤال الغير الدعاء المخصوص يوم القيامة بإذن الله ورضاه، وعلى هذا:

---

(١) «لسان العرب» (٨/ ١٨٣)، و«منحة الحميد» (ص٢٥١).

(٢) «لسان العرب» (٨/ ١٣٨).

(٣) رواه: البخاري حديث رقم (٦٣٠٤)، ومسلم حديث رقم (١٩٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

هل يجوز طلب الشفاعة من النبي ﷺ وغيره من الصالحين؟

الجواب: أن ذلك له أحوال ويختلف الحكم باختلاف أحواله:

الحالة الأولى: طلب الشفاعة من الحي في الدنيا، بأن تطلب من الحي أن يشفع لك عند الله يوم القيامة.

وطلب الدعاء من الحيِّ جائز؛ لذلك التبس عند البعض مع طلب الشفاعة من الأحياء، بأن تطلب وتسأل الحي أن يشفع لك عند الله يوم القيامة، والصحيح أن هذا الطلب لا يصح؛ لأنه طلب أمر ليس في مقدور الإنسان وليس في ملكه؛ فالشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بإذنه، ورضاه عن المشفوع له، فهي تُطلب ممن يملكها فقط.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤] **فالشفاعة ملك لله ولا تتحقق إلا بشروط:**

(١) رضى الله عن المشفوع له، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

(٢) إذن الله للشافع أن يشفع، لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقد توارد أهل التفسير على هذا المعنى، كما نقل عن مجاهد ومقاتل: في قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤] أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه سبحانه؛ لأن الشفاعة ملكه.

وعلق الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية بقوله: «فإن الشفاعة جميعًا له، لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولًا»[1].

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٠٠).

✍ **وقال القرطبي** ﵀: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤] نصٌّ في أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥] فَلَا شَافِعَ إِلَّا مِنْ شَفَاعَتِهِ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨]»[1].

✍ **وقال ابن الجوزي** ﵀: «﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤] أيْ: لا يَمْلِكُها أحَدٌ إلّا بِتَمْلِيكِهِ، ولا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أحَدٌ إلّا بإذْنِهِ»[2].

✍ **وقال السمعاني** ﵀: «قَوْله تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤] مَعْنَاهُ: أَنه لَا يشفع أحد إِلَّا بِإِذْنِهِ، فالشفاعة من عِنْده؛ لِأَنَّهَا لَا تكون إِلَّا بِإِذْنِهِ»[3].

✍ **وقال أبو حيان** ﵀: «﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]: فَهو مالِكُها، يَأْذَنُ فِيها لِمَن يَشاءُ ثُمَّ أتى بِعامٍّ وهو: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فانْدَرَجَ فِيهِ مِلْكُ الشَّفاعَةِ. ولَمّا كانَتِ الشَّفاعَةُ مِن غَيْرِهِ مَوْقُوفَةً عَلى إذْنِهِ، كانَتِ الشَّفاعَةُ كُلُّها لَهُ»[4].

✍ **وقال ابن عاشور** ﵀: «﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أيِ: الشَّفاعَةُ كُلُّها لِلَّهِ.

وأُمِرَ الرَّسُولُ ﷺ بِأنْ يَقُولَ ذَلِكَ لَهم؛ لِيَعْلَمُوا أنْ لا يَمْلِكَ الشَّفاعَةَ إلّا اللهُ، أيْ: هو مالِكُ إجابَةِ شَفاعَةِ الشُّفَعاءِ الحَقِّ.

وتَقْدِيمُ الخَبَرِ المَجْرُورِ وهو لِلَّهِ عَلى المُبْتَدَأِ لِإفادَةِ الحَصْرِ. واللّامُ

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٦٤).

(٢) «زاد المسير» (٤/ ٢١).

(٣) «تفسير السمعاني» (٤/ ٤٧١).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٢٠٨) المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، (١٤٢٠ هـ)- (١٤٢٠ هـ).

لِلْمِلْكِ، أيْ قَصْرِ مِلْكِ الشَّفاعَةِ عَلى اللهِ تَعالى لا يَمْلِكُ أَحَدٌ الشَّفاعَةَ عِنْدَهُ.

و﴿جَمِيعًا﴾ حالٌ مِنَ الشَّفاعَةِ مُفِيدَةٌ لِلاسْتِغْراقِ، أيْ: لا يَشِذُّ جُزْئِيٌّ مِن جُزْئِيّاتِ حَقِيقَةِ الشَّفاعَةِ عَنْ كَوْنِهِ مِلْكًا لِلَّهِ، وقَدْ تَأكَّدَ بِلازِمِ هَذِهِ لِحالِ ما دَلَّ عَلَيْهِ الحَصْرُ مِنِ انْتِفاءِ أنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الشَّفاعَةِ لِغَيْرِ اللهِ»[١].

وقال البقاعي ﷺ: «ولَمّا نَفى صَلاحِيَّةَ أصْنامِهِمْ لِهَذا الأمْرِ؛ أشارَ إلى نَفْيِهِ عَمّا سِواهُ؛ بِقَصْرِ الأمْرِ عَلَيْهِ؛ فَقالَ: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾؛ أيْ: المُحْتَوِي عَلى صِفاتِ الكَمالِ؛ وحْدَهُ؛ ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾؛ أيْ: هَذا الجِنْسُ؛ ﴿جَمِيعًا﴾؛ فَلا يَمْلِكُ أحَدٌ سِواهُ مِنها شَيْئًا؛ لَكِنَّهُ يَأْذَنُ إنْ شاءَ فِيما يُرِيدُ مِنها؛ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ؛ ولَمّا كانَ كُلّ ما سِواهُ مِلْكًا لَهُ؛ وكانَ مِنَ المُقَرَّرِ أنَّ المَمْلُوكَ لا يَصِحُّ أنْ يُمَلِّكَ شَيْئًا يَمْلِكُهُ سَيِّدُهُ؛ لِأنَّ المِلْكَيْنِ لا يَتَوارَدانِ عَلى شَيْءٍ واحِدٍ مِن جِهَةٍ واحِدَةٍ؛ عَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّهُۥ﴾؛ أيْ: وحْدَهُ؛ ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أيْ: الَّتِي لا تُشاهِدُونَ مِن مُلْكِهِ سِواهُما؛ والشَّفاعَةُ مِن مِلْكِهِما. ولَمّا كانَ المَمْلُوكُ مِلْكًا ضَعِيفًا قَدْ يَتَغَلَّبُ عَلى مالِكِهِ؛ فَيُناظِرُهُ؛ فَيَتَأهَّلُ لِلشَّفاعَةِ عِنْدَهُ؛ نَفى ذَلِكَ في حَقِّهِ - سُبْحانَهُ - بِقَوْلِهِ - دالًّا عَلى عَظَمَةِ القَهْرِ؛ بِأداةِ التَّراخِي - فَقالَ: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾؛ أيْ: لا إلى غَيْرِهِ؛ ﴿تُرْجَعُونَ﴾[الزمر:٤٤]؛ مَعْنًى في الدُّنْيا؛ بِأنْ يُنَفِّذَ فِيكم جَمِيعَ أمْرِهِ؛ وحِسًّا ظاهِرًا ومَعْنًى في الآخِرَةِ»[٢].

فيُلاحظ مما سبق: أن هذا المعنى للشفاعة، وأنها مِلْكٌ لله ولا تُعطى إلا بإذنه ولمن ارتضى، معنى متوارد متفق عليه بين أهل العلم والتفسير، فالشفاعة حق لله ولا تكون إلا بإذنه ورضاه؛ فلا تُطلب من غيره.

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٨/٢٤) المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي - الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس (١٩٨٤ هـ).

(٢) «نظم الدرر» للبقاعي (١٦/ ٥٢٢) المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

وقد يُشكل على بعض الناس هذا التقرير؛ لورود طلب الشفاعة من النبي ﷺ عن الصحابة الكرام، والجواب عليه التالي:

أولًا: أنه لا خلاف في كون النبي ﷺ يشفع للخلائق، بدليل ما رواه مسلم عن النبي ﷺ: **«أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يومَ القِيامَةِ، وأوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنه القَبْرُ، وأوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ»**[١].

ثانيًا: أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ في الدنيا حال حياته وردت فيه أحاديث يفهم منها طلب الصحابة الشفاعة من النبي ﷺ ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد ﷺ في «مسنده» قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ: **«أَلَكَ حَاجَةٌ؟»** قَالَ: حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَاجَتِي قَالَ: **«وَمَا حَاجَتُكَ؟»** قَالَ: حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: **«وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا؟»** قَالَ: رَبِّي، قَالَ: **«إِمَّا لَا، فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**[٢].

وعند أحمد كذلك قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ مِنْ رَبِّي آتٍ، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَإِنِّي اخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ»**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَنْشُدُكَ اللهَ وَالصُّحْبَةَ لَمَا جَعَلْتَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ قَالَ: فَلَمَّا أَضَبُّوا[٣] عَلَيْهِ قَالَ: **«فَأَنَا أُشْهِدُكُمْ أَنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِي»**[٤].

---

(١) رواه: مسلم حديث رقم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٢) رواه: مسلم (٤٨٩)، وأحمد في «المسند» (١٦٠٧٦) واللفظ له.

(٣) أضبَّ عليه القوم: يقال: أضبُّوا عليه: إذا كثروا، من أضبوا: إذا تكلموا متتابعًا، وإذا نهضوا في الأمر جميعًا.

(٤) أخرجه: أحمد (٢٤٠٠٢) والترمذي بإثر الحديث (٢٤٤١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٨)، وابن حبان (٢١١) و(٦٤٦٣) و(٦٤٧٠) عن عوف بن مالك الأشجعي، قال الألباني في «ظلال الجنة»: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات على شرط الشيخين.

وللجواب عن ذلك يقال:

أولًا: هذه الأحاديث استدل بها البعض على جواز طلب الشفاعة من النبي ﷺ في حال حياته، ولكن جاءت أحاديث مفسرة لهذا الحديث، وهو أن الصحابة إنما طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم بأن يكونوا من أهل شفاعته، ومن ذلك: ما جاء عند أحمد توضيحًا للقصة السابقة أن الصحابة الكرام كانوا يقولون: «يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ»، قَالَ: «فَدَعَا لَهُمَا».

ثُمَّ إِنَّهُمَا نَبَّهَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخْبَرَاهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَجَعَلُوا يَأْتُونَهُ وَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ فَيَدْعُوَ لَهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَضَبَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَكَثُرُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا لِمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١).

وحديث خادم النبي ﷺ لا يبعد عن هذا المعنى؛ لكونه قال له ﷺ: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(٢).

ثانيًا: على فرض أنهم طلبوا الشفاعة منه ﷺ، فإذا قلنا بأن الشفاعة بمعنى الدعاء، فيكون طلبهم الشفاعة في حال حياته جائز؛ لأنه بمعنى ادع لي، ولكنه دعاء مخصوص بإذن الله، ومعلوم أن الله ﷻ سيأذن لرسوله ﷺ بالشفاعة يوم القيامة، فلا مانع من طلب الشفاعة والدعاء منه في حال حياته ﷺ، والأولى حمل الأحاديث على ما فسرت به، من أنهم طلبوا منه أن يدعوا لهم الله بأن يجعلهم من أهل شفاعته.

ولا يقاس غيره من الناس به ﷺ؛ لأن شفاعة النبي ﷺ لأمته يوم القيامة

---

(١) «مسند أحمد» حديث رقم (١٩٧٢٤).

(٢) «صحيح مسلم» حديث رقم (٤٨٩).

ثابتة، وأنها لأهل التوحيد، كما جاء عن النبي ﷺ: «وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»(١).

وغيره من الصالحين لم يثبت إذن الله لهم، لذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه طلبها من أبي بكر أو عمر أو من أحد من المبشرين بالجنة ﷺ، وعلى هذ؛ فإننا لو اعتبرنا أن الصحابة طلبوها من النبي ﷺ بناءً على أنه موعود بها وعد حق؛ فإنه لا يجوز طلبها من غيره، مع أن الثابت أنهم طلبوا منه الدعاء لا الشفاعة.

الحالة الثانية: أن تطلب الشفاعة من الميت، ولها صورتان:

الصورة الأولى: أن تُطلب الشفاعة من صاحب القبر الميت، فيظن أنه يملك الشفاعة، وأن له خاصية فملّكه الله الشفاعة، فيعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء، فهذا شركٌ أكبر.

الصورة الثانية: أن يطلب منه الشفاعة ولا يعتقد أنه يملكها، فيقول للميت «اشفع لي عند الله»، فيدعوه بطلب الشفاعة.

وهذه الصورة هي التي تكثر عند من يتقرب إلى أصحاب القبور من الأموات، فيدعونهم ويطلبون منهم الشفاعة، ويظنون أنهم ينفعونهم ويدفعون عنهم الضر، وهذا شرك أكبر؛ لكونه دعاءً لغير الله، وهذه هي الشفاعة المنفية، بل هي أحد الأسباب المانعة من الشفاعة الشرعية المثبتة؛ لأنه صح عن النبي ﷺ أن الشفاعة لا ينالها إلا أهل التوحيد المخلصون العبادة لله، وكل ما صح دليلًا في منع دعاء غير الله يصح أن يكون دليلًا على منع طلب الشفاعة من الأموات؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، ولا تملك الشفاعة، فلا يصح

(١) «صحيح مسلم» حديث رقم (٣٣٨).

طلبها من الأموات، فمجرد طلب الشفاعة من الأموات كطلب الدعاء منهم حال موتهم يكون شركًا أكبر؛ لأنه دعاء، ولا يجوز صرفه لغير الله.

✍ **قال في «تيسير العزيز»**: «فإن قلت: إنما حكم ﷻ بالشرك على من عبد الشفعاء، أما من دعاهم للشفاعة فقط، فهو لم يعبدهم، فلا يكون ذلك شركًا.

قيل: مجرد اتخاذ الشفعاء ملزوم للشرك، والشرك لازم له، كما أن الشرك ملزوم لتنقص الرب ﷻ، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، وعلى هذا فالسؤال باطل من أصله لا وجود له في الخارج، وإنما هو شيء قدّره المشركون في أذهانهم، فإن الدعاء عبادة، بل هو مخ العبادة، فإذا دعاهم للشفاعة، فقد عبدهم وأشرك في عبادة الله شاء أم أبى»[(١)].

✍ **وقال الشيخ صالح آل الشيخ في «التمهيد»**: «والخلاصة: أن الشفاعة دعاء، وهي: طلب الدعاء أيضًا، وقد سبق أن قررنا أن كل دليل ورد في الشرع على إبطال أن يُدعى مع الله ﷻ إله آخر، فإنه يصلح أن يكون دليلًا على إبطال الاستشفاع بالموتى الذين غابوا عن دار التكليف؛ لأن حقيقة الشافع ـ كما تقدم آنفا ـ أنه طالب ولأن حقيقة المستشفع أنه طالب أيضًا، فالشافع في ظن المستشفع يدعو، والمستشفع يدعو من أراد منه الشفاعة، يعني: إذا أتى آت إلى قبر نبي، أو قبر ولي أو نحو ذلك، فقال: أستشفع بك، أو أسأل الشفاعة، فمعناه أنه طالب منه، ودعا أن يدعو له؛ فلهذا كان صرفها، أو التوجه بها إلى غير الله ﷻ شركًا أكبر؛ لأنها في الحقيقة دعوة لغير الله، وسؤال من هذا الميت، وتوجه بالطلب والدعاء منه»[(٢)].

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٢٩).

(٢) «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص٢١٣).

ودليل ما سبق الآتي:

أولًا: جميع ما ذُكر من أدلة في حكم دعاء غير الله يصلح أن يستدل به هنا لبيان حكم طلب الشفاعة من الأموات، كما أن طلب الشفاعة من الأموات وسيلة إلى اعتقاد النفع فيهم وعبادتهم بالذبح والنذر لهم رجاء نفعهم.

من ذلك: **قوله تعالى:** ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأحقاف:٥، ٦].

وهذه الآية وإن نزلت في الأصنام؛ فإنها عامة لكل من كان في حكم الأصنام، كالأموات الذين لا يسمعون نداء من يناديهم ويستشفع بهم.

وعلى فرض أنهم يسمعون من يدعوهم ويستشفع بهم؛ فإنهم لا يجيبونهم ولا يستطيعون نفعهم أو دفع الضر عنهم، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر:١٤].

قال القرطبي رحمه الله: «ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يعقل، كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين، أي: يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقًّا، وأنهم آمروكم بعبادتهم، كما أخبر عن عيسى بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ ﴾ [المائدة:١١٦]»(١).

ومن أراد مزيدًا من الأدلة فليرجع إلى ما سبق ذكره من أدلة في مسألة الدعاء.

(١) «تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٣٦).

ثانيًا: أنه لو كان يجوز طلب الشفاعة من الأموات؛ لما ترك الصحابة طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته، ولم يثبت عنهم أنهم طلبوا منه ﷺ أن يدعو لهم أو يشفع لهم وهو في قبره، مع أنهم حال حياته كانوا يطلبون منه الدعاء.

✍ **يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن** ﷺ: «وأما حصول الشفاعة بسؤاله ﷺ إياهم يوم القيامة، فهذا لا ينكر، وهو من جنس ما كان يطلب منه في حياته ﷺ.

وأما بعد موته فلم يعرف عن أحد من أصحابه، ولا عن أحد من أئمة الإسلام بعدهم، أنه دعاه وطلب منه شفاعة أو غيرها، وإنما فعله بعض الخلوف الذين لا يرجع إليهم في مسائل الأحكام»[(١)].

وهذا فيه ردٌّ على من قاس حياته ﷺ في البرزخ بحياته في الدنيا، ومن تأمل حال الصحابة في هذه المسألة وغيرها؛ علم الفرق بين حياته ﷺ في الدنيا وحياته في البرزخ الحياة المخصوصة بما خصصه الله سبحانه.

الحالة الثالثة: أن تطلب الشفاعة يوم القيامة:

وفي هذا اليوم يرشد الله ﷻ عباده المؤمنين بأن يطلبوا من يشفع لهم، ومن حكمة ذلك: بيان فضل النبي ﷺ على سائر الخلق، فلا يُأذن إلا له ﷺ فيكون أول شافع، ففي هذا اليوم بيَّن لنا النبي ﷺ أنه لا يُقضى بين العباد إلا بعد شفاعته، وتكون قبلها مقدمات يستأذن فيها ﷺ من ربه ﷻ ويسجد له، ويُفتح عليه بمحامد، ثم يُؤمر بأن يشفع للناس عند رب العزة والجلال.

(١) «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس»، المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (ت ١٢٩٣هـ)، الناشر: دار الهداية للطبع والنشر والترجمة (ص٢١٣).

◊ **أنواع الشفاعة: والشفاعة على نوعين:**

النوع الأول: الشفاعة المثبتة:

وتنقسم إلى قسمين:

(أ) شفاعة الناس وتوسطهم لبعضهم في أمور الدنيا: فهذه بمعنى التوسط وليس الدعاء، وهي جائزة ومطلوبة شرعًا إذا كانت في مباح، وليس فيها ضرر على أحد.

قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥]، وقال ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»(١).

(ب) الشفاعات التي تكون في الآخرة: وهذه ثابتة لمن لا يشرك بالله شيئًا، بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

يقول ابن جرير ؒ: «-أي- كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئًا، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى»(٢).

ويدل على شرط الإذن كذلك قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال الطبري ؒ: -أي- «ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه

(١) رواه البخاري حديث رقم (١٤٣٢) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا.
(٢) «تفسير ابن جرير» (٢٢/ ٥٢٩).

والشفاعة لمن يشفع له، من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي»(١).

الشرط الثاني: رضى الله عن المشفوع له

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

✍ **قال مقاتل** رحمه الله: «إلا لمن رضي الله أن يشفع له، يعني: من أهل التوحيد الذين لا يقولون أن الملائكة بنات الله ﷻ؛ لأن كفار مكة زعموا أن الملائكة تشفع لهم في الآخرة إلى الله ﷻ»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

✍ **يقول البغوي** رحمه الله: «﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ أي: من أهل التوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه»(٣).

والله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد؛ لذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: **«أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»**(٤).

وسبق ذكر بيان أهل العلم لهذه الشروط عند قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٥/ ٣٩٥).

(٢) «تفسير مقاتل بن سليمان»، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - (١٤٢٣ هـ) (٣/ ٧٦).

(٣) «تفسير البغوي» (٤/ ٣١٠).

(٤) رواه البخاري حديث رقم (٩٩).

النوع الثاني: الشفاعة المنفية:

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(أ) الشفاعة في أمور الدنيا، إذا كانت في أمر محرم، أو ضرت بالغير، فهي محرمة.

(ب) الشفاعة في أهل الشرك، كما قال ﷻ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]؛ «لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ إِنَّمَا تُنْجِعُ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا، فَأَمَّا مَنْ وَافَى اللهَ كَافِرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ النَّارُ لَا مَحَالَةَ، خَالِدًا فِيهَا»، والشفاعة لا تكون إلا لمن ﷺ كما تقدم.

(ج) الشفاعة التي يعتقدها المشركون في آلهتهم؛ فإنهم لا يملكون الشفاعة؛ لأنها ملك لله وحده، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الزخرف:٨٦].

أقسام الشفاعة المثبتة في الآخرة:

القسم الأول: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ وهي أنواع:

(أ) **الشفاعة العظمى**: وهي المقام المحمود، وهذه خاصة بالنبي ﷺ إكرامًا له وبيانًا لفضله ومكانته، فبعد أن يطول المقام بالناس في المحشر، يلتمسون من يشفع لهم عند ربهم جَلَّجَلَالُهُ، حتى يفصل بينهم ويحكم فيهم، فيقول النبي ﷺ: «أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي،...» ويفتح عليه من المحامد حتى يأذن الله[1].

وقد جاء في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ

(١) والحديث أخرجه البخاري حديث رقم (٧٥١٠)، ومسلم حديث رقم (١٩٣) من حديث أنس.

الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ »[١].

(ب) **الشفاعة لأهل الجنة في دخولها**: فلا يدخلونها إلا بشفاعة النبي ﷺ، كما جاء عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**[٢]» وفي رواية «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ**»[٣].

(ج) **الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب**: كما جاء في الصحيحين **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»**[٤].

◊ **تنبيه:**

(١) هذه الشفاعة ليس فيها إخراجٌ من النار، وإنما تخفيف للعذاب.

(٢) هذه الشفاعة مستثناة من قوله تعالى عن الكافرين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

القسم الثاني: شفاعة عامة:

وتكون للنبي ﷺ ومن شاء الله من الأنبياء ومن الصالحين ومن الملائكة، وهي أنواع:

(أ) **الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة**: وهذه الشفاعة فيمن دخل الجنة بأنْ يرفع الله درجاته.

---

(١) رواه: البخاري حديث رقم (٤٧١٨).

(٢) رواه: مسلم حديث رقم (١٩٧) من حديث أنس ﷺ.

(٣) رواه: مسلم حديث رقم (١٩٦) من حديث أنس ﷺ.

(٤) رواه: البخاري حديث رقم (٣٨٨٥)، ومسلم حديث رقم (٢١٠).

ودليل هذه الشفاعة: دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة لما توفي: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ»(١).

(ب) الشفاعة فيمن استحق النار ألاَّ يدخلها: وهذا النوع قد يستدل له بقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»(٢).

(ج) الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن يخرج منها: وهذا النوع هو الذي أنكرته الخوارج، والمعتزلة.

وأدلة هذا النوع كثيرة متواترة:

منها: ما هو متعلق بالنبي ﷺ: كما جاء في «مسند أحمد» وغيره: أن الله تعالى قال للنبي ﷺ بعد أن طلب الشفاعة: «أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَأُخْرِجُهُمْ»(٣).

ومنها: ما هو متعلق بالمؤمنين: كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا خَلَّصَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، أَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، فَيَأْتُونَهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ، لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى

(١) رواه مسلم حديث رقم (٩٢٠).

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٩٤٨).

(٣) رواه: أحمد (١٣٥٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٤٠٠)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٦٥) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وقال الألباني: حسن. «التعليق الرغيب» (٤/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَخْرَجْنَا مَنْ قَدْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا، فَلْيَقْرَأْ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي ﷺ، وقد اتفق عليها السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان وأئمة المسلمين، وإنما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم. ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان، بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة، ويبقى في الجنة فضل. فينشئ الله لها خلقًا آخر يدخلهم الجنة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ»[(٢)].

◈ **خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الشفاعة**[(٣)]:

(١) الشفاعة ثابتة لا ينكرونها؛ لأن الله أثبتها في كتابه، ونصوصها عند أهل السنة من قبيل المتواتر.

---

(١) رواه: البخاري حديث رقم (٧٤٣٩)، ومسلم حديث رقم (١٨٣)، والترمذي (٢٧٨١)، وغيرهم.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٩).

خروج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ».

وإنشاء خلق للجنة أخرجه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلاَ تَزَالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ، حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ».

(٣) مختصر من «الوجيز» (باب الشفاعة).

(٢) **الشفاعة ملك لله:** لا يملكها أحد من البشر حتى الأنبياء والملائكة، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤] ملكًا واستحقاقًا؛ ولذا فإن هذه الشفاعة لا تُطلب إلا من الله وحده فهو مالكها.

(٣) **جعل الله الشفاعة لبعض عباده كرامة لهم،** لإظهار منزلتهم وفضلهم، وهم الذين يشفعون.

(٤) **جعل الله الشفاعة نفعًا لبعض عباده،** وهؤلاء المشفوع لهم.

وهذه الكرامة والعطاء من الله ليست عطاءً مطلقًا، بحيث يتصرف من جعل الله له الشفاعة فيها كيف يشاء، بل هو مقيد بالشروط المذكور من إذن الله سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له.

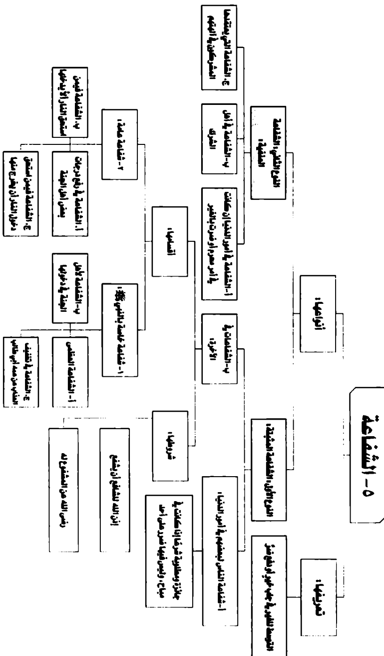
(٥) **الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد: والدليل** قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر:١٨] **قال ابن كثير** ﷺ: «أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطَّعت بهم الأسباب من كل خير»(١).

وقوله ﷺ: «**وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»(٢).



(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٣٧).

(٢) «صحيح مسلم» حديث رقم (٣٣٨).


٥- الشفاعة
تعريفها:
التوسط للغير في جلب خير أو دفع ضرٍّ
أنواعها:
النوع الأول: الشفاعة المثبتة:
أ- شفاعة الناس لبعضهم في أمور الدنيا:
جائزة ومطلوبة شرعًا إذا كانت في مباح، وليس فيها ضرر على أحد
ب- الشفاعات في الآخرة:
شروطها:
إذن الله للشافع أن يشفع
رضى الله عن المشفوع له
أقسامها:
١- شفاعة خاصة بالنبي ﷺ:
أ- الشفاعة العظمى
ب- الشفاعة لأهل الجنة في دخولها
ج. الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب
٢- شفاعة عامة:
أ. الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة
ب. الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها
ج. الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن يخرج منها
النوع الثاني: الشفاعة المنفية:
أ- الشفاعة في أمور الدنيا إن كانت في أمر محرم أو ضرت بالغير
ب- الشفاعة في أهل الشرك
ج. الشفاعة التي يعتقدها المشركون في آلهتهم

الأسئلـة

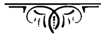
(١) عرف الشفاعة لغة واصطلاحا.

(٢) هل يجوز طلب الشفاعة من النبي ﷺ وغيره من الصالحين؟ اذكر أحوال ذلك.

(٣) ما هي أنواع الشفاعة؟ وما حكم كل نوع؟

(٤) ما هي أنواع الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ؟ مع الاستدلال لكل نوع.

(٥) اذكر خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الشفاعة، واستدل لما تقول.



المبحث السادس

الاستهزاء بالله ورسوله وآياتـه

الاستهزاء بذكر الله أو القرآن أو الرسول، كفر مخرج من الملة وقد أجمع أهل العلم على ذلك، ومنه التهكم والسخرية والاستخفاف والانتقاص والهزل بالقول أو الفعل أو الإشارة والإماء كل ذلك يدخل في الاستهزاء وحكمه من بابٍ واحد لأن فيه تنقص بمقام الربوبية.

قال ابن بطال ﷺ: "والاستهزاء من الكبائر العظيمة إذا كان في الدين، وهو من باب الكفر"(١).

وقال ابن عربي ﷺ: "فإن الهزل بالكفر كفر، لا خلف فيه بين الأمة"(٢).

وقال السرخسي ﷺ: "الهازل مستخفٌ لا محالة إذ الاستخفاف بالدين كفر"(٣).

ودليل هذه المسألة: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

ووجه الدلالة: في قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فحكم

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ ٥/ ١١٥.

(٢) أحكام القرآن ٢/ ٥٤٣.

(٣) المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ ٢٤/ ٥٩.

الله بكفرهم؛ لأنهم استهزأوا بالله ورسوله وآياته.

وعلل السعدي ﷺ سبب كون الهزل بالله ورسوله وآياته كفر؛ أن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.

وللآية سبب نزول فعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة -دخل حديث بعضهم في بعض-: "أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء -يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء- فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ.

فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق.

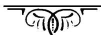
فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه -وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب- فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ما يتلفت إليه وما يزيده عليه"(١).

ووجه **الدلالة**: في كونها سببًا لنزول الآيات، وأن ما سماه الله استهزاء به

(١) ذكره ابن تيمية ﷺ في الصارم المسلول عن ابن عمر وثلاث من التابعين وأدخل حديثهم في بعض، وهي من طرائق المحدثين، وادخلها في بعض لتقوى مراسيل التابعين برواية الصحابي، وحديث ابن عمر رضي الله عنه رواه عنه زيد ابن اسلم ونقله الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٣)، ونقله ابن أبي حاتم برقم: (١٠٤٠١)، وحديث قتادة ومحمد ابن كعب نقله الطبري ايضاً: (١١/ ٥٤٥)، وخرج عبدالرزاق في تفسيره حديث قتادة برقم: (١١٠٥). فالشاهد أن الحديث له أسانيد قواها أهل العلم.

وبرسوله وآياته وجعله كفرًا هو ما قالوه من هزلٍ بالرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم.

ومن قصد الاستهزاء بالله ورسوله ودينه هزلًا أو جدًا، حكمه كفر أكبر مخرج من الملة، وعلى هذا اتفق اهل العلم، يقول ابن الجوزي ؒ: "الجِدّ واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء"[1]، وعلة ذلك كما ذكر أهل العلم منافاة الاستهزاء بالله ورسوله ودينه لتعظيم الله الذي هو أصل الدين.



(١) زاد المسير ٢/ ٢٧٥.

٦ - الاستهزاء بالله ورسوله وآياته

الاستهزاء وأقله الهزل بذكر الله أو القرآن أو الرسول، كفرٌ مخرجٌ من الملّة

وقد أجمع أهل العلم على ذلك



تدريب

س١: اذكر بعضًا من صور العبادات القولية التي يعد صرفها لغير الله شركًا.

س٢: اذكر أنواع الدعاء؟

س٣: ما الدليل على أن الدعاء عبادة؟

س٤: اذكر الأدلة على أن دعاء غير الله شرك، وظلم، وضلال.

س٥: اذكر الأدلة على أن الدعاء من الدين.

س٦: ما الفرق بين الاستغاثة والدعاء؟

س٧: كل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة. اشرح ذلك.

س٨: ما حكم الاستغاثة بغير الله؟

س٩: ما المقصود بالاستعاذة؟ وما حكمها؟

س١٠: ما حكم الاستعاذة بغير الله؟

س١١: هل النذر عبادة؟ دلل على ما تقول.

س١٢: اذكر أقسام النذر من جهة الحكم.

س١٣: متى يجب الوفاء بالنذر ومتى لا يجب؟

س١٤: اذكر الفرق بين الحلف والنذر.

س١٥: هل يجوز طلب الشفاعة من النبي ﷺ وغيره من الصالحين في الدنيا؟

س١٦: ما هي شروط الشفاعة؟

س١٧: هل يجوز طلب الشفاعة من الميت؟

س١٨: ما أنواع الشفاعة؟ مع ذكر أقسام كل منها.

س١٩: اذكر باختصار مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الشفاعة.

س٢٠: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) النذر لغير الله:

(أ) جائز.

(ب) كفر أصغر.

(ج) كفر أكبر.

(٢) الاستهزاء بالله ورسوله وآياته:

(أ) كفر أكبر.

(ب) من الصغائر.

(ج) كفر أصغر.

س٢١: أكمل الحديث:

قال رسول الله ﷺ: «...................... **فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»**

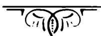


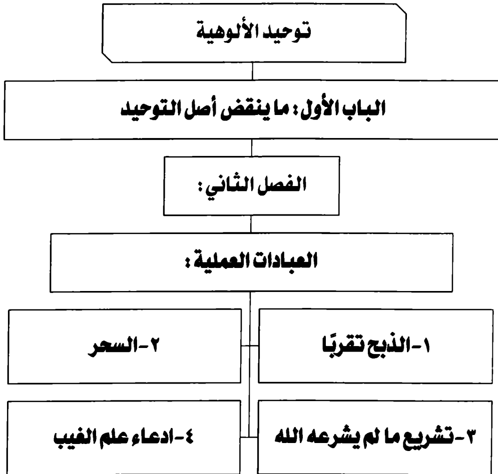
الفصل الثاني

العبادات العملية التي صرفها لغير الله تعالى ينقض أصل التوحيد

❁ **توطئة:**

العبادات العملية منها عبادات ظاهرٌ أن صَرْفها لغير الله شركٌ أكبر؛ كالصلاة والصيام، ولكن هناك بعض العبادات العملية التي قد يلتبس أمرها على بعض المسلمين؛ كالذبح بقصد التقرب، فحكمها قد يلتبس على بعض المسلمين؛ لغلبة الجهل في بعض الأنحاء، ولعدم وضوح صورة التعبد فيها، ومن الأعمال التي تنقض أصل التوحيد وتدخل في باب الشرك: السحر؛ لأن فيه استعانة بالشياطين وعبادة لهم - على ما سيأتي بيانه - وكذلك طاعة غير الله مطلقًا، أو في التحليل والتحريم من المسائل المهمة التي تدخل تحت هذا المطلب، وكذلك ادعاء علم الغيب والكهانة كما سيأتي بيانه.




توحيد الألوهية
الباب الأول: ما ينقض أصل التوحيد
الفصل الثاني:
العبادات العملية:
١-الذبح تقربًا
٢-السحر
٣-تشريع ما لم يشرعه الله
٤-ادعاء علم الغيب



المبحث الأول

الذبح تقربًا

الذبح: هو إراقة الدم على صفة مخصوصة.

والذبح إذا كان على وجه التقرب فهو عبادة لا تجوز إلا لله، وصرفها لغيره شرك أكبر.

يقول الشيخ ابن عثيمين ﵀: «والذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين:

(١) أن يذبح لغير الله تقربًا وتعظيمًا، فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة.

(٢) أن يذبح لغير الله فرحًا وإكرامًا، فهذا لا يخرج من الملة، بل هو من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحيانًا وغير مطلوبة أحيانًا، فالأصل أنها مباحة»(١).

ومما يدل على أن الذبح تقربًا عبادةٌ لله تعالى لا يجوز صرفها لغيره: الأدلة التالية:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

قال الطبري ﵀: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، يقول:

(١) «القول المفيد» (١/ ٢١٤).

وذبحي ﴿وَمَحْيَايَ﴾، يقول: وحياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾ يقول: ووفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يعني: أن ذلك كله له خالصًا دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾، يقول: وبذلك أمرني ربي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، يقول: وأنا أول من أقرَّ وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك»[1].

وتدل هذه الآية على أن الذبح تقربًا عبادة له من وجوه:

- **الوجه الأول:** أن المراد بالنسك في هذه الآية الذبح، ونُقل هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل.

ومما يدل على صحة هذا القول، وأن النسك هو الذبح قوله تعالى في الفدية ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦].

وفسر النبي ﷺ النسك بذبح شاة.

ووردت أحاديث تؤيد هذا القول، منها: حديث جابر رضي الله عنه: «قال: ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الذَّبْحِ كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مُوجَأَيْنِ، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩]﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ بِاسْمِ

(١) «تفسير ابن جرير» (١٢/ ٢٨٣).

اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ» ثُمَّ ذَبَحَ[١].

- الوجه الثاني: أن هذا النسك عبادة؛ بدليل قوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والعبادة صرفها لغير الله شرك.
- الوجه الثالث: صرف النسك لغير الله شرك؛ بدليل قوله:﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾.
- وبهذا يتضح أن الذبح تقربًا عبادةٌ، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

الدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

✍ **قال البغوي** ﵀: «قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: إِنْ أُنَاسًا كَانُوا يُصَلُّونَ لِغَيْرِ اللهِ وَيَنْحَرُونَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ وَيَنْحَرَ لِلَّهِ ﷻ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صَلَاةَ الْعِيدِ يَوْمَ النَّحْرِ ﴿وَٱنْحَرْ﴾ نُسُكَكَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ: ﴿فَصَلِّ﴾ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ بِجَمْعٍ، ﴿وَٱنْحَرْ﴾ الْبُدْنَ بِمِنًى.

ورجح ابن جرير ﵀ أن الآية عامة في كل صلاة ونحر، فبعد أن ذكر الأقوال في الآية قال:

«وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي

---

(١) رواه: أبو داود (٢٧٩٥)، والترمذي (١٥٢١)، وابن ماجه (٣١٢١)، وأحمد (١٥٠٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٧١٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه» جميعًا من حديث جابر، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٤/٣٤٩).

لا كفء له، وخصك به، من إعطائه إياك الكوثر.

وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك؛ لأن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه به من عطيته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، فكان معلومًا بذلك أنه خصه بالصلاة له، والنحر على الشكر له، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه، بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض وجه؛ إذ كان حثًّا على الشكر على النِّعَم.

فتأويل الكلام إذن: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ إنعامًا منَّا عليك به، وتكرمة منَّا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافًا لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان»[1].

فتدل الآية على أن الذبح عبادة، ولا يجوز صرفها لغير الله من وجوه:

(١) أنه جمع بين الأمر بالصلاة والأمر بالنحر الذي هو الذبح.

(٢) أنه جعل الصلاة والنحر خاصة لله في قوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾، وهذا فيه دليل على أن صرفها لغير الله شرك.

الدليل الثالث: ما رواه علي رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي رسول الله ﷺ بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ[2]، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ**

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٢٤/ ٦٥٦).

(٢) لعن الوالدين يكون على نوعين:

أ. لعن مباشر: كأن يسب أباه، أو أمه مباشرة، والعياذ بالله.

ب. لعن غير مباشر: بأن يسب أبا غيره، أو أمه، فيسب الآخر أباه، أو أمه، وقد جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: **«مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: **«نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»**.

آوَى مُحْدِثًا[١]، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ[٢]»[٣].

ووجه الدلالة في قوله ﷺ: «وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»، إما أن يكون على وجه الدعاء منه ﷺ على مَنْ ذَبَحَ لغير الله، أو على وجه الخبر، وأنَّ مَنْ ذبح لغير فإنه ملعون، وعلى الوجهين فإن فيه دليل على تحريم الذبح لغير الله؛ لأنه عبادة لا تكون إلا لله.

✍ قال الدِّهلوي الحنفي ﵀ في قوله ﷺ: «(مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ): كالمشركين يذبحون للأصنام»[٤].

✍ وقال الصنعاني ﵀: «(وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ) من صليب أو صنم أو قبر كما في زماننا هذا؛ فإنه قد صار ذلك شعارًا للإعمار وطريقتهم التي تسوقهم إلى النار في دار القرار»[٥].

---

(١) المُحْدِث: هو من أحدث أمرًا يخالف الشرع، سواء كان في الأمور الاعتقادية، أو العملية.
ومعنى آواه: ضمه إليه، وحماه، فإيواء المحدثين: هو حماية وإيواء أهل البدع، أو أهل النفاق، أو أهل الفسق الظاهر الناشرين له ومنع الاقتصاص منهم.

(٢) اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: (غير منار الأرض) على أقوال:
١. حدودها التي تفصل الحقوق.
والمعنى أن يدخل في حق جاره باقتطاع جزء من أرضه.
وقد جاء في الصحيحين: «مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».
٢. تغيير علامات الأرض التي يهتدي بها الناس في طرقهم، كالتي يهتدون بها إلى البلدان، والمياه ونحوها، وذكر الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ أن من ذلك تغيير علامات الطريق التي وضعها نظام المرور.

(٣) رواه مسلم حديث رقم (١٩٧٨).

(٤) «لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح»، المؤلف: عبد الحق بن سيف الدين ابن سعد الله البخاري الدِّهلوي الحنفي ت: (١٠٥٢هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق ـ سوريا، الطبعة: الأولى، (١٤٣٥هـ) (٧/ ١٥٧).

(٥) «التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ»، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، =

وقال الشيخ صفي الرحمن ﷺ: «(وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ) لهذا الذبح صورتان، إحداهما أن يذبح باسم غير الله من صنمٍ أو صليبٍ أو نبيٍّ أو وليٍّ أو صاحبِ ضريحٍ أو غير ذلك.

والثانية أن يذبح باسم الله، ولكن يقصد به التقرب إلى غير الله، وعلامة التقرب إلى ذلك الغير أن لا يكون المقصود من الذبح إطعامه، بل يكون المقصود طلب رضاه، ويأكله الآخرون، ومثال ذلك من يذبح الحيوان على قبور المشايخ باسم الله، يريد بذلك رضاهم ويطعمه الفقراء، فهذا الحيوان وإن كان قد ذُبح باسم الله ولكنه ذُبح لغير الله، وهو حرام لورود اللعن عليه، وشرك لأن التقرب بذبح الحيوان عبادة، وعبادة غير الله شرك لا شك فيه»[1].

وفي الحديث اشتراك الذبح لغير الله في اللعن مع غيره من المنهيات، وهذا القدر المشترك لا يدل على الاستواء في الحكم، فالأربعة المذكورة في الحديث مشتركة في أن من فعل شيئًا من هذه الأمور الأربعة؛ فإنه ملعون يلعنه الله ﷻ، لكن لا يدل ذلك على أن الحكم في الكل واحد، فاللعنة قد تقع على الكافر، وقد تقع على العاصي، والنصوص في هذا كثيرة.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ**

= الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (ت ١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ ٩/ ٦٢.

(١) «منة المنعم في شرح صحيح مسلم»، المؤلف: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ٣/ ٣٣١.

الغَافِلاَتِ»[١] فهذه فيها قدر مشترك، وهي أنها من الموبقات أي المهلكات، ومع هذا لا تشترك في الحكم. فالشرك يوبق صاحبه في عذاب الله، والكبيرة توبق صاحبها في عذاب الله.

ومما يدل على أن الذبح تقربًا عبادة لله لا تجوز أن تصرف لغيره ما جاء عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: « مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ فَقَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ » قَالَ: «فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ ﷻ» قَالَ: «فَضَرَبُوا عُنُقَهُ» قَالَ: «فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

ووجه الدلالة في قوله: «فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ»، فهذا فيه دلالة على تحريم الذبح لغير الله، وبما أنه صرفه تعبدًا وتقربًا لغير الله ممنوع فهو عبادة لا تكون إلا لله.

◈ أقسام الذبح من جهة الحكم[٣]:

بعد أن اتَّضح أن الذبحَ تقرُّبًا عبادةٌ، نذكر هنا أقسام الذبح من حيث

---

(١) رواه: البخاري حديث رقم (٢٧٦٦)، ومسلم حديث رقم (٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) حديث صحيح موقوف. أخرجه أحمد في الزهد (٨٤)، وابن أبي شيبة (٣٣٠٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩/ ٤٥٧) عن طارق بن شهاب، عن سليمان، قال العلامة الألباني: «وبالجملة؛ فالحديث صحيح موقوفًا على سلمان الفارسي ﷺ؛ إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانيًّا»، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١٢/ ٧٢٢).

(٣) «الوجيز».

الحكم، وهي كالتالي:

القسم الأول: الممنوع، وهو أنواع:

(١) شرك أكبر:

وله صورتان:

(أ) شرك عبادة:

وهو أن يذبح لغير الله تقربًا، كالذبح للأصنام، والقبور، والسحرة، والجن، **والدليل** أن الذبح للتقرب عبادة، والعبادة صرفها لغير الله شرك أكبر.

(ب) شرك استعانة:

وهو أن يذكر على المذبوح غير اسم الله، كقوله: باسم المسيح، أو باسم الجني الفلاني مثلًا، **والدليل** قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣].

(٢) شرك أصغر:

وهو أن يكون الذبح لله تقربًا، ولكن الطريقة غير شرعية، كالذبح عند عتبة البيت الجديد بقصد حلول البركة، أو بقصد منع الشرور ونحو ذلك، وكونه شركًا أصغر؛ لأنه اتخاذ سبب لم يجعله الله سببًا.

(٣) محرم:

وهو أن يكون الذبح لله، ولكن لم يذكر اسم الله عليه، وهذه ذبيحه محرمه ولا يجوز الأكل منها على أصح أقوال أهل العلم، **والدليل**: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٢١].

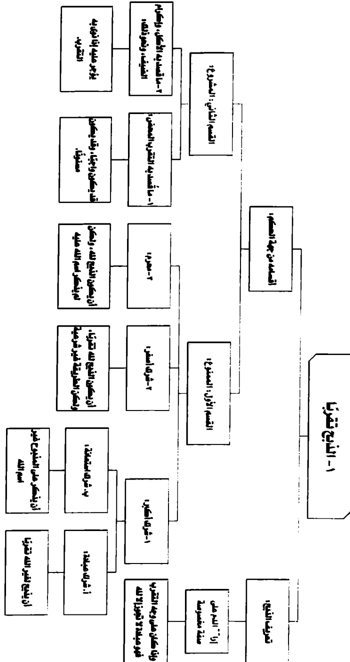
القسم الثاني: المشروع:

وهو على نوعين:

(١) **ما قُصد به التقرب المحض:** مثل الهدي، والأضحية، والعقيقة، والإيفاء بالنذر، ونحوها، وهذا قد يكون واجبًا، وقد يكون مسنونًا.

(٢) **ما قصد به الأكل، وإكرام الضيف، ونحو ذلك،** وهذا يؤجر عليه إذا نوى به التقرب.




١- الذبح تقربًا
تعريف الذبح:
إراقة الدم على صفة مخصوصة
وإذا كان على وجه التقرب فهو عبادة لا تجوز إلا لله
أقسامه من جهة الحكم:
القسم الأول: الممنوع:
١- شرك أكبر:
أ. شرك عبادة:
أن يذبح لغير الله تقربًا
ب. شرك استعانة:
أن يذكر على المذبوح غير اسم الله
٢- شرك أصغر:
أن يكون الذبح لله تقربًا، ولكن الطريقة غير شرعية
٢- محرم:
أن يكون الذبح لله، ولكن لم يذكر اسم الله عليه
القسم الثاني: المشروع:
١- ما قُصد به التقرب المحض:
قد يكون واجبًا، وقد يكون مسنونًا.
٢- ما قصد به الأكل، وإكرام الضيف، ونحو ذلك:
يؤجر عليه إذا نوى به التقرب.

الأسئلة

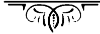
(١) عرف الذبح لغة واصطلاحا.

(٢) هل الذبح عبادة أو لا؟ مع ذكر الدليل ووجه الدلالة.

(٣) ما هي أقسام الذبح من جهة الحكم إجمالا؟

(٤) متى يكون الذبح شركًا أكبر؟ وما صوره؟ مع ذكر الدليل على كل صوره.

(٥) ما هي أنواع الذبح المشروع؟ وما حكم كل نوع؟



المبحث الثاني

السحـــر

السحر مما ينقض أصل التوحيد وذلك إذا كان عن طريق الاستعانة بالشياطين والتقرب لهم بأنواع من القرب والطاعات، وإذا كان بغير ذلك فهو ينافي كمال التوحيد الواجب، وسبب إدراجه ضمن نواقض التوحيد لأن فيه استعانة بالشياطين والتقرب لهم بأنواع من العبادات كالذبح والنذر وغيرها، وجاء في الحديث: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[١].

◈ تعريف السحر:

السحر لغة:

«ما خفي ودق ولطف سببه، ومعنى خفي: صار سبب ذلك الشيء خفيًّا لا يقع بظهور، وإنما يقع على وجه الخفاء؛ ولهذا سمي آخر الليل سَحَرًا لذلك، وكذلك قيل في أكلة آخر الليل سحور، وذلك لأنها تقع على وجه الخفاء وعدم الاشتهار والظهور من الناس»[٢]، قال في «الصحاح»: «وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُهُ ودَقَّ فهو سِحْرٌ»[٣].

---

(١) إسناده ضعيف، رواه النسائي في «سننه» (٤٠٧٩)، وفي «الكبرى» (٣٥٢٨) من طريق عباد بن ميسرة المنقري، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعًا، وعباد بن ميسرة لين الحديث، والحسن لم يسمع من أبي هريرة، وأورده العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٠٢).

(٢) «التمهيد» (ص٢٩٧).

(٣) «الصحاح» (٢/ ٦٧٩).

السحر اصطلاحًا:

اختلف في تعريف السحر، وأقرب التعاريف دقة أن يقال: «هو رقى وعزائم وأعمال تؤثر في قلب الإنسان وعقله وبدنه بإذن الله القدري»(١).

◈ حقيقة السحر:

والسحر له حقيقة مؤثرة كما ذكر الله أنه يُفرِّق بين الرجل وزوجته، وكذلك الواقع يثبت أن للسحر حقيقةً وتأثيرًا، خلافًا لقول المعتزلة الذين أنكروا حقيقة السحر بناءً على أنه إذا كان له حقيقة؛ فإنه يلتبس بمعجزات الأنبياء، والصحيح أنه لا يلتبس؛ لأن دلائل النبوة كثيرة ولا تتوقف على المعجزة، كما أن دلائل النبوة من المعجزات لا يستطيع جنس البشر الإتيان بمثلها، بخلاف السحر؛ فإنه يُتعلَّم ويُعَلَّم بكونه سحرًا.

يقول ابن القيم ﷺ: «وقد دلَّ قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾[الفلق:٤] وحديثُ عائشة ﷺ المذكور على تأثير السحر وأن له حقيقة(٢)، وقد أنكر ذلك طائفةٌ من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وقالوا:

---

(١) قال الشيخ الشنقيطي ﷺ: «اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حدّه بحدٍّ جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعًا لها مانعًا لغيرها؛ ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافًا متباينًا». «أضواء البيان» (٤/ ٥٥٥). وينظر: «الوجيز»، باب ما جاء في السحر.

(٢) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ: قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ» قَالَتْ: فَأَتَاهَا =

إنه لا تأثيرَ للسحر ألبَتَّةَ؛ لا في مرض، ولا قتل، ولا حَلّ، ولا عقد، قالوا: وإنما ذلك تخيلٌ لأعين الناظرين، لا حقيقةَ له سوى ذلك.

وهذا خلافُ ما تواترت به الآثارُ عن الصحابة والسَّلَف، واتفق عليه الفقهاءُ وأهل التفسير والحديث، وأربابُ القلوب من أهل التَّصَوُّف، وما يعرفُهُ عامَّةُ العقلاء.

والسحرُ الذي يؤثر مرضًا وثقلًا، وحلًّا وعقدًا، وحبًّا وبغضًا، ونزيفًا، وغير ذلك من الآثار موجودٌ تعرِفُهُ عامة الناس، وكثير منهم قد علمه ذوقًا بما أصيبَ به منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾[الفلق:٤] دليل على أن هذا النفث يضرُّ المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضررُ لا يحصُلُ إلا بمباشرة البَدَن ظاهرًا -كما يقولُه هؤلاء- لم يكنْ للنَّفثِ ولا للنفَّاثات شرٌّ يستعاذ منه»(١).

◊ أنواع السحر:

النوع الأول: السحر باستخدام الشياطين

وهذا كفرٌ؛ لأن فيه استعانة بالشياطين ودعاءهم وصرف بعض القرب لهم، فالرقى والعزائم كما قال شيخ الإسلام «تتضمن أسماء رجال من الجن

رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ». رواه البخاري حديث رقم (٣٢٦٨)، ومسلم حديث رقم (٢١٨٩).

(١) «بدائع الفوائد»، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ)، المحقق: علي بن محمّد العمران، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، (١٤٤٠ هـ) (٢/٧٤٦).

يُدعون؛ ويُستغاث بهم ويُقسم عليهم بمن يُعظمونه، فتُطيعهم الشياطينُ بسبب ذلك في بعض الأمور. وهذا من جنس السحر»[١]. وهذا النوع كفر بدلالة الكتاب والسنة، ومن ذلك:

ما ورد في كتاب الله تعالى من كُفر مُعلِّم السحر؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[البقرة:١٠٢]، وقوله تعالى حكاية عن الملكين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢].

قال الطبري ﵀: «وما يعلِّم الملكان أحدًا من الناس الذي أُنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه، حتى يقولا له: إنما نحن بلاء وفتنة لبني آدم، فلا تكفر بربك»[٢].

قال البغوي ﵀: «أي: لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر»[٣].

ومن الأدلة على تحريم هذا النوع وكفره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[البقرة:١٠٢]، والخلاق: الحظ والنصيب، وقيل: الدين، وقيل: القوام، وقيل: الحجة، ورجح ابن جرير الأول فقال: «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى «الخلاق» في هذا الموضع: النصيب. وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب، ومنه قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ**»[٤]، يعني: لا نصيب لهم ولا حَظَّ في الإسلام والدين.

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٦٢).
(٢) «تفسير ابن جرير» (٢/ ٤٤٠).
(٣) «تفسير البغوي» (١/ ١٣١).
(٤) النسائي في «الكبرى» (٨٨٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٤٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥١٧)، وصححه الألباني في «صَحِيح الْجَامِع» (١٨٦٦).

القول البليغ، والنميمة سحرًا، ولكنه حرام لمضرته، يُعزَّر مَن فعله تعزيرًا بليغًا»[١].

✍ **وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي:** «التحقيق في هذه المسألة - يعني كفر الساحر - هو التفصيل، فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله، كالكواكب، والجن، وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر، فهو كفرٌ بلا نزاع ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة، فإنه كفر بلا نزاع... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر، كالاستعانة بخواص بعض الأشياء، من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر. هذا هو التحقيق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء» ا. هـ[٢].

وبهذا يتضح أن السحر متى استُخدِمت فيه الشياطين كان كفرًا، وإذا لم تُستخدم الشياطين كان محرمًا.



(١) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى (ص٣٢٦).

(٢) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار ابن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: (١٤١٥) (٤/ ٥٠).

ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

يَـدْعُون بالويـل فيهـا لا خَـلاق لهـم ... إلا سـرابيلُ مـن قِطْـر وأغـلال

يعني بذلك: لا نصيب لهم ولا حظ، إلا السرابيل والأغلال.

فكذلك قوله: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢]: ما له في الدار الآخرة حظ من الجنة، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين، ولا عمل صالح يجازى به في الجنة ويثاب عليه»[١].

النوع الثاني: السحر بالأدوية والعقاقير والأدخنة:

وهذا فيه خلاف بين أهل العلم:[٢]

(أ) **الجمهور**: لم يفرقوا بين أنواع السحر وجعلوه كفرًا؛ لعموم الأدلة.

(ب) **الشافعية**: قالوا ليس بكفر؛ لأنه ليس فيه استخدام الشياطين.

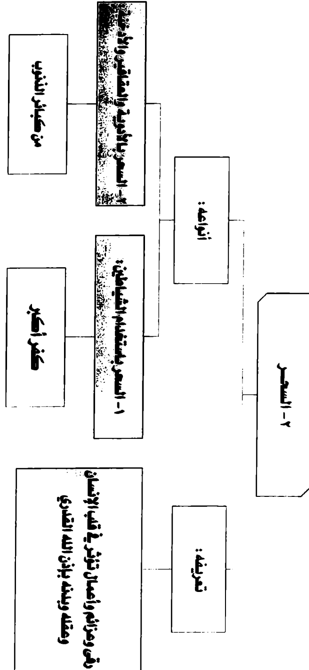
قال أبو بكر الجصاص: «وقول الشافعي في ذلك خارج عن قول جميعهم»[٣].

وقال في «تيسير العزيز الحميد»: «وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشياطين والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز، كتسمية

(١) «تفسير الطبري» (٢/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٢) «الوجيز» باب ما جاء في السحر.

(٣) «أحكام القرآن»، المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص، الناشر: دار إحياء التراث العرب، عام النشر: (١٤٠٥) (ص٦٣).


٢- السحر
تعريفه :
رقى وعزائم وأعمال تؤثر في قلب الإنسان وعقله وبدنه بإذن الله القدري
أنواعه :
١- السحر باستخدام الشياطين :
كفر أكبر
٢- السحر بالأدوية والعقاقير والأدخنة
من كبائر الذنوب

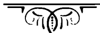
الأسئلة

(١) عرف السحر لغة واصطلاحا.

(٢) ما هي حقيقة السحر؟ وما دليل ذلك؟

(٣) ما حكم السحر باستخدام الشياطين؟ وما دليله؟

(٤) ما حكم السحر بالأدوية والعقاقير والأدخنة؟ وما دليله؟



المبحث الثالث

تشريع ما لم يشرعه الله

خلَق اللهُ الخلقَ ولم يجعلهم هملًا، بل أرسل لهم رسلًا يبيِّنون لهم الخير والشر؛ لذلك وجبت طاعتهم؛ لأنها من طاعة الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:٨٠]؛ «ولما كانت الطاعة عبادة، لم يجز صرفها لغير الله، ووجب توحيد الله بها، ومن أعظم حق الله في الطاعة: طاعته في التحليل والتحريم؛ إذ إن هذا خالص حقه، قال الله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]، وليس للأمراء ولا العلماء -ولا غيرهم-، أن يشرعوا دون الله، فكما أن له الخلق، فله الأمر، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤]، فالله ﷻ هو الذي يأمر وينهى، ويُحِل ويُحرِّم»[1]، فأمر التحليل والتحريم خاص بالرب سبحانه، والطاعة التعبدية هي الطاعة المطلقة أو الطاعة الخاصة في التحليل والتحريم وهذه لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

✍ قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: «فالطاعة الاستقلالية نوع من أنواع العبادة، فيجب إفراد الله ﷻ بها، وغير الله ﷻ إنما يطاع لأن الله ﷻ أذن بطاعته، ويطاع فيما أذن الله به في طاعته، فالمخلوق لا يطاع في معصية الله؛ لأن الله لم يأذن أن يطاع مخلوق في معصية الخالق ﷻ وإنما يطاع فيما أطاع الله ﷻ فيه»[2].

(١) «بيت القصيد في شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٥٢١).
(٢) «التمهيد في شرح كتاب التوحيد» (ص٤١٣).

وجميع العبادات إنما هي امتداد لطاعة الرب سبحانه، **قال المروزي** ﷺ: «ومعقول في اللغة وعند العلماء أن عبادة الله هي التقرب إليه بطاعته»[١]، وقال **شيخ الإسلام** ﷺ: «فإن الإسلام هو الطاعة»[٢]، وقال ﷺ: «فالدين هو العبادة... وتسأل عن العبادة، والعبادة هي الطاعة؛ ذلك أنه من أطاع الله فيما أمره به وفيما نهاه عنه؛ فقد آثر عبادة الله، ومن أطاع الشيطان في دينه وعمله؛ فقد عبد الشيطان»[٣].

وبهذا يتضح أن الطاعة التعبدية من العبادات التي لا تكون إلا لله تعالى؛ فلا طاعة مطلقة إلا لله تعالى، ولا طاعة خاصة في التحليل والتحريم إلا لله تعالى.

وغالب ما يحصل من خلل في أهل الإسلام هو الطاعة الخاصة، والتحليل لما حرم الله أو التحريم لما أحل الله، والأصل في هذا الفعل الكفر، خاصة في المسائل المجمع على حكمها بين أهل العلم.

✍ **قال الزجاج**: «كل مَنْ أَحَلَّ شيئًا مما حرمَ الله عليه أو حرَّم شيئًا مما أحلَّ الله له فهو مُشرِكٌ.

لو أحلَّ مُحِلٌّ الميتةَ في غير اضطرارٍ، أو أحل الزنا لَكان مُشركًا بِإجماع الأمَّةِ، وإن أطاع الله في جميع ما أمر به، وإنما سُمِّي مُشْرِكًا؛ لأنه اتبع غير الله، فأشرك بالله غيره»[٤].

---

(١) «تعظيم قدر الصلاة»، المؤلف: محمد بن نصر المَرْوَزِي (ت ٢٩٤ هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (١٤٠٦هـ) (ص٣٤٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٦٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩٥).

(٤) «معاني القران» للزجاج (٢/ ٢٨٧).

✍ **ويقول شيخ الإسلام** ﵀: «والإنسان متى حلَّل الحرام - المجمع عليه - أو حرَّم الحلال - المجمع عليه - أو بدَّل الشرع - المجمع عليه - كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء»(١).

ومسألة التحليل والتحريم غالبًا تقع من المعظَّمين من العلماء والأمراء، فيتبعهم الناس على ذلك، ومن اجتهد من العلماء والأمراء في معرفة الحلال والحرام وهو أهل للاجتهاد وأخطأ؛ فله أجر وإن أصاب فله أجران.

وفي الجملة؛ فإن وظيفة العلماء هي البيان، ووظيفة الأمراء هي إلزام الناس بأمر الله، ولم يخصهم الله بالطاعة المطلقة، وإنما جعلها طاعة مقيدة (بالمعروف)، كما جاء عن النبي ﷺ: «**لا طَاعَةَ في مَعْصِيَةٍ، إنَّما الطَّاعَةُ في المَعروفِ**(٢)».

وجاءت النصوص الكثيرة التي تدل على فضل العلماء ومكانتهم في الأمة، إلا أن هذه المكانة لا ترقى إلى رتبة التشريع والتحليل والتحريم من دون الله.

كما جاءت النصوص الموضحة لفضل الأمراء ووجوب طاعتهم ولزوم جماعتهم وعدم الخروج عليهم ومنابذتهم، إلا أن هذه الطاعة قُيدت (بالمعروف): «**لا طَاعَةَ في مَعْصِيَةٍ، إنَّما الطَّاعَةُ في المَعروفِ**»(٣).

ويدخل في هذا كل أحد غير العلماء والأمراء من المُعظَّمين وغيرهم، قال ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٦٧).

(٢) رواه البخاري حديث رقم (٧٢٥٧)، ومسلم حديث رقم (١٨٤٠) من حديث علي ابن أبي طالب مرفوعًا.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) حديث صحيح لغيره. رواه: أحمد (٢٠٦٥٣)، والطبراني (١٨/ ١٨٥) من حديث عمران بن

وجاءت طاعة العلماء والأمراء تابعة لطاعة الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء:٥٩] فهنا لم يكرر الفعل ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ في حق أولي الأمر، ليبين أن طاعتهم ليست مطلقة، وإنما هي تابعة لطاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ.

والمقصود هنا: الطاعة الخاصة في التحليل والتحريم المخالف لأمر الله، ويختلف حكمها باختلاف صورها، وقد ضل قومٌ في هذ الباب بسبب جهلهم وعدم تصورهم للمسألة بشكل دقيق، وتسرعهم في تنزيل الحكم على الأعيان، وافتئاتهم على العلماء والولاة.

والطاعة في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله لها حالتان، ولكل حالة صور مختلفة، يختلف بناءً عليها الحكم الشرعي، وهي على النحو التالي:

◈ **الحالة الأولى: أن يعلم أنهم خالفوا أمر الله، وله ثلاث صور:**

الصورة الأولى: أن يعتقد أن لهم حق التشريع والتحليل والتحريم مطلقًا، أو أن حكمهم وتشريعهم أفضل من شرع الله، أو أن تشريعهم مماثل لتشريع الله، فهذا شرك أكبر.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣١]، والأحبار هم عُلماء اليهود، والرهبان هم عُبَّاد النصارى، والمراد بالأرباب من دون الله، أي: إنزالهم منزلة الرب، فجعلوا لهم الطاعة المطلقة في التحليل والتحريم.

= حصين بنحوه، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٠) ورواه: ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٧١٧) عن الحسن مرسلًا، ورواه: الطبراني في «الأوسط» (٤/ ١٨١) من حديث عمر بن الخطاب، وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٢٠): صحيح.

وقد جاء ما يوضح هذا المعنى من حديث عدي بن حاتم ﷺ لما دخل على رسول الله تعالى وهو يقرأ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، قَالَ عَدِيٌّ ﷺ: فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: **«أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟»** قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: **«فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»**[(١)].

وفي رواية أخرى: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: **«يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»**، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣١]، قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»**[(٢)].

✍ **يقول ابن جرير** ﷺ: ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣١]، يعني: سادةً لهم من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرَّمه الله عليهم، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم»[(٣)].

✍ **وقال شيخ الإسلام** ﷺ: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا؛ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدَّلوا دين الله، فيتَّبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم

(١) رواه: الترمذي في «السنن» (٣٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/٩٢/٢١٨ و٢١٩)، وأورده الألباني في «الصحيحة» (٣٢٩٣).

(٢) انظر ما سبق.

(٣) «تفسير ابن جرير» (١٤/٢٠٩).

أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كُفرٌ، وقد جعله الله ورسوله شركًا - وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم - فكان من اتبع غيره في خلاف الدين- مع علمه أنه خلاف الدين- واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله؛ مشركًا مثل هؤلاء»[1].

فأهل العلم يفرِّقون في هذه المسألة بين من يعتقد أن التشريع حق للمعظمين، وبين من يتبعهم لهوى، سواء كان لطمعٍ في أمر دنيوي، أو نصرة عصبية أو غير ذلك.

الصورة الثانية: أن يعتقد أن التشريع لله، ولكن يطيعهم لهوى في نفسه، فهذا فسق وعصيان.

فهذه الصورة محرمة، ولكنها لا تصل إلى حد الكفر.

✍ **يقول شيخ الإسلام** ﵀: «**والثاني**: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[2]، وقال: «**عَلَى الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ**»[3]»[4].

الصورة الثالثة: أن يعتقد أن التشريع لله، ولكن أطاعهم لأنه مُكره، فهذا لا شيء عليه.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٧٠).

(٢) رواه البخاري حديث رقم (٧١٤٥)، ومسلم حديث رقم (١٨٤٠) من حديث علي ابن أبي طالب ﵁.

(٣) رواه مسلم حديث رقم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر ﵄.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٧٠).

ومن أُكره على فعل الحرام فلا شيء عليه، **يقول الشيخ ابن باز** ﷺ: «الشيء الذي فعله مكرهًا إكراهًا شرعيًا، يعني: أُكره بالقوة مع طمأنينة قلبه بالإيمان، أُكره على شُرب الخمر، أُكره على الكُفر بالضرب، والوعيد من قادر على فعله، من يغلب على ظنه أنه يفعل؛ لا يضره ذلك، إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان، ثابت على الحق؛ لقول الله سبحانه ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦].

فلو أُكره على أن يسب الدين، أو يسب الرسول ﷺ بالضرب، أو بالوعيد بالقتل، يظن أن المُكرِه يفعله، فإنه عذر أن يتكلم، ولكن مع ثبات القلب على الإيمان، مع إيمانه بقلبه أنه على الحق، وأن هذا الإكراه هو الذي حمله.... فهو قاله باللسان دون القلب.

وهكذا لو أُكره على شُرب الخمر، صُب في فمه، أو أُعطي إياه قال: إما أن تشرب، وإلا ضربناك، أو قتلناك، يكون الإثم عليهم، ولا عليه شيء، إذا كان قلبه مطمئنًا بتحريمه، وأنه إنما فعله من أجل دفع الشر»[1].

◈ **الحالة الثانية: أن يجهل أنهم خالفوا أمر الله، فهذا له صورتان:**

الصورة الأولى: إذا كان جاهلًا ويستطيع التعلم، فهذا يأثم لتفريطه.

يقول شيخ الإسلام ﷺ: «ويلحق الذم مَنْ تبيَّن له الحق؛ فتركه أو قصر في طلبه فلم يتبين له، أو أعرض عن طلبه لهوى أو كسل ونحو ذلك»[2].

الصورة الثانية: إذا كان جاهلًا ولا يستطيع التعلم، فهذا لا شيء عليه؛ لأن الله لا يُكلِّف نفسًا إلا وسعها، وهذا أمر متقرر في الشريعة.

(١) موقع الشيخ ابن باز على الشبكة العنكبوتية.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٩٥).

فهذه خمس صور يختلف حكمها باختلاف صورها؛ فكيف يُجعل الجميع في الحكم سواء، ويلاحظ أن بعض الصور لا يأثم فيها صاحبها؛ لفوات شرط أو وجود مانع، **كما يقول شيخ الإسلام** ﷺ: «فمن أطاع أحدًا في دين لم يأذن الله به: من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب: فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يلحق الآمر الناهي.

ثم قد يكون كل منهما معفوًّا عنه، فيتخلف الذم لفوات شرطه أو وجود مانعه»(١).

◈ مسألة: الحكم بغير ما أنزل الله

ومسألة الحكم بغير ما أنزل تندرج تحت مبحث التشريع؛ لأن الحكم إنما يكون بالشرع، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[النساء:٥٩]، فأمرنا الله تعالى بالتحاكم إلى شرعه، وجعل ذلك من مقتضيات الإيمان.

✍ **يقول ابن كثير** ﷺ: «وهذا أمر من الله، ﷻ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[الشورى:١٠]، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾.

فدلَّ على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٩٥).

ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر»[1].

وقال ابن عطية ﷺ: «والرد إلى الله: هو النظر في كتابه العزيز، والرد إلى الرسول: هو سؤاله في حياته، والنظر في سنته بعد وفاته ﷺ، هذا قول مجاهد، والأعمش، وقتادة، والسدي، وهو الصحيح...، وفي قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النساء:٥٩] بعض وعيد؛ لأن فيه جزاء المسيء العاتي، وخاطبهم بـ ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ وهم قد كانوا آمنوا، على جهة التقرير، ليتأكد الإلزام»[2][3].

وقد ذكر الله ﷻ ثلاثة أوصاف لمن يحكم بغير ما أنزل الله:

الوصف الأول: الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

الوصف الثاني: الظلم، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

الوصف الثالث: الفسق، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

وبما أن الوصف من الرب ﷻ تعدد؛ إذ الموصوف متعدد، وفي ذلك **يقول الشيخ ابن عثيمين** ﷺ: «وقيل: إنها لموصوفين متعددين، وإنها على حسب الحكم، وهذا هو الراجح»[4]، ثم وضح ﷺ وصف كل واحد منهم

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٦).
(٢) «تفسير ابن عطية» (٢/ ٧١).
(٣) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى (ص٢٨٥).
(٤) «القول المفيد» (٢/ ١٥٩).

وصفاته:

فوصف «الكفر» ينطبق على الصور التالية:

(١) إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله.

(٢) إذا اعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله.

(٣) إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله.

ويلاحظ أن هذه الصور خرق لما اتفق عليه أهل العلم من تحريم الحكم بغير ما أنزل الله، أو اعتقاد جواز إشراك غير الله في الحكم مع الله، ويجمعها الجحود والاستكبار.

يقول ابن جرير ﷺ: «كذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به، هو بالله كافر، كما قال ابن عباس؛ لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي»[1].

ويقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «فيكون كافرًا في ثلاثة أحوال:

(أ) إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، فكل ما خالف حكم الله، فهو من حكم الجاهلية، بدليل الإجماع القطعي على أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، فالمُحِل والمُبِيح للحكم بغير ما أنزل الله مخالف لإجماع المسلمين القطعي، وهذا كافر مرتد، وذلك كمن اعتقد حل الزنا أو الخمر أو تحريم الخبز أو اللبن.

(ب) إذا اعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله.

(١) «تفسير ابن جرير» (١٠/ ٣٥٨).

(ج) إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]؛ فتضمنت الآية أن حكم الله أحسن الأحكام، بدليل قوله تعالى مقررًا ذلك: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨]، فإذا كان الله أحسن الحاكمين أحكامًا وهو أحكم الحاكمين، فمن ادَّعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر؛ لأنه مكذب للقرآن»[١].

أما وصف «الظلم»: فينطبق على من اعتقد أن حكم الله هو الأحسن ويجب تطبيقه، ولكن حمله بغضه وحقده على المحكوم عليه، فحكم بغير ما أنزل الله.

✍ يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «ويكون ظالمًا: إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام، وأنه أنفع للعباد والبلاد، وأنه الواجب تطبيقه، ولكن حمله البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله، فهو ظالم»[٢].

وأما وصف «الفسق»: فينطبق على من اعتقد أن الحكم بما أنزل الله هو الأحسن ويجب تطبيقه، وحكم بغيره لهوى في نفسه كأخذ رشوة، أو يطلب حاجة من منصب وغير ذلك، فهذا فاسق، وإن كان ظالمًا أيضًا، لكن وصف الفسق في حقه أولى ومن وصف الظلم.

والفرق بين الظلم والفسق في الحالتين: أن المحرك في الفسق ليس قصد الظلم وإنما المحرك هو الهوى.

✍ يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «ويكون فاسقًا: إذا كان حكمه بغير ما

(١) «القول المفيد» (٢/ ١٥٩-١٦٠).
(٢) «القول المفيد» (٢/ ١٦٠).

أنزل الله لهوى في نفسه مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق، لكن حكم بغيره لهوى في نفسه؛ أي: محبة لما حكم به لا كراهة لحكم الله ولا ليضر أحدًا به، مثل: أن يحكم لشخص لرشوة رشي إياها، أو لكونه قريبًا أو صديقًا، أو يطلب من ورائه حاجة، وما أشبه ذلك مع اعتقاده بأن حكم الله هو الأمثل والواجب اتباعه، فهذا فاسق، وإن كان أيضًا ظالمًا، لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم»[1].

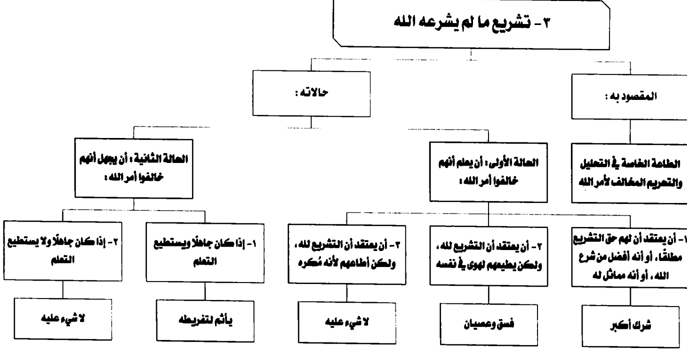
ومن أهل العلم من جعله وصفًا متعددًا لموصوف واحد، والمحصلة النهائية لكلا القولين واحدة؛ فجميعهم لا يجعل مَن حَكَمَ لهوى أو حرص على الدنيا كافرًا، وإنما مناط الكفر هو الجحود والاستحلال كما تقد بيانه.

✍ **يقول الإمام القصاب** ﷺ: «فنقول مَنْ حَكَمَ بضد حكم الله مدعيًا به على الله أو جاحدًا بما أنزله من أحكامه فهو كافر؛ لأن من جحد القرآن، وقد شهد الله بإنزاله، أو نسب إليه ما لم ينزله، فقد كذب عليه، ومن كذب عليه لم يرتب بكفره؛ لقوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[الزمر:٣٢]، فسماهم كفارًا، فمن كان تاركًا لما أنزل الله في أحكامه على هذه الصفة، فقد ساوى من أنزلت فيهم الآيات من اليهود والنصارى، واستحق اسم الكفر والظلم والفسق.

ومن حمله حرص الدرهم والدينار، أو بلوغ ثأر، أو شهوة نفس على ترك حكم الله، وهو عالم بعدوانه عارف بإساءته، حذرٌ من سوء صنيعه، مصدق لربه فيما أنزل من الأحكام، شاهد عليها بالحق المفترض عليه العمل به، ولم يساوهم فيها، وهو باق على إسلامه عاص لربه، فأفعاله تستوجب عقوبته إن لم يجد بالصفح عنه.

---

(١) «القول المفيد» (٢/ ١٦٠).

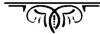

٢- تشريع ما لم يشرعه الله
المقصود به :
الطاعة الخاصة في التحليل والتحريم المخالف لأمر الله
حالاته :
الحالة الأولى : أن يعلم أنهم خالفوا أمر الله :
١- أن يعتقد أن لهم حق التشريع مطلقًا، أو أنه أفضل من شرع الله، أو أنه مماثل له
شرك أكبر
٢- أن يعتقد أن التشريع لله، ولكن يطيعهم لهوى في نفسه
فسق وعصيان
٣- أن يعتقد أن التشريع لله، ولكن أطاعهم لأنه مُكره
لا شيء عليه
الحالة الثانية : أن يجهل أنهم خالفوا أمر الله :
١- إذا كان جاهلًا ويستطيع التعلم
يأثم لتفريطه
٢- إذا كان جاهلًا ولا يستطيع التعلم
لا شيء عليه

فإن تاب لحق بالتائبين، ومن يستوجب المغفرة من المذنبين، ومر الموت قبل التوبة كان له طريقان:

أحدهما: الرجحان في الوزن

والآخر: التفضل بالعفو وترك المناقشة في الوزن»[1].

فالحكم بغير ما أنزل الله يكون كفرًا إذا جحد الحكم بما أنزل الله استحل الحكم بغير ما انزل مع قيام الشروط وانتفاء الموانع، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ﷺ موضحًا مناط تكفير من حكم بغير ما أنزل الله وأنه الاستحلال: «فإن كثيرًا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالًا»[2].



(١) «النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام»، المؤلف: أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري، وآخرين، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، الطبعة: الأولى (١٤٢٤ هـ) (١/ ٣١٠-٣١٢).

(٢) «منهاج السنة» (٥/ ١٣٠).

الأسئلة

(١) الطاعة في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله لها حالتان، ولكل حالة صور مختلفة، اذكرها مع الاستدلال لكل صورة.

(٢) مسألة الحكم بغير ما أنزل الله تندرج تحت أي مبحث؟ وما دليل ذلك؟

(٣) ذكر الله تعالى ثلاثة أوصاف لمن يحكم بغير ما أنزل الله، اذكرها مع الاستدلال لكل وصف.

(٤) ما الفرق بين الظلم والفسق؟



تدريب

س١: اذكر بعض الأعمال العملية التي يعدُّ صَرْفُها لغير الله شركًا أكبر.

س٢: ما الدليل على أن الذبح لغير الله عبادةٌ؟

س٣: اذكر أقسام الذبح من جهة الحكم.

س٤: اذكر أنواع السحر؟

س٥: ما الدليل على أن السحر باستخدام الشياطين كفر؟

س٦: ما الدليل على أن من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله فقد كفر؟

س٧: ما حُكْم من حَكَمَ بغير ما أنزل الله؟

س٨: اختر الإجابة الصحيحة:

من أنواع الشرك الأكبر:

(أ) الذبح لغير الله. (**ب**) السحر.

(ج) تشريع ما لم يشرعه الله. (**د**) كل ما سبق.

س٩: **أكمل الحديث:**

قال رسول الله ﷺ: «............ **فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ**»

س١٠: كيف اتخذ اليهود والنصارى الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله؟ اشرح ذلك؟



المبحث الرابع

ادعـاء علم الغيب

مما يناقض أصل التوحيد ادِّعاء علم الغيب عن طريق الكهانة أو العرافة أو التنجيم وغيرها، والغيب هو كل ما غاب عن حواس الإنسان ومداركه، **وينقسم الغيب إلى قسمين:**

◈ القسم الأول: غيب مطلق:

لا يعرفه إلا الله ﷻ، ولا سبيل للإنسان إلى معرفته من خلال حواسه ومداركه، ولا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي، وهو نوعان:

النوع الأول: ما أعلم الله به الناس عن طريق الوحي إلى أنبيائه ورسله كتفاصيل يوم القيامة ووجود الملائكة والجن وغير ذلك.

النوع الثاني: ما استأثر الله بعلمه، ولم يخبر به ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا كعلم وقت القيامة وغيرها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤].

وقال ﷺ: **«مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ»**(١).

ونلاحظ أن الغيب المطلق متعلقه أمران: أمور موجوده لا يمكننا الآن

(١) رواه البخاري حديث رقم (١٠٣٩) من حديث ابن عمر ﷺ.

إدراكها بالحواس كالجنة والنار، وأمور متوقع حصولها لا يعلم موعدها وكنهها إلا الله، كموعد قيام الساعة وما في الأرحام، وادعاء علم الغيب متعلق بها، فهو متعلق بتوقع حوادث وأمور مستقبلية وربطها بالكواكب وحركاتها، أو باستخدام الجن والشياطين.

القسم الثاني: غيب نسبي:

وهو ما كان غائبًا عن البعض دون البعض ويمكن معرفته بالخبر والمشاهدة وغيره، وادِّعاء الغيب فيه يكون باستخدام الجن والشياطين أو التخرصات الكاذبة.

ونلاحظ أن ادِّعاء الغيب يُتحدث فيها عن ادِّعاء علم الغيب المطلق وادِّعاء علم الغيب النسبي بطرق خفية، وهذا يكون بالكهانة والتنجيم وغيرها، وليس باستخدام طرق حسابية أو دلائل كونية.

وسأوضح سبب ارتباط كل واحد منها بتوحيد الألوهية، مع أنه ليس عبادة محضة، وهي على النحو التالي:

أولًا: الكهانة والعرافة:

ويجمع أنواع الكهانة والعرافة: ادِّعاء علم الغيب بطُرق خفية منها العرافة والخط والطَّرق وقراءة الكف والفنجان وغيرها.

الفرق بين الكاهن والعراف:

فرَّق بعض أهل العلم بين العرافة والكهانة، وخص بعضهم الكاهن بالإخبار عن الماضي والعراف بالمستقبل، وقال البعض: العراف أعم يخبر عن الماضي والمستقبل، وفرق بعضهم بينهما، بأن العراف يستخدم التخمين، والكاهن يستخدم الجن، ومنهم من قال إنهما بمعنى واحد، والغالب في

استعمال العرب إطلاق العراف على من يخبر بالمفقودات والمسروقات مما وقع في الماضي، وإطلاق الكاهن على المخبر عن المستقبل، وحقيقتهم عند العرب واحدة، وهي الإخبار عن المغيبات بطرق خفيه[1].

ووجه دخول الكهانة والعرافة في موضوع الألوهية من جهتين:

الأول: كون ادِّعاء علم الغيب مناقضًا للتوحيد بالكلية، فوجب معرفته والحذر منه.

الثاني: أن في بعض صوره استعانة بالشياطين أو صرف بعض أنواع العبادة لهم.

حكم الكهانة:

ادِّعاء علم الغيب في جميع الأمور، أو ادِّعاء علم الغيب المطلق أمر محرم وكفر بالله تعالى؛ فإن الغيب لا يعلمه إلا الله، فمن ادَّعى أنه يعرف الغيب دائمًا فيقرأ الفنجان أو الكف أو غيرها من استخدام الجن فهذا كفر بالله تعالى، وهذا هو الأصل في المسألة، ودليله أن الله ﷻ أثبت أنه لا يعلم الغيب أحد، فقال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥] فمدَّعي علم الغيب مكذب لله تعالى.

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - (١٤١٢هـ) (ص٨٢٧)، و«مشارق الأنوار على صحاح الآثار»، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث (٢/ ٧٦)، و«المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث»، المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (ت ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى (٣/ ٩٥)، و«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، المؤلف: أحمد بن محمد ابن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت (٢/ ٤٠٤)، و«القول المفيد» (١/ ٥٥٢).

ومن جهة التفصيل، فادِّعاء علم الغيب يختلف حكمه باختلاف طرائقه، **وهو على ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: ادِّعاء معرفة الغيب من خلال الجن والشياطين، سواء في كل القضايا أو الغيب المطلق، فهذا كفر بالله تعالى لعدد من الأسباب جمعها الشيخ حافظ حكمي ﷺ، فقال:

«وأما كفر الكاهن فمن وجوه:

الأول: مِنْهَا كونه وليًّا للشيطان فَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَوَلَّاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾[الأنعام:١٢١] وَالشَّيْطَانُ لَا يَتَوَلَّى إِلَّا الْكُفَّارَ وَيَتَوَلَّوْنَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة:٢٥٧]. **وَهَذَا وَجْهٌ ثَانٍ.**

وَالثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ أَيْ: نُورِ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أَيْ: ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[النساء:١١٩] **وَهَذَا وَجْهٌ رَابِعٌ.**

وَالْخَامِسُ: تَسْمِيَتُهُ طَاغُوتًا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء:٦٠]، نَزَلَتْ فِي الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَى كَاهِنِ جُهَيْنَةَ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ أَيْ: بِالطَّاغُوتِ **وَهَذَا وَجْهٌ سَادِسٌ.**

وَالسَّابِعُ: أَنَّ مَنْ هَدَاهُ اللهُ لِلْإِيمَانِ مِنَ الْكُهَّانِ كَسَوَادِ بْنِ قَارِبٍ ﷺ لَمْ يَأْتِهِ رِئِيُّهُ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، فَدَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَتَنَزَّلْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا لِكُفْرِهِ وَتَوَلِّيهِ إِيَّاهُ، حَتَّى إِنَّهُ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ حَتَّى قَالَ لَهُ عُمَرُ ﷺ: مَا

كُنَّا فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ أَعْظَمُ.

الثَّامِنُ وَهُوَ أَعْظَمُهَا: تَشَبُّهُهُ بِاللهِ ﷻ فِي صِفَاتِهِ وَمُنَازَعَتُهُ لَهُ تَعَالَى فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَإِنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا دُونَ مَنْ سِوَاهُ، فَلَا سَمِيَّ له ولا مُضَاهِيَ وَلَا مُشَارِكَ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور:٤١]، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم:٣٥] وَلِسَانُ حال الكاهن ومقاله يَقُولُ: نَعَمْ.

التَّاسِعُ: أَنَّ دَعْوَاهُ تِلْكَ تَتَضَمَّنُ التَّكْذِيبَ بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ.

الْعَاشِرُ: النُّصُوصُ فِي كُفْرِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَكَيْفَ بِهِ هُوَ نَفْسِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ؟!»(١).

القسم الثاني: ما كان من قبيل التخرص والتوقع فهذا محرم؛ لكونه فيه تضليل للناس وكذب، فإن ادَّعى علم الغيب في جميع الأمور وإن تخرصًا وظنًا فينتقل إلى الأصل وهو الكفر بالله لما سبق بيانه.

القسم الثالث: متعلق بالنظر في النجوم، وهذا سيأتي بيانه وتفصيله في المبحث التالي المتعلق بالتنجيم، والأصل فيه: أن مدعي علم الغيب من خلال حركة الكواكب وأن لها تأثيرًا في الأرض أنه كفر بالله؛ لاعتقاده مؤثرًا غير الله، وإن اعتقد كونها سببًا؛ فيكون من الشرك الأصغر؛ لاعتقاده بسبب لم يجعله الله سببًا لا شرعًا ولا قدرًا.

(١) «معارج القبول» (٢/ ٥٧١-٥٧٢).

مسألة: حكم من سأل عرافًا أو كاهنًا:

من سأل عرافًا أو كاهنًا أو منجمًا أو رمَّالًا أو قارئًا للكف والفنجان وكل من يدخل في ادعاء علم الغيب، فيختلف حكم السائل باختلاف حاله.

الأول: أن يأتيه مع اعتقاده أنه يعلم الغيب، فهذا كفر أكبر؛ لأنه تكذيب بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

الثاني: أن يأتيه مع اعتقاده أنه لا يعلم الغيب، ولكن سأله من باب أن ذلك يصله عن طريق مسترق السمع، أو القرين.

فهذا قد اختلف العلماء في حكمه على أقوال:

القول الأول: كفر أكبر؛ لعدة أوجه، منها:

(١) عموم قول النبي ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[١]، والحديث عام ليس فيه تفريق بين الصورتين.

(٢) لأن فيه قدحًا وشكًّا في قول النبي ﷺ عن الكهان: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»[٢].

(٣) لأنه رضي وصدق بما يدعيه الكاهن من ادعاء علم الغيب. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لأنه صدَّقه في دعوى علمه الغيب، وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب لقول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]» ا. هـ[٣]

(١) «سنن أبي داود» (٣٩٠٤)، «السلسلة الصحيحة» للألباني (٣٣٨٧).

(٢) «صحيح مسلم» حديث رقم (٢٢٢٨).

(٣) «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» المؤلف: محمد ابن صالح العثيمين، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة (٢/ ١٨٤).

القول الثاني: ليس بكفر، ولكنه ارتكب إثمًا كبيرًا وذنبًا عظيمًا؛ لحديث «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»(١)، فلو كان الكفر أكبر ما قبلت منه الصلاة أبدًا.

✍ **قال المناوي** ﵀: «إن مصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة، وأنه بإلهام فصدقه من هذه الجهة لا يكفر»(٢).

الثالث: أن يأتيهم لا لمصلحة شرعية، كالفرجة مثلًا، أو مصاحبًا لشخص آخر، أو غير ذلك: فهذا حرام؛ لحديث معاوية بن الحكم السلمي ﵁، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: «**فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ**»(٣)

الرابع: أن يأتيه لمصلحه شرعية كفضح أمره للناس، أو يقبض عليه، وهذا جائز ومطلوب شرعًا، كما أتى النبي ﷺ ابن صياد، وسأله ليفضح أمره.

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** ﵀: « وَأَمَّا إنْ كَانَ يَسْأَلُ الْمَسْئُولَ لِيَمْتَحِنَ حَالَهُ وَيَخْتَبِرَ بَاطِنَ أَمْرِهِ وَعِنْدَهُ مَا يُمَيِّزُ بِهِ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ فَهَذَا جَائِزٌ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ ابْنَ صَيَّادٍ فَقَالَ: «**مَا يَأْتِيك؟**» فَقَالَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ قَالَ: «**مَا تَرَى؟**» قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ خَبَّأْت لَك خَبِيئًا**» قَالَ: الدُّخُ الدُّخُ قَالَ: «**اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَك فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ إخْوَانِ الْكُهَّانِ**»(٤).

---

(١) رواه: مسلم حديث رقم (٢٢٣٠) عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

(٢) «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، المؤلف: محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة: الأولى (٦/ ٢٣).

(٣) «صحيح مسلم» حديث رقم (٥٣٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٦٢،٦٣).

الخلاصة:

(١) أن ادعاء علم الغيب محرم بجميع أنواعه، والأصل فيه أنه كفر بالله تعالى.

(٢) أن إتيان الكهان محرم على كل حال إلا في حال إتيانهم لكشف حالهم أو القبض عليهم.



ثانيًا: التنجيم:

التنجيم الأصل فيه أنه ينافي أصل التوحيد، وبعض صوره تنافي الكمال على ما سيأتي بيانه، والتنجيم ليس عبادة، ووجه وقوع الشرك فيه اعتقاد التأثير استقلالًا أو تبعًا، أو ادِّعاء علم الغيب من خلال النجوم.

تعريف التنجيم:

لغة: مأخوذ من النجم، وفاعله يسمى «المُنجِّم».

اصطلاحًا: هو الاستدلال بالنجوم والكواكب على الحوادث الأرضية، وغالبا ما يطلق على النوع المذموم منه.

أقسام علم التنجيم:

◊ القسم الأول: علم التأثير:

وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

وهذا النوع من حيث الحكم ينقسم إلى:

(أ) شرك أكبر: وهو قسمان:

القسم الأول: علم التأثير العملي، وهو أن يعتقد أن النجم بذاته يخلق الأحداث، وهذا شرك الصابئة الذين يعتقدون أن للكواكب تأثيرًا مستقلًّا، فحكمه شرك أكبر في الربوبية؛ لأنه أثبت خالقًا مع الله.

القسم الثاني: علم التأثير العلمي، وهو أن يستدل بحركات النجوم والكواكب على الأمور المستقبلية، فيدعي علم الغيب من خلال ظهور النجوم وغيابها، وحكمه شرك أكبر؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب.

(ب) شرك أصغر:

أن ينسب للنجم الحوادث بعد وقوعها، على أنها سبب، والله الفاعل،

كنسبة نزول المطر بعد نزوله إلى النجم الفلاني.

فحكمه: شرك أصغر؛ لأنه من باب إثبات أسباب لم يثبتها الشرع.

◊ **القسم الثاني: علم التسيير:**

وهو تعلم سير النجوم وتحركاتها، وأماكنها، لمعرفة بعض مصالح الدين كمعرفة اتجاه القبلة، أو مصالح الدنيا كمعرفة فصول السنة، وأوقات المحاصيل الزراعية، ونحوها.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾[يونس:٥]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦].

وهذا النوع كرهه بعض السلف كقتادة، وأجازه البعض الآخر، كسعيد ابن المسيب، والإمام أحمد، واسحاق بن راهويه واختاره ابن تيمية، وابن رجب، وابن باز، وابن عثيمين رحم الله الجميع.

✍ **قال ابن رجب:** «فعلم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إِلَى النجوم، وتقريب القرابين لها كفر.

وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة، والطرق كان جائزًا عند الجمهور.

وما زاد عليه فلا حاجة إليه، وهو يشغل عما هو أهم منه»[1].

(١) «فضل علم السلف على علم الخلف» [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي]، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥ هـ) (٣/ ١٣).

✍ **وقَالَ الْبُخَارِيُّ «فِي صَحِيحِهِ»: قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ»**[1].

فذكر ﷻ في كتابه العزيز أنه خلق النجوم لثلاثة أمور، وهي:

(١) **زينة للسماء**، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥].

(٢) **رجومًا للشياطين**، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥].

(٣) **علامات يهتدى بها**، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦].

«فمن تأوّل فيها غير ذلك»: أي زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه فقد **«أخطأ»**: لأنه زعم أمر غيبي لا يعلمه، **«وأضاع نصيبه»**: أي أضاع حظه ونصيبه من كل خير في الدنيا والآخرة؛ لأنه شغل نفسه بما لا يستطيع التثبت والجزم به.

◊ ثالثًا: الاستسقاء بالأنواء

الاستسقاء بالأنواء وادِّعاء تأثيرها منافٍ للتوحيد، فالتنجيم عام، وهذا نوع خاص منه يتعلق باعتقاد أثر منازل النجوم في حصول المطر.

والاستسقاء: طلب السُّقيا ونزول المطر، والأنواء: جمع نوء، وتُطلق على مكان هبوط وصعود الكوكب والقمر والنجم، لذلك تُسمى منازل القمر بالأنواء لأنه منها يغيب ويطلع.

✍ **قال ابن قتيبة** رحمه الله:

«معنى النّوء: سقوط النجم منها في المغرب، وطلوع آخر يقابله من

(١) رواه البخاري حديث رقم (٤/ ١٠٧) معلقًا، وقال ابن حجر: وقد وصله عبد بن حميد.

ساعته في المشرق،... وكانت العرب تقول لا بدّ لكل كوكب من مطر، أو ريح، أو برد، أو حرّ، فينسبون ذلك إلى النجم. وإذا مضت مدة النوء، ولم يكن فيها مطر، قيل: خوى نجم كذا»[١].

✍ **وقال الخطابي** ﷺ: «والنوء: الكوكب، ولذلك سَمّوا منازل القمر الأنواء، وإنما سمي النجم نوءًا؛ لأنه ينوء طالعًا عند مغيب رقيبه من ناحية المغرب، وكان من عادتهم في الجاهلية أن يقولوا: مُطرنا بنوء كذا، فيضيفون النعمة في ذلك إلى غير الله ﷻ، وينسون الشكر له على ذلك، وهو المنعم عليهم بالغيث والسقيا، فزجرهم عن هذا القول فسماه كفرًا؛ إذ كان ذلك يفضي بصاحبه إلى الكفر إذا اعتقد أن الفعل للكوكب، وهو فعل الله ﷻ لا شريك له»[٢].

✍ **وفي المقصود بالاستسقاء بالأنواء عند العرب يقول ابن قتيبة** ﷺ: «تدّبرت ما جاء في الشعر من نسبة العرب المطر إلى نوء النجم، فوجدته نوعين:

أحدهما: أن يجعلوا نوء النجم علمًا للمطر ووقتًا له، كما يجعلون الشتاء للبرد وقتا، والقيظ للحرّ وقتًا، وكما يقولون لمطر الشتاء «الشتيّ»، فينسبونه إليه لأنه وقت له.

ومن ذهب منهم إلى هذا المذهب، ونوى في النوء هذه النيّة، فقال: «مطرنا بنوء الثريا» يريد: حين تبيّن ناءت، لم يكن بذلك بأس، ولا عليه فيه إن شاء الله جناح...

(١) الأنواء في مواسم العرب، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، (ص٦-٧).

(٢) «أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)»، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، (١٤٠٩ هـ) (١/ ٢٠٢-٢٠٣).

والنوع الآخر: هو أن يجعل الفعل للكوكب، فيكون عنده هو الذي أنشأ السحاب، وأتى بالمطر وهذا من أمور الجاهلية. وإياه أراد رسول الله ﷺ بقوله: «**ثَلَاثٌ مِنْ أُمُورِ الجَاهِلِيَّةِ: الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ**»[(١)]، وقال: «**أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمْ ﷻ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي نِعْمَةً إِلَّا أَصْبَحَ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ بِالَّذِي آمَنَ بِي**»[(٢)(٣)].

حكم نسبة المطر للأنواء تختلف باختلاف صورها على النحو التالي:

(١) شرك أكبر:

(أ) شرك أكبر في الربوبية: إذا اعتقد أن طلوع النجم وأفوله مؤثر وموجد بذاته للمطر.

(ب) شرك أكبر في الألوهية: أن يستغيث بالنوء، ويدعوه لإنزال المطر.

(٢) شرك أصغر:

أن يعتقد أنه سبب لنزول المطر، ولم يجعله الله سببًا لذلك، قال ابن رجب ؒ: (فمن أضاف شيئًا من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي»[(٤)].

واستدل على ذلك بأمرين:

(أ) أنه جعل شيئًا سببًا لم يجعله الله سببًا.

(ب) ما رواه أحمد من طريق عمران يعني القطان عن قتادة عن نصر بن عاصم

---

(١) رواه: البخاري حديث رقم (٣٨٥٠) من حديث ابن عباس ؓ.

(٢) حديث صحيح، رواه بهذا اللفظ: أحمد (١٧٠٤٩) عن زيد بن خالد الجهني، ورواه: البخاري حديث رقم (٨٤٦)، ومسلم حديث رقم (٧١) بنحوه.

(٣) الأنواء في مواسم العرب. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) (ص ١٣).

(٤) «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص: ٧١).

الليثي عن معاوية الليثي قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَكُونُ النَّاسُ مُجْدِبِينَ فَيُنْزِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ رِزْقًا مِنْ رِزْقِهِ، فَيُصْبِحُونَ مُشْرِكِينَ**» فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَقُولُونَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**»(١).

(٣) جائز:

أن ينسب إليه المطر نسبة وقت لا نسبة تأثير ولا سبب، كقوله: مُطرنا في نوء كذا، أي: في وقته.

كقول البعض: إذا طلع سهيل جاء المطر، ومرادهم أن هذا زمن المطر بإذن الله.

قال الشافعي ﵀: «فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا عَلَى مَعْنَى مُطِرْنَا بِوَقْتِ كَذَا؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِهِ: مُطِرْنَا فِي شَهْرِ كَذَا، وَلَا يَكُونُ هَذَا كُفْرًا، وَغَيْرُهُ مِنْ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ»(٢).

ومن أدلة ما ذكرته من تقرير قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

جاء تفسيره عند مسلم عن ابن عباس ﵄ قال: قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا**» قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]»(٣).

---

(١) رواه: أحمد (١٥٥٣٧) قال الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل عمران القطان، وهو ابن داور، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) «الأم»، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت، سنة النشر: (١٤١٠هـ) (ص٢٨٨).

(٣) رواه مسلم حديث رقم (٧٣).

✍ **وجاء عن مقاتل** ﷺ: «فكان المطر رزقًا من الله، فجعلوه للأنواء ولم يشكروا نعمة الله -تعالى- ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يعني: المطر بالأنواء، ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، يقول: أنا رزقتكم فلا تكذبون وتجعلونه للأنواء»(١).

✍ **قال في «تيسير العزيز الحميد»**: روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه، وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، يقول: شكركم: ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا، وهذا أولى ما فسرت به الآية.

وروي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين... فالمعنى على هذا: وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغيث والمطر والرحمة أنكم تكذبون، أي: تنسبونه إلى غيره»(٢).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»(٣).

فبعد أن انتهى النبي ﷺ من الصلاة «**انْصَرَفَ**»: أي التفت إلى المأمومين، «**عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ**»: أي مطرًا، وذكر الحديث، **ووجه الدلالة من**

(١) «تفسير مقاتل بن سليمان»، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى (١٤٢٣هـ) (٤/ ٢٢٥).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٨٨).

(٣) سبق تخريجه.

الحديث: أن النبي ﷺ أخبر أن نسبة المطر إلى الكوكب كفر بالله تعالى.

✍ **قال الشافعي** رحمه الله: «**أن من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك إيمان بالله؛ لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله** عز وجل.

وأما من قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا؛ فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه، ولا لغيره شيئًا، ولا يمطر، ولا يصنع شيئًا.

فأما من قال: مُطرنا بنوء كذا على معنى مُطرنا بوقت كذا؛ فإنما ذلك كقوله مُطرنا في شهر كذا، ولا يكون هذا كفرًا، وغيره من الكلام أحب إليَّ منه»(١).

وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**» وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»(٢).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ ذكر أن الاستسقاء بالنجوم من عمل أهل الجاهلية، ونسبة الفعل إلى الجاهلية دليل على ذمِّه، فذِكره هذه الأربع على وجه الذم دليل على تحريمها، وهي موجودة في مجموع الأمة لا جميعها، أي: موجودة في أفراد من الأمة لا في جميع الأمة، فالقدر المشترك بين هذه الأربع أنها من فعل الجاهلية وأنها محرمة، وتختلف في صورتها وحكمها.

(١) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى (ص٢٨٥).

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

- فالأول: **الفخر بالأنساب**: أي التعاظم والتكبر على الناس بالآباء ومآثرهم.
- الثاني: **الطعن في الأنساب**: تنقص أنساب الناس، أو وذمها، أو التشكيك فيها

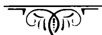
وحكمهما: **التحريم**، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

- الثالث: **الاستسقاء بالنجوم**: نسبة المطر إليها، أو طلب المطر منها، وهو على التفصيل السابق.
- الرابع: **النياحة**: وهو رفع الصوت بالندب على الميت، بذكر محاسنه على وجه التسخط، وهو محرم.

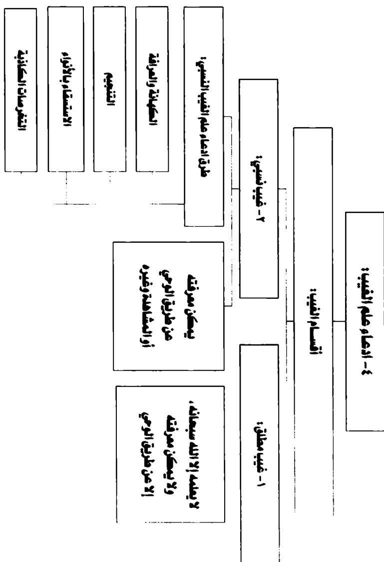
وقوله ﷺ «وَالنَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ أَوْ دِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

✍ **قال القرطبي** ﷺ: «يعني أنهن يلطخن بالقطران، فيكون لهن كالقمص، حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وألمهن بسبب الجرب أشد»(٢).



(١) رواه مسلم حديث رقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر ابن إبراهيم القرطبي (٦٥٦هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، (١٤١٧هـ) (٢/٥٨٨).


٤- ادعاء علم الغيب:
أقسام الغيب:
١- غيب مطلق:
٢- غيب نسبي:
لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي
يمكن معرفته عن طريق الوحي أو المشاهدة وغيره
طرق ادعاء علم الغيب النسبي:
الكهانة والعرافة
التنجيم
الاستسقاء بالأنواء
التخرصات الكاذبة

الأسئلة

(١) عرف كلا مما يلي مع بيان حكمه:

١. الكهانة.

٢. العرافة.

٣. التنجيم.

٤. علم التأثير.

٥. علم التسيير.

٦. الاستسقاء بالأنواء.

٧. الفخر بالأنساب.

٨. الطعن في الأنساب.

(٢) ما الفرق بين الكاهن والعراف؟

(٣) ادعاء علم الغيب يختلف حكمه باختلاف طرائقه، اذكر أقسام ذلك مع الاستدلال لكل قسم.

(٤) ما حكم من سأل كاهنا أو عرافا؟ فصل القول في ذلك.

(٥) ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنه خلق النجوم لثلاثة أمور، ما هي؟

(٦) ما حكم نسبة المطر للأنواء؟ فصل القول في ذلك.

تدريب

س١: ما معنى كلمة الغيب، وما هي أقسامه؟

س٢: ما الفرق بين الكاهن والعراف؟

س٣: ما حُكم من ادَّعى أنه يعرف الغيب، فيقرأ الفنجان أو الكف أو غيرها؟

س٤: علم الغيب يختلف حكمه باختلاف طرائقه، وهو على ثلاثة أقسام. وضح ذلك مع ذكر هذه الأقسام.

س٥: ما حُكم من سأل عرافًا أو كاهنًا أو منجمًا أو رمَّالًا أو قارئًا للكف والفنجان، وكل من يدخل في ادِّعاء علم الغيب؟

س٦: ما حُكم الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؟

س٧: عرف علم التسيير، وما حُكم استخدامه وتعلُّمه؟

س٨: ما معنى الاستسقاء بالأنواء؟

س٩: ما حكم نسبة المطر للأنواء؟

س١٠: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) **إذا اعتقد أن طلوع النجم وأفوله مؤثر وموجد بذاته للمطر فهذا:**

(أ) شرك أكبر في الربوبية (ب) شرك أصغر في الربوبية

(ج) لا يعد شركًا (د) شرك أكبر في الألوهية

(٢) أكمل الحديث:

قـــال رســـول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ**: ....، ....، ....، ....



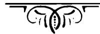
الفصل الثالث

الأعمال القلبية

أعمال القلوب من العبادات العظيمة، ولها أثر في تحقيق أعمال الجوارح، وزيادة الإيمان والأجر، وزبدة أعمال القلوب هي تعلق القلب بالله محبةً وخوفًا ورجاءً وتوكلًا، فصرف هذه العبادات لغير الله تعالى من الشرك الأكبر الذي لا يرضاه الرب ﷻ.

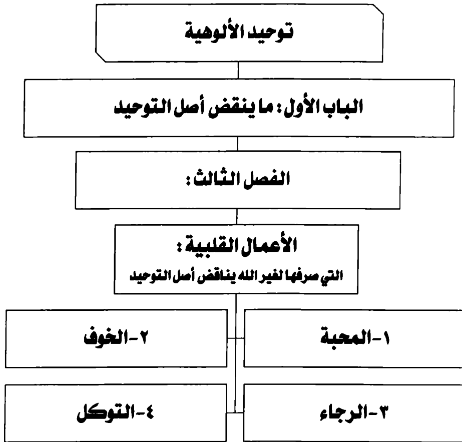
✍ **قال شيخ الإسلام** ﷺ: «ما حفظت حدود الله، ومحارمه، ووصل الواصلون إليه، بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث؛ فسد فسادًا لا يُرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه، ضعف إيمانه بحسبه»(١).

ولاقتران هذه العبادات بأحوال تقع بين البشر، كالمحبة والخوف الطبيعيين وغيرها من الأحوال التي متعلقها هذه الأعمال القلبية؛ كان من الأهمية بمكان إيضاح صورها الجائزة بين المخلوقات وصورها التعبدية التي لا تكون إلا لله تعالى.



(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢١). «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، الطبعة: الثانية (ص٢٨٣).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢١).


توحيد الألوهية
الباب الأول: ما ينقض أصل التوحيد
الفصل الثالث:
الأعمال القلبية:
التي صرفها لغير الله يناقض أصل التوحيد
١-المحبة
٢-الخوف
٣-الرجاء
٤-التوكل

المبحث الأول

المحبـة

«المحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه»[١].

وحقيقة العبادة: كمال الحب والخضوع والذل لله تعالى، و«أصل العبادة: محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحبه»[٢].

وأصل الشرك هو الشرك في محبة العبادة، قال الإمام المقريزي ﵀: «فالشرك في الإلهيّة والعبادة: هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عبّاد الأصنام، وعبّاد الملائكة، وعبّاد الجّن، وعبّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات، الذين قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة... وما أهلك الله - تعالى - «من أهلك» من الأمم إلاّ بسبب هذا الشرك، ومن أجله.

وأصله: الشرك في محبّة الله»[٣].

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٩٥).

(٢) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، (١/ ١١٩).

(٣) «تجريد التوحيد المفيد»، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: (١٤٠٩هـ) (ص١٤).

ومن هنا كان لزامًا علينا معرفة المحبة وما يكون منها تعبديًا وما يكون طبيعيًا، فالمحبة من جهة الحكم تنقسم إلى أقسام:

أولًا: المحبة الواجبة

وهي محبة الله ﷻ، وهي محبة العبادة، ولا تكون إلا لله وحده لا يشركه فيها أحد.

وضابط هذه المحبة الخاصة بالله وحده:

أن تكون محبة مع كمال الطاعة وكمال الذل والخضوع.

وعلامة صدق هذه المحبة:

اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

قال الطبري رحمه الله: «أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي ﷺ: «إنا نحب ربنا»، فأمر الله جل وعز نبيَّه محمدًا ﷺ أن يقول لهم: «إن كنتم صادقين فيما تقولون، فاتبعوني، فإن ذلك علامة صِدْقكم فيما قلتم من ذلك»[١].

ومن ثمار هذا المحبة:

ذوق حلاوة الإيمان، قال ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[٢].

ولوازم هذه المحبة:

(١) محبة الرسول ﷺ:

ومحبة النبي ﷺ ومحبة ما جاء به من دين الإسلام دليل على صدق

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٦/ ٣٢٢).

(٢) رواه: البخاري حديث رقم (١٦)، ومسلم حديث رقم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

محبة الله تعالى، ودليل على الإيمان واستقراره في القلب، فبقدر صدق محبة النبي ﷺ يكون الإيمان.

ويدل على هذا اللازم من لوازم محبة الله قوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

وفي البخاري قال عمر بن الخطاب ﷺ للنبي ﷺ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»(٢).

وفي هذين الحديثين بيان لوجوب محبة النبي ﷺ وتقديمها عما سواها، وهي من لوازم محبة الله، ومن باب أولى أن تقدم محبة الله على كل محبوب.

وقوله «لا يؤمن»: اختلف أهل العلم في معنى لا يؤمن، هل هو نفي لكمال الإيمان الواجب أو نفي لأصل الإيمان؟

والصحيح أن الحديث قد يشمل المعنيين؛ لأن «نفي الإيمان تارة يراد به نفي الكمال الواجب، وتارة يراد به نفي الوجود، أي: نفي الأصل.

والمنفي في هذا الحديث هو كمال الإيمان الواجب؛ إلا إذا خلا القلب من محبة الرسول إطلاقًا، فلا شك أن هذا نفي لأصل الإيمان»(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري حديث رقم (١٥)، ومسلم حديث رقم (٤٤) (٧٠)، وغيرهم من حديث أنس ﷺ.

(٢) «صحيح البخاري» حديث رقم (٦٦٣٢) من حديث عبد الله بن هشام.

(٣) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ٥٠).

فائدة: نفي كمال الإيمان المستحب لم يرد في كلام الله ورسوله: قال شيخ الإسلام ﷺ: «وقوله: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» ونحو ذلك، فأما إذا كان الفعل مستحبًا في «العبادة» لم ينفها لانتفاء المستحب، فإن هذا لو جاز؛ لجاز أن ينفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج؛ لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل =

✍ **قال عبد الرحمن بن قاسم** رحمه الله: «أي: لا يؤمن الإيمان الواجب، والمراد كماله، ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلام العرب، ولابن حبان: «لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان». ومعنى الحقيقة هنا الكمال»(١).

«ومحبة الرسول ﷺ على درجتين:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعة الرسول ﷺ في امتثال ما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات والرضى بذلك، وأن لا يجد في نفسه حرجًا مما جاء به ﷺ ويسلم له تسليمًا، وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته، ولا يطلب شيئًا من الخير إلا مما جاء به.

الثانية: فضل مندوب إليه، وهي: ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سنته وآدابه وأخلاقه، والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته لأهله وأصحابه، وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وفي جوده وإيثاره وصفحه وحلمه واحتماله وتواضعه، وفي أخلاقه

= منه، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي ﷺ؛ بل ولا أبو بكر ولا عمر. فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه؛ لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل.

فمن قال: إن المنفي هو الكمال فإن أراد أنه نفي «الكمال الواجب» الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة؛ فقد صدق. وإن أراد أنه نفي «الكمال المستحب» فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله، ولا يجوز أن يقع؛ فإن من فعل الواجب كما وجب عليه، ولم ينتقص من واجبه شيئا؛ لم يجز أن يقال: ما فعله لا حقيقة ولا مجازًا. فإذا (قال للأعرابي المسيء في صلاته: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». وقال لمن صلى خلف الصف ـ وقد أمره بالإعادة: «لَا صَلَاةَ لِفَذٍّ خَلْفَ الصَّفِّ» كان لترك واجب. وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥] يبين أن الجهاد واجب وترك الارتياب واجب». «الفتاوى» (٧/١٥).

(١) «حاشية كتاب التوحيد» (ص٢٣٨).

الباطنة من كمال خشيته لله ومحبته له، وشوقه إلى لقائه ورضاه بقضائه، وتعلق قلبه بالله دائمًا، وصدق الالتجاء إليه، والتوكل والاعتماد عليه، وقطع تعلق القلب بالأسباب كلها، ودوام لهج القلب واللسان بذكره والأنس به والتنعم بالخلوة بمناجاته ودعائه وتلاوة كتابه بالتدبر والتفكر»[١].

(٢) تقديم محبة الله ورسوله على كل محبوب:

من لوازم محبة الله تعالى: تقديم محبته ومحبة ما يحبه الله ويرضاه على محبوبات النفس، وإن كانت في الأصل محبتها جائزة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

فتوعَّد الله في هذه الآية من قدم محبوباته على محبة الله، وقوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤] «يدل على أن محبة هذه الأشياء في الأصل لا حرج فيها، فالإنسان يحب والده، ويحب ولده، ويحب أخاه، ويحب قبيلته، ويحب ماله، ويحب تجارته، ويحب مسكنه. فأصل المحبة لهذه الأشياء مباح؛ لأنه من المحبة الطبيعية، لكن إنما يأتي اللوم إذا قدّم محبة هذه الأشياء على محبة الله، فأخّرته هذه الأشياء عن طاعة الله ورسوله، وعن الهجرة إلى الله ورسوله»[٢].

---

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، (١٤١٧ هـ) (١/ ٥٣ـ٥٤).

(٢) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢/ ٤١.

(٣) موالاة المؤمنين ومحبتهم:

مما يجب على المسلم محبة أخيه المسلم وموالاته ونصرته في الله تعالى، ومن دلائل محبة المؤمن الصادقة لأخيه: أن يحب له ما يحب لنفسه، قال ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[(١)]، والمقصود هنا: نفي كمال الإيمان الواجب.

وقال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(٢)].

وفي وجوب نصر المؤمن لأخيه المؤمن قال ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[(٣)].

وهذه الأدلة وغيرها تدل على وجوب محبة المؤمن في الله وموالاته ونصرته.

ثانيًا: المحبة المباحة

وهي التي تُسمى المحبة الطبيعية كمحبة الوالد لولده.

ثالثًا: المحبة المحرمة

وهي محبة ما حرَّمه الله من المعاصي والمنكرات.

رابعًا: المحبة الشركية

وهي صرف محبة العبادة لغير الله أو مساواته بالله، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ

(١) رواه البخاري حديث رقم (١٣)، ومسلم حديث رقم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم حديث رقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.
(٣) رواه البخاري حديث رقم (٦٩٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[البقرة:١٦٥].

✍ **قال ابن القيم:** «أخبر تعالى أن مَن أحبَّ من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى، فهو ممن اتَّخذ من دون الله أندادًا، فهذا ندٌّ في المحبة، لا في الخلق والربوبية»(١)

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾[البقرة:١٦٥] اختلف العلماء في معناها على قولين:

(١) أن المشركين أحبوا معبوداتهم محبة مساوية لمحبتهم لله، فساووا بين محبة الله، ومحبة آلهتهم.

✍ **قال الطبري** ﷺ: «الذين اتخذوا هذه الأنداد من دُون الله، يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله، ثم أخبرَهم أن المؤمنين أشد حبًّا لله، من متخذي هذه الأنداد لأندادهم»(٢).

✍ **وقال البغوي** ﷺ: «﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ أَيْ: أَصْنَامًا يَعْبُدُونَهَا ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ أَيْ: يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ اللهَ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يُحِبُّونَ الْأَصْنَامَ كَمَا يُحِبُّونَ اللهَ؛ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهَا مَعَ اللهِ، فَسَوَّوْا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَوْثَانِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أَيْ: أَثْبَتُ وَأَدْوَمُ عَلَى حُبِّهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَ عَلَى اللهِ مَا سِوَاهُ»(٣).

---

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة (٣/ ٢١).

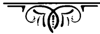
(٢) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩)..

(٣) «تفسير البغوي» (١/ ١٩٦).

(٢) أن المشركين أحبوا أندادهم محبة عظيمة، كمحبة المؤمنين لله.

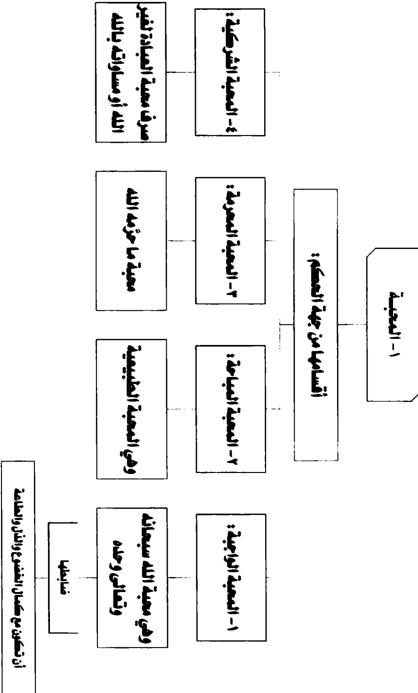
✍ **قال ابن تيمية** ﷺ: «وهذا متناقض، وهو باطل، فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله»(١).

✍ **وقال الشيخ ابن عثيمين** ﷺ: «وهذا وإن احتمله اللفظ لكن السياق يأباه؛ لأنه لو كان المعنى ذلك؛ لكان مناقضًا لقوله تعالى فيما بعد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]»(٢).



(١) «مجموع الفتاوى»، المؤلف، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام النشر: (١٤٢٣) (٧/ ١٨٨).

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» المؤلف: محمد ابن صالح العثيمين، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة (١٠/ ٦٢٦).


١- المحبة
أقسامها من جهة الحكم:
١- المحبة الواجبة:
وهي محبة الله سبحانه وتعالى وحده
ضابطها
أن تكون مع كمال الخضوع والذل والطاعة
٢- المحبة المباحة:
وهي المحبة الطبيعية
٣- المحبة المحرمة:
محبة ما حرَّمه الله
٤- المحبة الشركية:
صرف محبة العبادة لغير الله أو مساواته بالله

الأسئلة

(١) المحبة الواجبة هي محبة الله تعالى، اذكر:

١. ضابطها.

٢. علامة صدقها.

٣. ثمارها.

٤. لوازمها.

(٢) محبة النبي ﷺ على درجتين، ما هما؟ وما حكم كل واحدة منهما؟



المبحث الثاني

الخوف

الخوف من الأعمال القلبية والمقامات العظيمة، وله أحوال أعظمها الخوف من الرب ﷻ، وقد ذكر الله في كتابه عن سادات المقربين من الملائكة، والأنبياء، والصالحين أنهم يخافونه أشد الخوف.

قال تعالى عن الملائكة: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وقال تعالى عن الأنبياء: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩].

وقال تعالى عن الصالحين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧].

«ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله»[(١)]، والذي يحسم مادة الخوف من المخلوقين، فلا يكون الخوف إلا من الله: «هو التسليم لله؛ فإن من سلَّم لله واستسلم له، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له - لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع أيضًا، فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى وليها ومولاها، وعلم أنه لا يصيبها إلا ما كتب لها، وأن ما كتب لها لا بد أن يصيبها، فلا معنى للخوف من غير الله بوجه»[(٢)].

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، الطبعة: الثانية (ص٢٨٣).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٥٢).

وينقسم الخوف من جهة الحكم إلى أقسام:

القسم الأول: خوف واجب:

ويسمى خوف العبادة، وهو الخوف من الله، بشرط أن لا يصل إلى درجة اليأس، والقنوط.

قال ابن القيم: «والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط»(١).

وهذا الخوف لا يكون إلا من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

فالله تعالى جعل من شرط الإيمان الخوف منه سبحانه، كما قال مقاتل: «إن كنتم مؤمنين فلا تخافوهم»(٢)، فدلَّ على أن الخوف من الله عبادة التي لا تكون إلا لله تعالى وهي من دلائل الإيمان، وهذا الخوف يكون مقرونًا بالمحبة والتعظيم والذل.

ففي هذه الآية: «يخبر تعالى أن من كيد عدوّ الله أنه يخوّف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بالمعروف ولا ينهوهم عن منكر، ونهانا أن نخافَهم، وأمرنا أن نخافَه وحده؛ لأن هذا هو مقتضى الإيمان، فكلما قوي إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعُف إيمانه قويَ خوفه منهم»(٣).

وقوله تعالى ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يخوفكم أولياءه، قال ابن القيم: «المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٨٤).
(٢) « تفسير مقاتل بن سليمان » (١/ ٣١٧).
(٣) «الملخص» للفوزان (ص٢٥٩).

في صدوركم»[١]، وفي قراءة ابن مسعود «يخوفكم أولياءه».

القسم الثاني: خوف محرم:

وهو كل خوف أدى إلى ترك طاعة، أو فعل محرم دون الشرك، وعده بعضهم شركًا أصغر[٢]، والصحيح أن الأصل فيه أنه محرم، إلا إذا قام في قلب العبد من المحبة والذل والخضوع لغير الله ما يدخله في الشرك.

القسم الثالث: خوف جائز:

وهو الخوف الطبيعي، كالخوف من القتل، أو السبع، أو النار، ونحو ذلك.

ومن أدلة هذا النوع قوله تعالى عن موسى ﷺ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:١٨]]، وقال موسى لربه ﷻ حينما أرسله وهارون إلى فرعون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه:٤٥].

قال السعدي: «وهذا إذا كان خوفًا محققًا قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم، وإن كان هذا خوفًا وهميًا كالخوف الذي ليس له سبب أصلًا، أو له سبب ضعيف، فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء»[٣].

القسم الرابع: شرك أكبر:

(١) خوف العبادة:

وضابطه أن يؤدي به الخوف إلى التعظيم والمحبة، والذل للمخلوق والخضوع له.

---

(١) «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان»، لابن القيم (١/ ١٩٣).

(٢) «منحة الحميد» (ص٤٨٥-٤٨٦).

(٣) «القول السديد شرح كتاب التوحيد»، للسعدي (ص١٣٢).

(٢) الخوف من المخلوق في شيء من الأعمال التي هي من خصائص الخالق سبحانه:

مثل: إدخال نار الآخرة، أو منع نزول المطر والرزق ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله.

(٣) ان يخاف من غير الله في غيبته، أو بعد موته:

أو يخاف من صنم، ويسمى خوف السِّرِّ[1]، وهو «أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقادٌ للنفع والضر من غير الله، قال الله تعالى: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]»[2].

(٤) الخوف من المخلوق كخوف الله، أو اكثر:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠]، قال البغوي: أي: «جزع من عذاب الناس، ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه»[3].

✍ **وقال المقريزي** رحمه الله: «فمن أحبَّ غير الله ـ تعالى ـ وخافه ورجاه، وذلّ له كما يحبّ الله ـ تعالى ـ ويخافه ويرجوه؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحبّ إليه، وأخوف عنده،

(١) قال الشيخ عبدالله الصيدلاني الجهني حفظه الله: «لأن الخائف يعتقد أن لمن خافه سرًّا، ويمكن أن يطلع عليه، وهذا ما يعتقده أهل القبور فيمن يتوجهون إليهم، ولذا يحلفون بالله كذبًا، ولا يمكن أن يحلفوا بآلهتهم كذبًا».

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٣).

(٣) «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للبغوي (٦/ ٢٣٤).

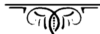
وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاة الله؟. فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًا، فما الظن بهذا؟»(١).

ولذلك الخليل إبراهيم ﷺ لمّا خوفه قومه من الأصنام؛ وضح لهم أن هذا الخوف من الشرك بالله تعالى، وأنه لا يخافهم؛ لأن الذين آمنوا ولم يشركوا لهم الأمن والاهتداء، قال تعالى حكاية للأمر: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٠-٨٢].

✍ **قال الطبري** ﷺ: «هذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسَّه، لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربَّكم فعبدتموه من دونه، وهو لا يضر ولا ينفع؟ ولو كانت تنفع أو تضر، لدفعت عن أنفسها كسرِي إياها وضربي لها بالفأس! وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم، وهو القادر على نفعكم وضركم»(٢).

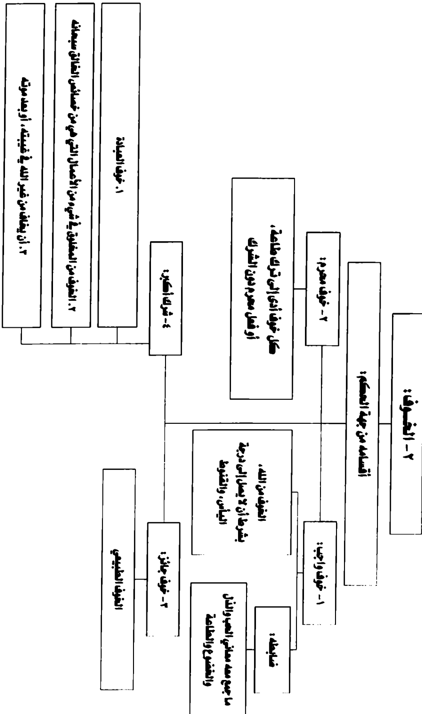
والخلاصة:

أن الخوف التعبدي الذي يجمع معاني المحبة والتعظيم والذل والافتقار والطاعة المطلقة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى.



(١) «تجريد التوحيد» (ص١٥).

(٢) «تفسير الطبري» (١١/ ٤٩٠).


٢ - الخـوف:
أقسامه من جهة الحكم:
١ - خوف واجب:
ضابطه:
ما جمع معه معاني الحب والذل والخضوع والطاعة
الخوف من الله، بشرط أن لا يصل إلى درجة اليأس، والقنوط
٢ - خوف محرم:
كل خوف أدى إلى ترك طاعة، أو فعل محرم دون الشرك
٣ - خوف جائز:
الخوف الطبيعي
٤ - شرك أكبر:
١. خوف العبادة
٢. الخوف من المخلوق في شيء من الأعمال التي هي من خصائص الخالق سبحانه
٣. أن يخاف من غير الله في غيبته، أو بعد موته

الأسئلة

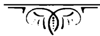
(١) ينقسم الخوف من جهة الحكم إلى أقسام، اذكرها مع تعريف كل قسم والاستدلال له.

(٢) ما هو ضابط خوف العبادة؟

(٣) ما حكم الخوف من غير الله تعالى أن يصيبه بمكروه أو يضره؟ دلل على ما تقول.

(٤) ما حكم الخوف من القتل أو النار؟ وما دليله؟

(٥) ما ضابط الخوف المحمود الصادق؟



المبحث الثالث

الرجاء

الرجاء عبادة قلبية عظيمة، تحدوا بالعباد إلى ربهم طمعًا في ثوابه وخوف عقابه، «ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع، وبيع، وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا. بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات.

وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، فكل محب راج خائف بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه، أحب ما يكون إليه، وكذلك خوفه، فإنه يخاف سقوطه من عينيه، وطرد محبوبه له وإبعاده، واحتجابه عنه، فخوفه أشد خوف، ورجاؤه ذاتي للمحبة؛ فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه، فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له؛ لما يحصل له به من حياة روحه، ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه، وبره وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضا، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب، ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه، فرجاؤه أعظم رجاء، وأجله وأتمه.

فالرجاء ضروري للمريد السالك، والعارف لو فارقه لحظة لتلف أو كاد؛ فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها، ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور أو بعضها»[1].

والرجاء أحد أركان العبادة، ويظهر فيه جليًّا الخضوع لله وحُسن الظن به،

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٣).

والافتقار إليه، وطلب الحوائج منه، فيكون القلب معلقًا بالله في كل أحواله؛ ففي الشدة يرجو رحمة الله، وفي اليسر يرجو دوام الحال، وفي الطاعة يرجو ما عند الله، وعند المعصية يرجو مغفرة الله، فالرجاء كله تعلق بالله وما عند الله.

◈ **تعريف الرجاء:**

في اللغة: الرجاء من الأمل، وهو نقيض اليأس، والفعل منه، رجا يرجو، وقد يأتي الرجاء بمعنى الخوف إذا سبقه نفي، تقول: ما رجوتك، أي: ما خفتك، ولا تقول رجوتك في معنى خفتك، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣][(١)].

قال الطبري رحمه الله: «معنى ذلك: ما لكم لا تخافون لله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف، كما قال أبو ذُويب:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَم يَرْجُ لَسْعَها وَخالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

يعني بقوله: «ولم يرج»: لم يخف»[(٢)].

وقد أفاض الفيروزآبادي رحمه الله في ذكر معاني الرجاء، فقال: «وقال بعض المفسِّرين: ورد الرّجاءُ في القرآن على ستَّة أَوجه:

أَوّلها: بمعنى الخوف: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، أَي: ما لكم لا تخافون، ومنه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ:٢٧].

الثاني: بمعنى الطمع: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء:٥٧].

(١) «تهذيب اللغة» (١١/ ١٢٤)، «لسان العرب» (١٤/ ٣١٠).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٣٥).

الثالث: بمعنى توقُّع الثواب: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[فاطر:٢٩].

الرَّابع: الرّجا المقصور بمعنى الطَّرَف: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾[الحاقة:١٧].

الخامس: الرّجاء المهموز: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[الأعراف:١١١] أي: احبسه.

السَّادس: بمعنى التَّرْك والتأْخير: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]: تؤخِّره، ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:١٠٦]»[1].

اصطلاحًا: جاءت عدة تعاريف للرجاء منها:

أن الرجاء: «تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل»[2].

وقيل: «الاستبشار بجود وفضل الرب ﷻ، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه»[3].

وقيل: «هو الثقة بجود الرب تعالى»[4].

وقيل غير ذلك، وأقرب هذه التعريفات: أن الرجاء هو «أمل العبد بربه في حصول المقصود، مع بذل الجهد وحُسن التوكل»[5].

والرجاء عبادة من العبادات العظيمة كما تقدم، ودليل كونه عبادة الآتي:

(أ) ثناء الله تعالى على عباده المؤمنين على رجائهم ربهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

---

(١) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (٣/ ٥٠).

(٢) «التعريفات» للجرجاني (ص١٠٩).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦).

(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٧).

(٥) «شرح الأصول الثلاثة» مفرغ للشيخ صالح العصيمي (ص٤٠).

رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦].

✍ **قال الطبري** ﷺ: «﴿وَطَمَعًا ﴾ في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته»(١).

(ب) أمر الله سبحانه أن نرجوه، فقال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف:٥٦]، طمعًا أي رجاء ثوابه، وقيل: رجاء قبول الدعاء.

◈ **أقسام الرجاء من جهة الحكم:**

ينقسم الرجاء من حيث الحكم إلى ثلاثة أقسام هي:

(١) الرجاء الواجب:

وهو رجاء العبادة وهو متضمن للخضوع والمحبة وحُسن الظن والافتقار مع بذل الأسباب المشروعة.

(٢) الرجاء الجائز:

وهو رجاء مخلوق لمخلوق حي فيما يقدر عليه.

(٣) الرجاء الشركي:

ينقسم إلى قسمين:

(أ) شرك أكبر: وهو رجاء مخلوق لمخلوق فيما لا يقدر عليه، أو رجاء ميت.

✍ **قال الشيخ سليمان بن عبدالله** ﷺ: «الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله؛

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٧٨).

كمَنْ يدعو الأموات أو غيرهم راجيًا حصول مطلوبه من جهتهم، فهذا شرك أكبر»(١).

وقال الشيخ ابن باز ﷺ: «أما تقول: أرجو من الميت. لا؛ هذا شرك، ترجو من الميت أنه يعينك بكذا... إذا رجوته أو خفته، هذا من الشرك لا يجوز»(٢).

(ب) شرك أصغر: وهو رجاء مخلوقٍ حيٍّ فما يقدر عليه، ولكن بلفظ يدل على التشريك، كقول: (أرجو من الله ومنك)، وحتى يسلم من هذا الشرك لا بد أن يقول: (أرجو من الله ثم منك)، والأكمل أن يقول: (أرجو من الله).

ويجوز أن تقول: (أرجو منك كذا) قال الشيخ ابن باز ﷺ: «إذا رجوته بالمكاتبة، وهو غائب بالهاتف التلفون وهو غائب، أو خاطبته وهو حاضر تقول: أرجو أن تقرضني كذا، أرجو أن تعينني على كذا وكذا، هذا لا حرج فيه؛ لأن دعاء الحاضر السامع فيما يقدر عليه لا حرج فيه»(٣).

◈ **أقسام الرجاء من جهة كونه محمودًا ومذمومًا:**

(١) **رجاء محمود:**

وهو ثلاثة أنواع:

(أ) من عَمِلَ بطاعة اللهِ على نورٍ من الله، يرجو ثواب الله.

(ب) من تاب من الذنوب والمعاصي فهو يرجو مغفرة الله.

(ج) من يرجو الخير من الله عاملًا بالأسباب متوكلًا على الله.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٢٣).

(٢) موقع الشيخ ابن باز على الإنترنت

(٣) موقع الشيخ ابن باز على الإنترنت https: //cutt.us /6YPaw

✍ **قال ابن حجر** ﷺ: «المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير؛ فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع؛ فهذا في غرور وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تُقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو»[١].

(٢) رجاء مذموم:

وهو الرجاء الكاذب لمن أفرط في الذنوب والمعاصي، وفرط في أداء الواجبات، ويرجو عفو الله بلا استغفار ولا عمل.

✍ **قال ابن القيم** ﷺ عن هذا الرجاء: «رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب»[٢].

وقد بيَّن الله تعالى أن الرجاء لا بُدَّ معه من عمل، فقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

✍ **قال ابن كثير** ﷺ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، ما كان موافقًا لشرع الله»[٣]. فالذي يرجو ما عند الله لا بُدَّ أن يعمل عملًا صالحًا، والعمل الصالح ما كان خالصًا لله موافقًا للسنة، والرجاء وحده لا يكفي فلا بد معه من عمل.

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٠١).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٧).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٠٥).

◊ **العلاقة بين الرجاء والخوف:**

المؤمن يكون بين الرجاء والخوف لا يُغلِّب جانبًا على جانب، وكلام السلف في الجمع بين الخوف والرجاء مستفيض؛ لأنه إذا غلب جانب الرجاء يُخشى عليه أن يأمن مكر الله، وإذا غلب جانب الخوف يُخشى عليه من القنوط من رحمة الله، فهما متلازمان ولا يمكن تحقيق الخوف الشرعي إلا مع الرجاء، ولا يمكن تحقيق الرجاء الشرعي إلا مع خوف، وقد قال الصديق ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة؛ فإن الله ﷺ أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]»[١].

✍ **وقال ابن هانئ:** قال لي أبو عبد الله -يعني الإمام أحمد- «ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحدًا، وقال غيره عنه: فأيهما رجح صاحبه هلك»[٢].

واختلف العلماء، هل الأفضل أن يُغلِّب العبد جانب الرجاء، أم جانب الخوف؟ على أقوال:

(١) يُغلِّب جانب الخوف على جانب الرجاء مطلقًا، قال ابن رجب: «وهو يحكى عن الفضيل، وأبي سليمان الداراني»[٣].

---

(١) «تاريخ دمشق»، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: (١٤١٥ هـ) (٣٠/ ٣٣٠).

(٢) «الآداب الشرعية والمنح المرعية»، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب (٢/ ٣٠).

(٣) «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار»، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب، الناشر: مكتبة المؤيد- دار البيان، الطبعة: الثانية (ص٢٥).

(٢) يُغلّب جانب الخوف في حال الصحة، وجانب الرجاء في حال المرض.

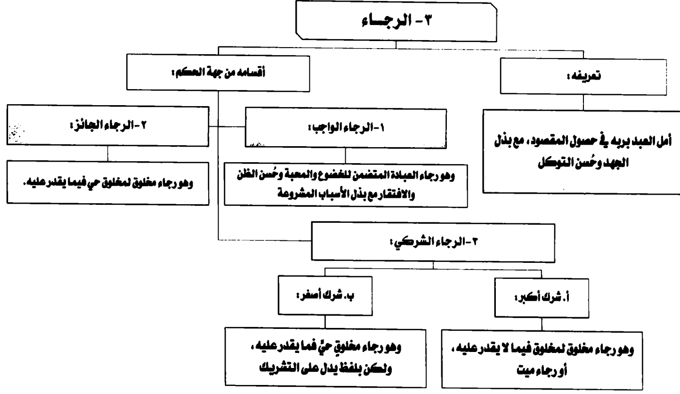
(٣) يُغلّب جانب الخوف عند إرادة الوقوع في المعصية، أو التكاسل عن الطاعة، ويُغلّب جانب الرجاء في غير ذلك.

(٤) يوازن بين مقام الخوف، والرجاء فيجعلهما كما قيل: «هما كجناحي الطائر».

وهذا أقرب الأقوال، واختاره ابن تيمية، وقال: «وينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فأيهما غلب هلك صاحبه، ونص عليه الإمام أحمد؛ لأن من غلب خوفهُ رجاءه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله»[1].



(١) «الفتاوى الكبرى»، المؤلف، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: (٥/ ٣٥٩).


٣ - الرجـاء
تعريفه:
أمل العبد بربه في حصول المقصود، مع بذل الجهد وحُسن التوكل
أقسامه من جهة الحكم:
١-الرجاء الواجب:
وهو رجاء العبادة المتضمن للخضوع والمحبة وحُسن الظن والافتقار مع بذل الأسباب المشروعة
٢-الرجاء الجائز:
وهو رجاء مخلوق لمخلوق حي فيما يقدر عليه.
٣-الرجاء الشركي:
أ. شرك أكبر:
وهو رجاء مخلوق لمخلوق فيما لا يقدر عليه، أو رجاء ميت
ب. شرك أصغر:
وهو رجاء مخلوقٍ حيٍّ فما يقدر عليه، ولكن بلفظ يدل على التشريك

الأسئلة

(١) عرف الرجاء لغة واصطلاحا.

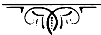
(٢) ورد الرجاء في القرآن على ستة أوجه، اذكرها مع دليلها.

(٣) ما هي أقسام الرجاء من حيث الحكم؟ فصل القول في ذلك.

(٤) ما هي أقسام الرجاء من حيث كونه محمودا ومذموما؟ فصل القول في ذلك.

(٥) ما العلاقة بين الخوف والرجاء؟

(٦) هل الأفضل أن يغلب جانب الرجاء أو جانب الخوف؟ اذكر الأقوال في ذلك.



المبحث الرابع

التوكل

التوكل من المقامات العظيمة، وهو اعتماد القلب على الله، وعدم الالتفات إلى ما سواه.

✍ **يقول ابن القيم** ﷺ: «وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها، والركون إليها، كما لا ينفعه قوله (توكلت على الله) مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب - وإن لم ينطق اللسان- شيء، فقول العبد: (توكلت على الله) مع اعتماد قلبه على غيره، مثل قوله (تبت إلى الله) وهو مُصرٌّ على معصيته، مرتكب لها»[1].

والتوكل على الله عبادة قلبية لا تصرف لغير الله، بل التوكل من «أعلى مقامات التوحيد، وأعظمها وأجلها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صح إخلاصه ومعاملته مع الله، ولذلك أمر الله به في غير آية من كتابه، بل جعله شرطا في الإيمان والإسلام، كما في الآية، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]»[2]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

---

(١) «الفوائد»، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية (ص٨٧).

(٢) «حاشية كتاب التوحيد» (ص٢٥٠).

ونقل عن سعيد بن جبير أنه قال: «التوكل على الله جماع الإيمان»(١).

◈ **أقسام التوكل:**

ينقسم التوكل إلى قسمين:

أولًا: التوكل على الله:

مع اتخاذ الأسباب وهذا واجب، ودليل ذلك ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

قال صديق حسن خان ﷺ: «﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ أي: ثقوا بالله بعد ترتيب الأسباب، ولا تعتمدوا عليها؛ فإنها غير مؤثرة والله معكم وناصركم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ إذ الإيمان به يقتضي التوكل عليه، وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق»(٢).

قال الألوسي ﷺ: «﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى خاصَّةً ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ بَعْدَ تَرْتِيبِ الأسْبابِ، ولا تَعْتَمِدُوا عَلَيْها، فَإنَّهُ لا تُؤَثِّرُ مِن دُونِ إذْنِهِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بِاللهِ تَعالى، والمُرادُ بِهَذا: الإلْهابُ والتَّهْيِيجُ، وإلّا فَإيمانُهم مُحَقَّقٌ، وقَدْ يُرادُ بِالإيمانِ التَّصْدِيقُ بِاللهِ تَعالى، وما يَتْبَعُهُ مِنَ التَّصْدِيقِ بِما وعَدَهُ، أيْ: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بِهِ تَعالى مُصَدِّقِينَ لِوَعْدِهِ، فَإنَّ ذَلِكَ مِمّا يُوجِبُ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ»(٣).

---

(١) «مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا»، كتاب التوكل على الله، المؤلف: أبو بكر عبد الله ابن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤١٣ هـ) (ص٤٧).

(٢) «فتحُ البيان في مقاصد القرآن»، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن ابن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، سنة النشر: (١٤١٢ هـ) (٣/ ٣٩٣).

(٣) «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، المؤلف: شهاب الدين محمود بن =

والمقصود أن في هذه الآية دليلًا على وجوب إفراد الله بالتوكل، وذلك من وجوه:

(أ) الأمر بالتوكل، فدل على أنه عبادة.

(ب) تقديم ما حقه التأخير، وهذا يفيد الحصر.

(ج) قوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال ابن القيم: «فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

«يصف الله ﷻ المؤمنين حق الإيمان بثلاث صفاتٍ عظيمةٍ هي:

(أ) الخوف منه سبحانه عند ذكره، فيفعلون أوامره ويتركون زواجره.

(ب) زيادة إيمانهم عند سماع تلاوة كلامه.

(ج) وتفويض الأمور إليه سبحانه والاعتماد عليه وحده»[2].

قال البغوي ﵀: «﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤] يعني يقينًا: قال ابن عباس: برئوا من الكفر»[3].

= عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) - المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٥هـ) (٣/ ٢٧٨).

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، الطبعة: الثانية (ص٢٥٥).

(٢) «الملخص للفوزان» (ص٢٩٨).

(٣) «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٦).

فَجَعْلُ التوكل على الله من خصائص المؤمنين فيه دليل على أن التوكل عبادة لا تصرف لغير الله، كما أن تقديم ما حقه التأخير - الجار والمجرور- دليل على الحصر، فحصر التوكل لله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤].

جاء في تفسير هذه الآية معنيان:

- **الأول:** أن حسبك هو الله، وكذلك من اتبعك من المؤمنين ينصرونك.
- **الثاني:** أن حسبك وحسب المؤمنين هو الله، أي: اللهُ يكفيك ويكفي من اتَّبعك. وهذا المعنى هو الأقرب[(١)].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣].

وهذه الآية فيها فضيلة التوكل على الله، وأن من يتوكل على الله فإن الله حسبه وكافيه، قال الطبري ﷀ: «ومن يتق الله في أموره، ويفوّضها إليه فهو كافيه»[(٢)]، وقال القرطبي ﷀ: «أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه»[(٣)].

ووجه الدلالة من الآيتين: أن الله هو الكافي لمن توكل عليه، فيجب إفراده سبحانه بالتوكل.

ثانيًا: التوكل على المخلوق:

وينقسم من حيث الحكم إلى قسمين: محرم وجائز، والتوكل المحرم أقسام:

---

(١) «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٢٢٢)، وانظر: «معاني القرآن»، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، (١٤٠٩هـ) (٣/ ١٦٨).

(٢) «تفسير ابن جرير» (٢٣/ ٤٤٨).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٦١).

(أ) شرك أكبر:

وهو ما كان القلب فيه معتمدًا خاضعًا ذليلًا مستكينًا معلقًا بالمتوكَّل عليه، ومن صوره:

(١) أن يتوكل على المخلوق في شيء من خصائص الخالق.

(٢) أن يتوكل على الأموات، أو الغائبين، أو الجمادات.

(ب) شرك أصغر:

وهو الشرك في الألفاظ، كأن يقول: «توكلت على الله وعليك»، وحتى يسلم من الشرك يقول: «توكلت على الله ثم عليك»، كما جاء في فتوى اللجنة الدائمة: «يجوز أن يقول الشخص توكلت على الله ثم عليك، فإن التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والاعتماد عليه، فهو ﷻ المتصرف في هذا الكون، والتوكل على العبد بعد التوكل على الله ﷻ تفويض العبد فيما يقدر عليه، فالله له مشيئة والعبد له مشيئة، ومشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى»[1].

ومنع بعض أهل العلم من قول توكلت على الله ثم عليك وأنه داخل في الشرك، والذي يظهر: أن فتوى اللجنة الدائمة أضبط من جهة الأصول التي من خلالها يحدد الشرك الأصغر كما مرَّ معنا.

(ج) توكل محرم:

وهو أن يلتفت إلى السبب بقلبه التفاتًا يجعله متعلقًا بالسبب والغفلة عن الله، مع اعتقاده أن الله هو المسبب، وقد عدَّه بعضُ أهل العلم من جملة الشرك الأصغر.

(١) الفتوى رقم (٣٥٧١).

(د) التوكل الجائز:

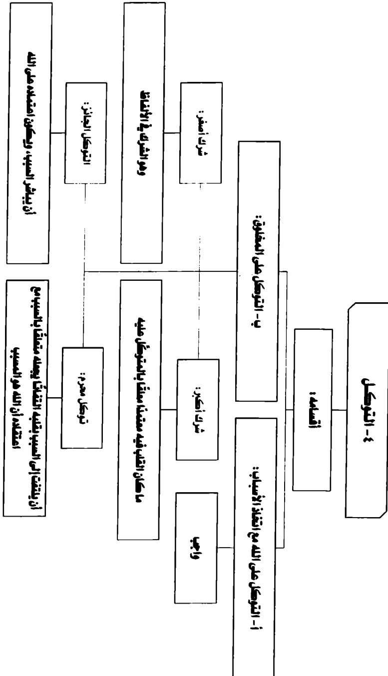
وضابطه: أن يباشر السبب، ويكون اعتماده على الله.

✍ **قال الشيخ ابن عثيمين** ﷺ: «لو اعتمد عليه على أنه سبب، وأن الله تعالى هو الذي قدّر ذلك على يده، فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله»[١].

وخلاصة المسألة: أن التوكل من أقسامه ما هو عبادة، وهو ما كان فيه خضوع القلب واعتماده وذله وتعلقه بالمتوكل عليه، وهذا لا يكون إلا للرب ﷻ الذي بيده مقاليد الأمور.



(١) «شرح ثلاثة الأصول»، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر، الطبعة: الرابعة (ص٥٩).


٤- التوكل
أقسامه:
أ- التوكل على الله مع اتخاذ الأسباب:
واجب
ب- التوكل على المخلوق:
شرك أكبر:
ما كان القلب فيه معتمدًا معلقًا بالمتوكَّل عليه
شرك أصغر:
وهو الشرك في الألفاظ
توكل محرم:
أن يلتفت إلى السبب بقلبه التفاتًا يجعله متعلقًا بالسبب مع اعتقاده أن الله هو المسبب
التوكل الجائز:
أن يباشر السبب، ويكون اعتماده على الله

تدريب

س١: اذكر بعض الأعمال القلبية التي تُعدُّ شركًا.

س٢: اذكر أنواع المحبة من حيث الحكم.

س٣: ما علامة صدق محبة النبي ﷺ، وما ثمار هذه المحبة؟

س٤: ما لوازم محبة النبي ﷺ؟

س٥: اذكر أنواع الخوف من حيث الحكم.

س٦: بعض أنواع الخوف يُعدُّ شركًا أكبر. وضح ذلك.

س٧: اذكر أنواع الرجاء من حيث الحكم.

س٨: بعض الرجاء ما يكون محمودًا وضح ذلك.

س٩: ما العلاقة بين الرجاء والخوف؟

س١٠: هل الأفضل أن يغلب العبدُ جانبَ الرجاء، أم جانبَ الخوف

س١١: اذكر أقسام التوكل.

س١٢: اذكر أنواع التوكل من حيث الحكم.

س١٣: ضع علامة (✓) أو (✗):

(١) التوكل على المخلوق منها هو شرك أكبر، ومنها ما هو شرك أصغر، ومنها ما هو جائز. ( )

(٢) من التوكل الجائز أن يباشر السبب، ويكون اعتماده على الله. ( )

س١٤: وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤].
ما معنى كلمة «حسبك» في الآية؟

الباب الثاني

ما يناقض كمال التوحيد الواجب



توحيد الألوهية

الباب الثاني: ما يناقض كمال التوحيد الواجب

الشرك الأصغر

١- الأعمال القولية:

- الحلف بغير الله
- التشريك في التسوية بين الله وخلقه في اللفظ
- نسبة الفضل لغير الله

٢- أعمال القلوب:

- الرياء
- إرادة الإنسان بعمله الدنيا

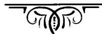
٣- أعمال الجوارح:

اتخاذ سبب لم يجعله الله سببا

- لبس التمائم
- التطير

توطئة

مما يناقض كمال التوحيد وينقصه: الشرك الأصغر والذنوب والمعاصي، وقد حذَّر النبي ﷺ من الوقوع في الشرك الأصغر، كما حذَّر من الوقوع في الذنوب والمعاصي، فالشرك الأصغر مما يخافه النبي ﷺ على أمته؛ لخفاء بعض صوره، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ أخوَفَ ما أخافُ عليكُمُ الشِّركُ الأصغرُ: الرِّياءُ، يقولُ اللهُ يومَ القيامةِ إذا جَزَى النَّاسَ بأعمالِهم: اذهَبوا إلى الذينَ كنتم تُراؤونَ في الدُّنيا، فانظُروا هل تَجِدونَ عِندَهم جزاء**»[1]، فهذا فيه بيان لخطورة هذا الشرك، فوجب بيانه والتحذير منه.



(١) رواه: أحمد (٢٣٦٣٠) (٢٣٦٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٩/ ١٥٤) عن محمود ابن لبيد مرفوعًا، وقال الألباني: صحيح. انظر: «صحيح الجامع» (١٥٥٥ ـ ٦٩٤).

الشــرك الأصغــر

الشرك الأصغر: هو جعل حق الله لغيره يذهب معه كمال الإيمان

وضـابطه: أن ينهى الشارع عنه، أو يكون وسيلة للشرك الأكبر مع تسمية الشارع له شركًا.

وفي هذا الفصل سأذكر عددًا من صور الشرك الأصغر، منها ما يتعلق بأعمال الجوارح، ومنها ما يتعلق بأعمال القلوب، ومنها ما يتعلق بقول اللسان على النحو التالي:



المبحث الأول
الأعمـال القوليـة

مر معنا أن من الألفاظ ما يناقض أصل التوحيد، كدعاء غير الله أو الاستغاثة والاستعاذة بغيره على وجه التعبد كما مر معنا، وهنا نذكر ما يناقض كماله الواجب من الألفاظ الشركية، والتي متعلق الشرك فيها ليس التعبد، وإنما تشريك غير الله مع الله في التعظيم أو التأثير، وهي على ثلاثة أنواع:

(١) الحلف بغير الله.

(٢) نسبة الفضل لغير الله.

(٣) التشريك في التسوية بين الله وخلقه.

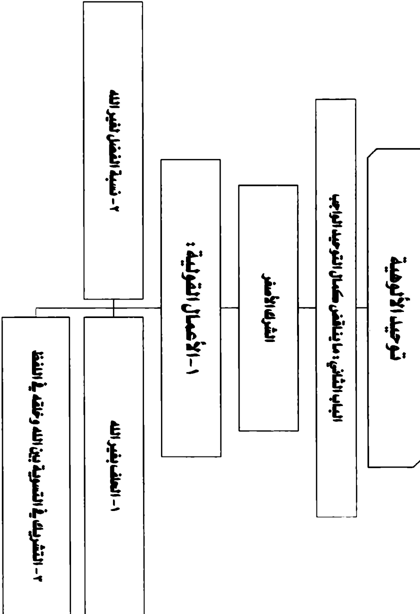
۞ القاعدة في الألفاظ:

(١) أن عامة شرك الألفاظ من الشرك الأصغر؛ لأنه ليس فيها عبادة تصرف لغير الله، إلا الدعاء وما يتبعه من استعاذة واستغاثة.

(٢) أن الألفاظ المذكورة هنا تنقسم إلى قسمين:

(أ) قسم منها شرك دون النظر إلى قصد قائله، كالاستهزاء بكلام الله وكلام رسول الله ﷺ.

(ب) قسم منها يحتاج إلى معرفة قصد صاحبه، مثل إضافة بعض الأشياء إلى غير الله بـ (لولا) و(لو) ونحو ذلك، مثل: لولا أنت لم أنجح.


توحيد الألوهية
الباب الثاني: ما يناقض كمال التوحيد الواجب
الشرك الأصغر
١-الأعمال القولية:
١- الحلف بغير الله
٢- نسبة الفضل لغير الله
٣- التشريك في التسوية بين الله وخلقه في اللفظ

المطلب الأول

الحلف بغير الله

الحلف هو تأكيد الكلام بذكر مُعظّم عند الحالف.

حكم الحلف بغير الله:

الحلف بغير الله أمر محرم، وقد نقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر ﷺ في «التمهيد» فقال: «أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة، منهي عنها؛ لا يجوز الحلف بها لأحد»[(١)]، والأصل أن الحلف بغير الله شرك أصغر، **وينتقل الشخص عن هذا الأصل بحسب اعتقاد على النحو التالي:**

◊ شرك أكبر:

حين يجعل المُقسم به بمنزلة الله في التعظيم والقدرة على النفع والضر.

قال الحافظ ابن حجر ﷺ: «فإن اعتقد في المحلوف به، من التعظيم، ما يعتقده في الله: حرم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافرًا»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «والحلف بغير الله شرك أكبر؛ إن اعتقد أن المحلوف بـه مساو لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر»[(٣)].

---

(١) «التمهيد» (١٤/٣٦٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/٥٣١)، وابن حجر ﷺ ينزل حديث «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» على هذا الحكم.

(٣) «القول المفيد» (٢/ ٢١٤).

◊ **شرك أصغر:**

لنهي الشارع عنه عمومًا، وكونه وسيلة للتعظيم المساوي لتعظيم الله، وورود تسمية الحلف بغير الله شركًا كما في حديث «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(١)، وحديث قتيلة الجهنية ﵂: «**أَنَّ يَهُودِيًا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: أَحَدُهُمْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتُ**»(٢)، فأقره النبي ﷺ على تسميته تنديدًا وشركًا.

وكذلك ما صح عن ابن عمر ﵄ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٣).

ومما يستدل به على كون الحلف بغير الله من الشرك الأصغر حكم الصحابة بذلك فقد جاء في تفسير ابن عباس ﵄ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢] «الأندادُ: هو الشركُ، أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظُلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا. هذا كلُّه به شركٌ»(٤).

---

(١) رواه: أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر، وصححه الألباني، انظر: «الإرواء» (٨/ ١٨٩).

(٢) رواه أحمد (٢٧٠٩٣)، والنسائي (٣٧٧٣) واللفظ له، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

(٣) رواه أحمد (٣٢٩)، (٤٩٠٤)، صححه ابن باز والألباني ﵏.

(٤) «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد =

وجاء عن ابن مسعود ﷺ: «لأن أحلفَ بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[(١)]، والحلف كاذبًا من الكبائر، وقد جعله أهون من الحلف بغير الله، وإن كان صادقًا؛ لعلمه أنه أكبر من الكبيرة، فيكون شركًا أصغر أو أكبر، كما تقدم تفصيله.

✍ وذكر ابن عبد البر ﷺ: «عن ابن عباس ﷺ أنه كان يقول: (لأن أحلف بالله بإثم أحب إليَّ من أن أظاهر) فالمظاهرة أن يحلف بغير الله تعظيمًا للمحلوف به، فشبه خلق الله به في التعظيم، قال الله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾[التوبة:٣٠]، ومعناه: أن أحلف بالله فآثم أي فأحنث أحب إلي من أن أحلف بغيره فأبر، وقد روي عن ابن عمر وابن مسعود قالا: (لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا)»[(٢)].

◊ مسألة:

وجوب تصديق من حلف بالله لأن فيه تعظيمًا لله تعالى، ودليل ذلك ما رواه ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ فَلَيْسَ مِن اللهِ»[(٣)].

وفي هذا الحديث أربع مسائل:

المسألة الأولى: تحريم الحلف بغير الله بقوله «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»، وقد مَرَّ معنا تفصيل حكم الحلف بغير الله.

= محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة (١٤١٩هـ) (١/ ٦٢)، وحسنه ابن باز في الفتاوى (١/ ٤٥).

(١) أخرجه: عبد الرزاق (١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة (١٢٢٨١)، وقال الألباني في «الإرواء» (٢٥٦٢): صحيح.

(٢) «الاستذكار» (٥/ ٢٠٣).

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٠١) وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ٣١٤).

المسألة الثانية: وجوب الصدق إذا حُلف بالله «مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ»، والصدق أمر واجب؛ فكيف إذا كان مع القسم بالله تعالى فإنه يتأكد، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليصْدُقُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفجُورِ وَإِنَّ الفجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[١].

المسألة الثالثة: وجوب رضى المحلوف له إذا حُلف له بالله «ومَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ»، **وهذه المسألة فيها تفصيل بحسب سبب اليمين:**

فإن كان في الدعوى: فإنه يجب الرضا بهذه اليمين، وحصر بعض أهل العلم حكم هذا الحديث الرضا بالحلف حال الدعوى فقط.

وفي غير الدعوى: الرضا يكون بحسب حال الحالف:

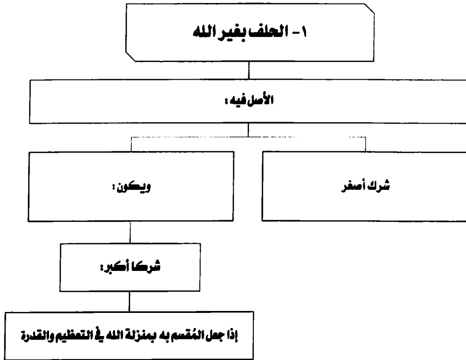
- إن علم من حاله الصدق، ولا توجد ريبة أو دليل ينفي صدقه؛ فالأصل وجوب الرضى بيمينه.
- إن علم من حاله الكذب وتعمده؛ فالصحيح أنه لا يجب الرضى بيمينه.
- وإن تساوى صدقه وكذبه؛ فالأصل في المسلم السلامة ويرضى بيمينه.

المسألة الرابعة: حُكم من لم يرض بالحلف بالله «وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ فَلَيْسَ مِن اللهِ».

بيان حكم من لم يرضَ بالحلف بالله، وأنه من الكبائر لما فيه من ضعف تعظيم الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري حديث رقم (٦٠٦٤)، ومسلم حديث رقم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود ﷺ.


١- الحلف بغير الله
الأصل فيه:
شرك أصغر
ويكون:
شركا أكبر:
إذا جعل المُقسم به بمنزلة الله في التعظيم والقدرة

الأسئلة

(١) ما الأصل في الحلف بغير الله؟

(٢) ما حكم تصديق من حُلف له بالله؟ وما دليل ذلك؟

(٣) ما حكم رضى المحلوف له إذا حُلف له بالله؟ وهل لسبب اليمين تأثير في اختلاف الحكم؟ فصل القول في ذلك.



المطلب الثاني

نسبة الفضل لغير الله

الرب سبحانه هو المنعم المتفضل على العالمين: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾، فهو سبحانه «المنفرد بالعطاء والإحسان ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ ﴾ ظاهرة وباطنة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣] لا أحد يشركه فيها»[١].

قال الطبري ﷺ: «ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة، وفي أموالكم من نماء، فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره؛ لأن ذلك إليه وبيده»[٢].

وبهذا؛ يعلم أن نسبة الفضل والنعمة لغيره لا تنبغي إلا على وجه السببية، والتي هي بأمر الله وتوفيقه، **وإضافة النعمة لغير الله تنقسم إلى أقسام:**

۞ القسم الأول: إضافة خلق وإيجاد النعم لغير الله

هذا شرك أكبر كما مر معنا في مثل قولهم: «**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**» يريدون أن الكواكب هي التي تُنزِل المطر وتوجده، فيكون هذا شركًا في الربوبية.

۞ القسم الثاني: إضافة سبب، وهذه تنقسم إلى أقسام:

◊ القسم الأول: شرك أصغر، وله ثلاث صور:

(أ) إضافة النعمة لسبب غير مشروع، لم يثبت كونه سببًا لا شرعًا ولا قدرًا،

(١) تفسير السعدي (ص٤٤٢).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٢٤).

كأن يقول: شُفيت بسبب الخيط، فهذا شرك أصغر، وسيأتي تفصيله عند الحديث عن التمائم.

(ب) إضافة النعمة لسبب صحيح ويتناسى المسبب، فيقول مثلًا: شُفيت بسبب الرقية أو العلاج، ويتناسى المسبب له وهو الله سبحانه.

(ج) إضافة النعمة للسبب ولله على وجه التشريك، كأن يقول: أنقذني الله وفلان، والواو حرف عطف يقتضي التسوية.

◈ **القسم الثاني: جائز، وله ثلاث صور**

(أ) أن يكون على وجه الإخبار، مع استشعار نعمة الله بالإنعام حقيقةً، وهذه الصورة الصحيح أنها جائزة.

لقول النبي ﷺ في عمه أبي طالب: **«لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»**[1].

(ب) أن ينسبها لله ثم للسبب.

(ج) أن ينسبها لله ثم تفضل الله عليه بالسبب، كأن يقول: أنقذني الله على يد فلان.

ومما يُستدل به على عدم جواز إضافة النعمة لغير الله تعالى قوله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[النحل:٨٣]، واختلف في تفسيرها على قولين رئيسيين:

القول الأول: أنهم يعرفون نبوة النبي ﷺ ويجحدونها، واختاره ابن جرير رحمه الله.

(١) رواه البخاري حديث رقم (٦٢٠٨) من حديث العباس.

القول الثاني: إنكار نعمة الله تعالى المذكورة في أول السورة، وذكروا له ثلاث صور:

الصورة الأولى: إنكارها: بقولهم: ورثناها عن آبائنا، وهذا قول مجاهد.

الصورة الثانية: إنكارها: بقولهم: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا، وهذا قول عون بن عبد الله.

الصورة الثالثة: إنكارها: بقولهم: هذه بشفاعة آلهتنا، وهذا قول الكلبي، وغيره.

وجاء في الحديث: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «**قَالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللهِ وَبِرِزْقِ اللهِ وَبِفَضْلِ اللهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي**»[(١)].

فالحديث ظاهر في كفر من أضاف المطر إلى النجم كفرًا أكبر إذا كان إضافة إيجاد، وأصغر إذا كان إضافة سبب.

وجاء في الحديث: عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«**إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، ـ أَوْ قَالَ:**

(١) رواه البخاري حديث رقم (٤١٤٧).

البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ ـ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

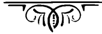
ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

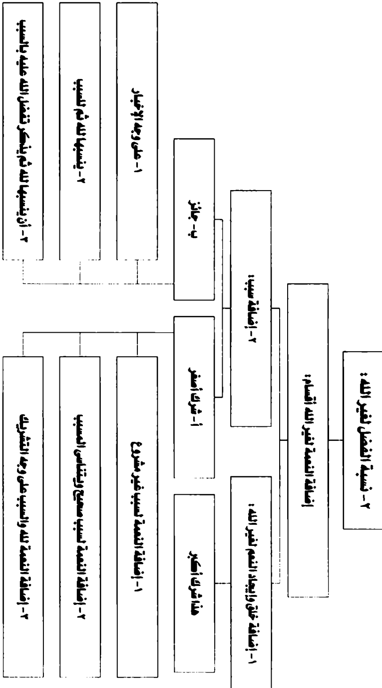
وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ

أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[١].

ووجه الدلالة من هذا الحديث كون الأقرع والأبرص عندما أضافوا النعمة لغير الله سلبت منهم، والأعمى عندما شكر نعمة الله وفضله دامت عليه.



(١) رواه البخاري حديث رقم (٣٤٦٤).


٢- نسبة الفضل لغير الله :
إضافة النعمة لغير الله أقسام :
١- إضافة خلق وإيجاد النعم لغير الله :
هذا شرك أكبر
٢- إضافة سبب :
أ- شرك أصغر
١- إضافة النعمة لسبب غير مشروع
٢- إضافة النعمة لسبب صحيح ويتناسى المسبب
٣- إضافة النعمة لله والسبب على وجه التشريك
ب- جائز
١- على وجه الإخبار
٢- ينسبها لله ثم للسبب
٣- أن ينسبها لله ثم يذكر تفضل الله عليه بالسبب

الأسئلـة

(١) ما حكم إضافة خلق وإيجاد النعم لغير الله؟ وما دليله؟

(٢) متى تكون إضافة النعم لغير الله شركًا أصغر؟ اذكر صور ذلك.

(٣) متى تكون إضافة النعم لغير الله شركًا جائزة؟ اذكر صور ذلك مع دليلها.



المطلب الثالث

التشريك في التسوية بين الله وخلقه في اللفظ

والمقصود هنا: التشريك في التسوية بين الله وخلقه لفظًا لا اعتقادًا، كقول: (ما شاء الله وشئت)، وقد جاءت الشريعة بمنع هذه التسوية كما في حديث قتيلة الجهنية: «أَنَّ يَهُودِيًّا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: أَحَدُهُمْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتُ»[(١)]، فأقره النبي ﷺ على كونه من الشرك، فيكون شركًا أكبر إذا اعتقد أنه مساوٍ لله في المشيئة، أما إذا أراد أنها مشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى؛ فيكون قد أخطأ في اللفظ خطأ أوهم التسوية بين الخالق والمخلوق؛ لذلك نهى الشرع عنه وجعله من الشرك الأصغر.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: «جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[(٢)]، وفي رواية «جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[(٣)].

والند: الشبيه والمثيل، والاستفهام إنكار، هل تجعلني مثيلًا ومشابهًا لله في المشيئة، فمشيئة الله نافذة ومشيئة العبد تابعة، ثم بيّن له اللفظ الأكمل والعبارة الأجمل «ما شاء الله وحده» مع جواز أن يقول: ما شاء الله ثم شئت،

(١) حديث صحيح، سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩).

فمراتب نسبة المشيئة ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: وهي مرتبة الكمال والأفضلية أن تفرد الله بالمشيئة فتقول: «ما شاء الله وحده».

المرتبة الثانية: وهي مرتبة مشروعة جائزة، وهي مرتبة عطف مشيئة العبد على مشيئة الله بـ «ثم» فتقول: «ما شاء الله ثم شاء فلان».

وقد جاء عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ: نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **«أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَعْرِفُهَا لَكُمْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ»**[1].

المرتبة الثالثة: مرتبة التشريك، وهي عطف مشيئة العبد على مشيئة الله بالواو فيقال: «ما شاء الله وفلان، أو ما شاء الله وشاء فلان»، فهذا شرك أصغر.

ويدخل فيها أي تسوية للعبد بالرب في اللفظ، كقول: توكلت على الله وعليك ونحوها.

✍ **يقول ابن القيم** رحمه الله: «ومن الشرك به سبحانه: الشركُ به في اللفظ، كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»**. صححه الحاكم، وابن حبان.

ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء اللهُ وشئتَ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجلٌ: ما شاء الله وشئت، فقال: **«أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»**.

هذا، مع أنّ الله قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (٤٣٧٨).

[التكوير:٢٨]، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسبِ الله وحسبِك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنكَ، وهذا من بركَات الله وبركاتك، واللهُ لي في السماء، وأنتَ لي في الأرض، أو يقول: واللهِ وحياةِ فلان، أو يقول: نذرًا لله ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلانًا، ونحو ذلك؟

فوازِنْ بين هذه الألفاظ وبيّن قول القائل: «ما شاء الله وشئت»، ثم انظر: أيُّهما أفحَشُ؛ يتبيّن لك أنّ قائلَها أولى بجواب النبي ﷺ القائل تلك الكلمة، وأنّه إذا كان قد جعله لله نِدًّا بها، فهذا قد جعل من لا يداني رسولَ الله ﷺ في شيء من الأشياء، بل لعله أن يكون من أعدائه نِدًّا لربِّ العالمين»[1].



(١) «الداء والدواء» (ص٣١٢).

٣ - التشريك في التسوية بين الله وخلقه:

المقصود به:

التشريك في التسوية بين الله وخلقه لفظًا لا اعتقادًا

كقول: (ما شاء الله وشئت)



تدريب

س١: ما حكم الحلف بغير الله؟

س٢: ما حُكم من لم يرض بالحلف بالله؟

س٣: ما حكم من نسب النعمة لغير الله؟

س٤: ما معنى التشريك في التسوية بين الله وخلقه؟

س٥: ما حكم من قال لغيره: ما شاء الله وشئت؟

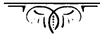
س٦: ضع علامة (✓) أو (✗):

(١) قول المسلم (توكلت على الله وعليك) يُعدُّ من الشرك الأكبر. ( )

(٢) لا يجوز التسوية بين الله ﷻ وأحد من خلقه. ( )

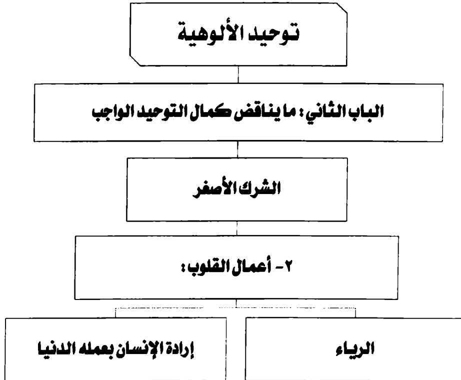
س٧: أكمل الحديث:

(١) قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد.........................».



المبحث الثاني
ما يتعلق بأعمال القلوب

سبق الحديث عن أعمال القلوب التي صرفها لغير الله مناقض لأصل التوحيد، وذكرنا منها المحبة والخوف والرجاء والتوكل، وهنا الحديث عما يناقض كمال التوحيد من الأعمال القلبية، وسأذكر منها: الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا.



المطلب الأول

الريـاء

الرياء لغة: مشتق من الرؤية، قال الفيروزآبادي: «وراءَيْتُه مُراآةً ورِئَاءً: أرَيْتُه على خلاف ما أنا عليه»[١].

◊ **الرياء اصطلاحًا:**

✍ **عُرِّف بعدة تعاريف أقربها ما ذكره ابن حجر** ﷺ بأنه: «إظهار العبادة؛ لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها»[٢].

فأصل الرياء قائم على إظهار العبادة بقصد طلب الثناء والمدح والمنزلة والمكانة، **يقول ابن العربي** ﷺ: «وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادات، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس»[٣].

◊ **صور الرياء:**

الرياء له صور كثيرة متنوعة، ذكر جماعها ابن القيم ﷺ فقال: «وأما الشرك في الإرادات والنيّات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلّ من ينجو منه. فمَن أراد بعمله غيرَ وجه الله، أو نوى شيئًا غيرَ التقرُّبِ إليه وطلبِ الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته»[٤].

ومن الصور ما ذكره ابن العربي ﷺ فقال: «أولها: تحسين السمت؛ وهو

---

(١) «القاموس المحيط» (ص١٢٨٥).
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٣٦).
(٣) «أحكام القرآن» لابن عربي (٤/ ٤٥٤).
(٤) «الداء والدواء» (ص٣١٢).

من أجزاء النبوة، ويريد بذلك الجاه والثناء.

ثانيهما: الرياء بالثياب القصار والخشنة، ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا.

ثالثهما الرياء بالقول بإظهار التسخط على أهل الدنيا، وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة.

رابعهما: الرياء بإظهار الصلاة والصدقة، أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية الناس، وذلك يطول»[١]، أي أن الصور كثيرة والخفاء عليها غالب؛ فقد تتسلل لقلب الإنسان دون أن يشعر، «وكثيرًا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له. وإخلاص دينها له، كما قال شداد بن أوس: يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية. قيل لأبي داود السجستاني: وما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة»[٢].

◈ الفرق بين الرياء والسمعة:

إن الرياء إظهار العمل بقصد طلب الثناء والمدح، فهو متعلق بما يرى من أعمال، والسمعة متعلقة بما يسمع من الأعمال كالقراءة والذكر والتعليم والدعوة، ويدخل في السمعة: تحدث العبد بما عمله من أعمال صالحه لطلب الثناء والمدح والمكانة.

◈ حكم الرياء:

الأصل فيه أنه شرك أصغر؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ**

(١) «أحكام القرآن» لابن عربي (٤/ ٤٥٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢١٤-٢١٥).

تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[١].

والرياء ليس متعلقًا بصرف العبادة لغير الله، فإن صرفها لغير الله شرك أكبر، وإنما متعلقه هو إظهار العبادة بقصد طلب الثناء والمدح، يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «والمراد بالرياء هنا أن يتعبد الإنسان لربه ﷻ، ولكن يُحسّن العبادة من أجل أن يراه الناس، فيقولون: ما أعبده ما أحسن عبادته! وما أشبه ذلك، فهو يريد من الناس أن يمدحوه في عبادته لا يريد أن يتقرب إليهم بالعبادة؛ لأنه لو فعل هذا لكان شركًا أكبر.

لكنه يريد أن يمدحوه في عبادة الله، فيقولون: فلان عابد فلان كثير الصوم فلان كثير الصدقة وما أشبه ذلك؛ فهو لا يخلص لله في عمله، لكن يريد أن يمدحه الناس على ذلك، فهو يرائي الناس، والرياء يسيره من الشرك الأصغر، وكثيره من الشرك الأكبر»[٢].

إذًا الأصل في الرياء أن تكون العبادة لله، ولكن يقع في القلب من طلب حظ الدنيا والالتفات إليها ما يخرم الإخلاص لله تعالى، ويكون وسيلة إلى صرف العبادة جميعها لغير الله؛ لذلك هي شرك أصغر.

✍ **قال الطيبي** ﷺ: «إذا ثبت المرائي، ودام على اعوجاجه، ولم يرجع إلى المستقيم، هام في أودية الضلال، وأداه الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر»[٣].

---

(١) سبق تخريجه ص(٣٢٩).

(٢) «شرح رياض الصالحين»، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة: (١٤٢٦هـ) (٦/ ٣٣٨).

(٣) «الكاشف عن حقائق السنن»، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣ هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) (٢/ ٧١٩).

وبهذا يتضح أن حكم الرياء ينقسم إلى قسمين:

الأول: رياء في أصل الإيمان: كإخفاء الكفر وإظهار الإسلام، وهذا لا يتصور إلا من منافق، وهذا كفر أكبر.

الثاني: رياء في كمال الإيمان: ومتعلقة بعض أعمال العبد التي يظهرها ليحمده الناس عليها، وهذا شرك أصغر منافٍ لكمال التوحيد الواجب.

ونقل ابن العربي عن وهب عن مالك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٦،٧]، قال مالك: «هم المنافقون الذين يراءون بصلاتهم؛ يُرِي المنافقُ الناسَ أنه يُصلي طاعة وهو يُصلِّي تقية، والفاسق أنه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال: إنه يصلي»(١).

والغالب في خطاب الشارع أنه إذا ذكر الرياء؛ فإنه يريد به الرياء في كمال الإيمان الواجب.

ومما يدل على كون الرياء من الشرك: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وجمهور المفسرين على أن المراد بالشرك هنا: الرياء.

✍ **يقول ابن عبد البر** ﵀: «وفي الإخلاص طرحُ الرياءِ كلِّه؛ لأن الرياءَ شِركٌ أو ضَربٌ من الشِّرك. قال أهلُ العلم بالتأويل: إن قولَ الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، نزلت في الرياء»(٢)، والآية محتمله لنوعي الشرك الأكبر والأصغر.

---

(١) «أحكام القرآن» لابن عربي (٤/ ٤٥٤).

(٢) «التمهيد» (١٣/ ٥٠٣-٥٠٤).

◊ حكم العبادة إذا خالطها الرياء:

أولًا: إن كان في جميع الأعمال فهذا هو حال المنافقين، ولا يتصور هذا من المسلم.

ثانيًا: إن كان في بعض الأعمال؛ فله حالان:

الحالة الأولى: إذا كان في أصل العبادة: بطل العمل؛ لأن الباعث على العمل هو الرياء وليس إرادة الرب سبحانه، وهذا كوصف الله للمنافقين بأنهم يقومون للصلاة رياءً لا لأجل عبادة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، جاء عن قتادة: «والله لولا الناس ما صلى المنافق ولا يصلي إلا رياء وسمعة»(١).

وقال ﷺ فيما يرويه عن الرب سبحانه: **«أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»**(٢). فمن كان باعثه للعبادة رؤية الناس فقط بطُل عمله.

الحالة الثانية: إذا كان في أثناء العبادة وله حالان:

(١) إذا كان يجاهد نفسه فلا شيء عليه.

(٢) إذا كان يرضى به ويركن إليه؛ ففيه قولان:

(أ) إن كان العمل لا يترتب أوُله على آخِره كالصدقة والذكر صحَّ العمل فيما كان لله، وبطُل في الذي دخلته النية الفاسدة، وهو اختيار ابن رجب ﵀، ونقل عن ابن جرير ﵀ قوله: «فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٩/ ٣٣١).

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

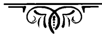
وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية»[(١)]، واختاره العز بن عبدالسلام ﷺ، حيث قال: «والأعمال ضربان:

أحدهما: متعدد حكمًا وصورة، كقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدقة المترتبة، فهذا إذا افتتحه على الرياء ثم أخلص صح ما اقترن به الإخلاص وبطل ما اقترن به الرياء؛ لأن ذلك بمثابة عبادات راءى في بعضهن وأخلص في بعضهن»[(٢)].

(ب) إذا كان العمل يترتب أوله على آخره كالصلاة والصيام ففيه خلاف بين أهل العلم:

(١) أنه يبطل جميع العمل، وهذا اختيار العز ابن عبدالسلام، وابن عثيمين ﷺ[(٣)].

(٢) أنه يبطل ما حصل فيه الرياء، ويبقى العمل على نيته الأولى، نقله ابن رجب عن الإمام أحمد والطبري ﷺ[(٤)].



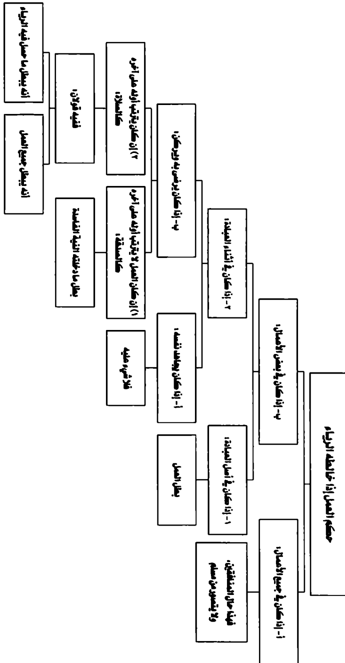
---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٤).

(٢) «مقاصد الرعاية لحقوق الله ﷻ» أو «مختصر رعاية المحاسبي»، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، المحقق: إياد خالد الطباع، الناشر: دار الفكر ـ دمشق، الطبعة: الأولى (١٤١٦هـ) (ص٩٥).

(٣) ينظر: «مقاصد الرعاية لحقوق الله ﷻ» (ص٩٥)، و«القول المفيد» (١/ ١١٨).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٤).


حكم العمل إذا خالطه الرياء
أ- إذا كان في جميع الأعمال:
فهذا حال المنافقين، ولا يتصور من مسلم
ب- إذا كان في بعض الأعمال:
١- إذا كان في أصل العبادة:
بطل العمل
٢- إذا كان في أثناء العبادة:
أ- إذا كان يجاهد نفسه:
فلا شيء عليه
ب- إذا كان يرضى به ويركن:
١) إن كان العمل لا يترتب أوله على آخره كالصدقة:
بطل ما دخلته النية الفاسدة
٢) إن كان يترتب أوله على آخره كالصلاة:
ففيه قولان:
أنه يبطل جميع العمل
أنه يبطل ما حصل فيه الرياء

المطلب الثاني

إرادة الإنسـان بعمله الدنيا

هذه المسألة تجتمع مع الرياء في كونها تشريكًا لطلبه أجرًا دنيويًّا، فالرياء متعلق بطلب المدح في الدنيا، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا متعلق بإرادة أمور دنيوية غير المدح كالمال والمنصب والجاه، والرياء أخطر من إرادة الدنيا لخفائه وإحباطه العمل، وإرادة الانسان بعمله الدنيا أخطر من الرياء من جهة أنه قد يلازم العمل، فأما الرياء فقد يعرض في عمل دون عمل.

والرياء فيه تعظيم للمادح؛ لأن الانسان لن يطلب المدح من شخص يستحقره؛ لذلك قدح الرياء في التوحيد أكثر، وإرادة الانسان بعمله الدنيا لا يكون فيه التعظيم الموجود في الرياء؛ لأنه قد يريد الأمر الدنيوي لشهوة كشهوة المال والمنصب.

ولعدم وجود التعظيم في طلب الأغراض الدنيوية أباح الشارع تشريك بعض المقاصد الدنيوية في العبادة، ولكن بشرط أن لا تكون هي الباعث الأساسي للعمل، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

فالاستغفار سببٌ شرعي لحصول الرزق؛ ففعله طلبًا للمغفرة مع وجود مقصد طلب الرزق لا بأس به، بل هو سببٌ مأمورٌ به.

وقد يجتمع الرياء وإرادة الانسان بعمله الدنيا، فيطلب المحمدة لحصول غرض دنيوي، فهنا اجتمع الإثمان.

والجدول التالي يوضح الفرق بين الرياء وبين إرادة الدنيا بالعمل:

الرياء	إرادة الإنسان بعمله الدنيا
(أ) يظهر صاحبه العمل طالبًا المدح عليه.	(أ) أن يعمل العمل لطلب أمرٍ دنيويٍّ من مال أو منصب.
(ب) قد يخفى على العابد.	(ب) غالبًا لا يخفى، بل يكون مطلوبًا.
(ج) لا شيء منه جائز.	(ج) منه ما هو جائز، كأن يكون مما حفز به الشارع العامل للعمل.
(د) يبطل العمل الذي قارنه.	(د) لا يبطل العمل الذي قارنه على كل حال.

والأصل في حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا أنه: شرك أصغر، **والناس فيه على حالتين:**

- **الحالة الأولى**: من يريد الدنيا في جميع أعماله، وهذ لا يتصور من المؤمن.
- **الحالة الثانية**: من يريد الدنيا في بعض أعماله، وهذا على قسمين:

(أ) أعمال جاء الحث عليها بذكر فضائل دنيوية رتبها الشارع عليها، وهي على قسمين:

(١) إذا لم يرد سوى الثواب الدنيوي؛ فهذا عمله باطل.

قال الإمام القرطبي المالكي: «فأما إذا كان الباعثُ عليها غير ذلك من أعراض الدُّنيا؛ فلا يكونُ عبادة، بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها، فإما كفرٌ، وهو: الشرك الأكبر، وإما رياء، وهو: الشركُ الأصغر.

ومصيرُ صاحبه إلى النار، كما جاء في حديث أبي هريرة في الثلاثة

المذكورين فيه[١]. هذا إذا كان الباعثُ على تلك العبادة الغرضَ الدنيوي وحده، بحيث لو فُقِد ذلك الغرضُ لتُرِك العمل»[٢].

(٢) إذا اجتمعت نيةُ الدنيا ونية الآخرة؛ فلا شيء عليه، بشرط أن يكون المقصد الأصلي والباعث الحقيقي على العمل هو إرادة الله والدار الآخرة.

---

(١) عن شُفَيّ الأَصْبَحِيِّ أَنَّهُ، دَخَلَ المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَّ اللهَ ﷻ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

رواه الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٢٤)، والحاكم في المستدرك (١٥٢٧)، وابن حبان في صحيحه (١٥٢٧)، وصححه الألباني.

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٣/ ٧٤٣).

(ب) أعمال لم يذكر الشارع عليها فضائل دنيوية كالصلاة والصيام، **فهي على أقسام:**

(١) إذا غلب المراد الدنيوي؛ فهذا عمله باطل.

(٢) إذا تقاربت الإرادتان؛ يصح العمل وينقص الأجر بقدر التساوي.

(٣) إذا كان الغالب لله والدنيا تبع لا مستقلة ولا غالبة ولا مساوية؛ صح العمل ونقص الأجر عمن خلصت نيته.

(٤) إذا عمل لله وله جُعل عليه يستعين به على الطاعة فلا شيء عليه.

✍ **قال ابن رجب** ﵀: «فإن خالط نية الجهاد مثلًا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية، وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: **«مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ، إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً، تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ»**[(١)].

وهناك أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عَرَضًا من الدنيا أنه لا أجر له، وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا.

✍ **وقال الإمام أحمد:** التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضًا فيمن يأخذ جعلًا على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لدينه، فإن أُعطي شيئًا أخذه»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم (١٩٠٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٨٢-٨٣).

وذهب بعض أهل العلم إلى عدم التفريق بين ما كانت نيته للدنيا وللآخرة متساوية، ومن كانت نيته للدنيا غالبه أو نيته للآخرة غالبه، فجعلوا كل عمل تدخل فيه نية الدنيا باطلًا، والصواب ما سبق ذكره من تفصيل، وفي ذلك يقول ابن القيم ﷺ: «فما حكم من يريد الدنيا والآخرة، فإنه داخل تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق؟

قيل: من هاهنا نشأ الإشكال، وظن من ظن من المفسرين أن الآية في حق الكافر، فإنه هو الذي يريد الدنيا دون الآخرة، وهذا غير لازم طردًا ولا عكسًا؛ فإن بعض الكفار قد يريد الآخرة، وبعض المسلمين قد لا يكون مراده إلا الدنيا، والله تعالى قد علّق السعادة بإرادة الآخرة، والشقاوة بإرادة الدنيا، فإذا تجرّدت الإرادتان تجرّد موجبهما ومقتضاهما، وإن اجتمعتا فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور والطاعة والمعصية والإيمان والشرك في العبد»[1].

ومما يدل على خطورة إرادة الإنسان بعمله الدنيا قول الله ﷻ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود:١٥، ١٦].

ومجموع ما نقل عن أهل العلم في هذه الآية قولان على الصحيح:

القول الأول: أنها نزلت في الكفار عامة، ونقله ابن جرير عن أنس ﷺ، وفيها تهديد وعيد لمن يعمل بعملهم هذا، فهي ليست خاصة بالكفار فقط،

---

(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١)، المحقق: إسماعيل بن غازي مرحبا، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض)، الطبعة: الرابعة، (١٤٤٠ هـ) (ص٣٢٣).

بل بكل من عمل بعملهم ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ورجح ابن عطية كونها نزلت في الكفار وأن حكمها عام، فقال ﷺ: «ومعنى هذا أن أهل الكتاب الكفرة يدخلون في هذه الآية، لا أنها ليست في غيرهم»(١).

القول الثاني: أنها نزلت في المؤمن الذي يعمل عملًا صالحًا يريد به الدنيا، وهذا رأي ابن عباس ﷺ في الآية: فقال: «من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا؛ يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين»(٢).

وهناك قول ثالث نقله ابن جرير عن مجاهد -من طريق وهب: أنها نزلت في أصحاب الرياء، وقول مجاهد هذا توضحه الأقوال الأخرى المنقولة عنه في الآية، وتوضح أنه يريد به القول الأول، ومن ذلك ما نقله ابن جرير - من طريق عيسى بن ميمون- عن مجاهد قوله: «يصوم ويُصَلِّي يُرِيد به الدنيا، ويدفع عنه وهْمَ الآخرة، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]: لا يُنقَصُون»(٣)، لذلك نجد ابن عطية لم يورد إلا القولين الآنفي الذكر؛ لأن مرد هذا القول الثالث راجع لهما.

ويجمع بين قولي مجاهد: أن بعض أهل العلم لا يفرق بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، بل يجعل الرياء داخل في إرادة الإنسان بعمله الدنيا. والله أعلم.

وجاء في الحديث قول رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ،

---

(١) «تفسير ابن عطية» (٣/ ١٥٦).
(٢) «تفسير ابن جرير» (١٢/ ٣٤٧).
(٣) «تفسير ابن جرير» (١٢/ ٣٢٥).

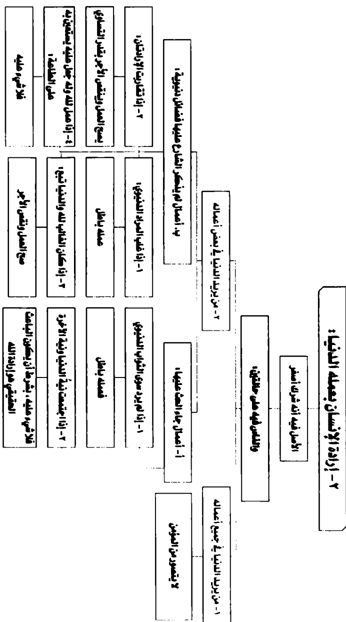
وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(١).

«تَعِسَ» بكسر العين وفتحها، أي: عثر، أو هلك، أو سقط على وجهه، فهذا الحديث فيه خبر من النبي ﷺ أو دعاء منه بالهلاك لمن كان همه الأغراض الدنيوية، وكان كالعبد لها؛ لأنه صرف لها همه وطاعته ومقصوده، وفي ذلك يقول ابن رجب ﷺ معلقًا على الحديث: «فدل هذا عَلَى أن كل من أَحَبّ شيئًا وأطاعه، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله، وعادى لأجله؛ فهو عبده، وذلك الشيء معبوده وإلهه»(٢).



(١) رواه البخاري حديث رقم (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (٣/ ٥٧).


٢ - إرادة الإنسان بعمله الدنيا:
الأصل فيه أنه شرك أصغر
والناس فيه على حالتين:
١- من يريد الدنيا في جميع أعماله
لا يتصور من المؤمن
٢- من يريد الدنيا في بعض أعماله
أ- أعمال جاء الحث عليها:
١- إذا لم يرد سوى الثواب الدنيوي
فعمله باطل
٢- إذا اجتمعت نيةُ الدنيا ونية الآخرة
فلا شيء عليه، بشرط أن يكون الباعث الحقيقي هو إرادة الله
ب. أعمال لم يذكر الشارع عليها فضائل دنيوية:
١- إذا غلب المراد الدنيوي:
عمله باطل
٣- إذا كان الغالب لله والدنيا تبع:
صح العمل ونقص الأجر
٢- إذا تقاربت الإرادتان:
يصح العمل وينقص الأجر بقدر التساوي
٤- إذا عمل لله وله جُعل عليه يستعين به على الطاعة:
فلا شيء عليه

تدريب

س١: اذكر بعض أعمال القلوب التي صرفها لغير الله مناقض كمال التوحيد؟

س٢: لماذا حذَّر النبي ﷺ من الرياء؟

س٣: صور الرياء أكثر من أن تُحصى، اذكر أمثلة منها.

س٤: ما الدليل على أن الرياء من الشرك؟

س٥: ما الفرق بين الرياء والسمعة؟

س٦: ما حكم العبادة إذا خالطها الرياء؟

س٧: ما الفرق بين الرياء وبين إرادة الدنيا بالعمل؟

س٨: اختر الإجابة الصحيحة:

(١) من أعمال القلوب التي صرفها لغير الله مناقض لأصل التوحيد:

(أ) الرياء (ب) الخوف

(ج) الرجاء (د) كل ما سبق

(٢) إذا عمل الإنسان عملًا صالحًا وأراد به الدنيا فهذا:

(أ) ينقص من أجره

(ب) محبط للعمل بالكلية

(د) يأخذ من الأجر على قدر صلاح العمل.

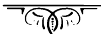


الأسئلة

(١) عرف الرياء لغة واصطلاحا.

(٢) ما الأصل في الرياء؟ وما أقسامه؟

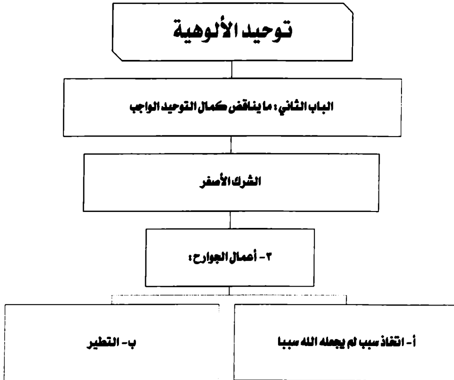
(٣) إذا كان الرياء في أثناء العبادة، فما حكمه؟ فصل القول في ذلك.



المبحث الثالث

ما يتعلق بأعمال الجوارح

مما ينافي كمال التوحيد من أعمال الجوارح وتندرج تحت الشرك الأصغر اتخاذ أسباب لم يجعلها الله سببًا، ولها عدد من الصور كلبس التمائم، والتبرك الممنوع، والتطير، وغيرها كما سيأتي، والتبرك الممنوع قد جاء ذكره عند الحديث على الغلو في الصالحين فيرجع إليه، وهنا سأتحدث عن عدد من المطالب على النحو التالي:



المطلب الأول

اتخاذ سبب لم يجعله الله سببًا

إن اتخاذ الأسباب الصحيحة مما تدعو له الشريعة، ومن ذلك ما نقل عن اتخاذ النبي ﷺ لكثير من الأسباب الصحيحة، وهذا أمر مشتهر عنه ﷺ مع كمال إيمانه وتوكله على الرب سبحانه.

والخلل في اتخاذ الأسباب يقع من جهتين:

الجهة الأولى: في الاعتماد على الأسباب والتوكل عليها وهذا مر معنا في باب التوكل.

الجهة الثانية: في اتخاذ أسباب غير مشروعه ولم يجعلها الله سبب لا شرعًا ولا قدرًا.

الأسباب المشروعة:

المقصود بها تلك الأسباب التي تثبت كونها صحيحة بإحدى طريقين:

(أ) النص الشرعي: بأن يكون هناك نص من الكتاب أو السنة على صحة هذه الأسباب مثل: ماء زمزم، والعسل، والحبة السوداء وغيرها من الأسباب المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وتسمى (الأسباب الشرعية).

(ب) التجربة: وهي ما يظهر من خلال الملاحظة والمتابعة من نتائج تسببها أسباب قدرها الله، مثل: يعض النباتات أودعه الله خصائص بالملاحظة ثبت أنه علاج لبعض الأمراض، وغيرها من الأدوية مما يثبت بالتجربة أنها علاج صحيح، وتسمى(الأسباب القدرية أو الكونية، أو الحسيَّة).

والتجربة لا تكون صحيحة إلا بشروط:

الشرط الأول: أن تكون العلاقة بين السبب والنتيجة ظاهرةً واضحة؛ حتى لا ينفتح بابا الخرافات.

الشرط الثاني: أن لا يكون السبب محرمًا بذاته.. كالسحر؛ فالسحر يعمل على جلب المحبة، وقد ثبت بالتجربة ولكنه محرم.

والأسباب الصحيحة لا تتخلّف عنها نتائجها إلا في حالتين:

الحالة الأولى: **بأمر خارق: مثل المعجزة أو الكرامة**

مثال المعجزة: النار تحرق، وقد جعلها الله ـ سبحانه بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ.

مثال الكرامة: ما وقع للصحابة ﷺ من كرامات.

الحالة الثانية: وجود المانع: النار تحرق، وإذا لُبس ما يمنع الاحتراق فإنها لا تحرق.

❁ حكم التعلق بالأسباب غير الصحيحة:

(١) إن اعتقد أنها تنفع استقلالًا من دون الله، فهو شرك أكبر في الربوبية.

(٢) وإن اعتقد أنها سبب وهي ليست سبب لا شرعًا ولا قدرًا، فهو شرك أصغر.

واتخاذ الأسباب التي لم يجعلها الله سببًا شرك أصغر؛ بدليل استقراء أدلة النهي عن اتخاذ أسباب لم يجعلها الله سببا، فإن الشارع نهى عن ذلك وسمى اتخاذها شركا وهي كذلك وسيلة للوقوع في الشرك الأكبر، ومن ذلك التبرك الممنوع[1]، **وتعليق الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء ورفعه فإنه شرك**

(١) وقد ذكرت تفصيله في أسباب الوقوع في الشرك.

أصغر لأن:

(١) فيها جعل سبب لم يجعله الله سببًا لا شرعًا ولا قدرًا.

(٢) أن من يلبس هذه الحلقة والخيط غالبًا يحصل لديه تعلق قلبي بها وركون إليها.

(٣) أن لبس مثل هذه الأمور قد توقع صاحبها في الشرك الأكبر.

(٤) أنه جاء النهي عن اتخاذها اسبابًا في دفع الشر أو جلب الخير، مع تسمية ذلك شركا كقول النبي ﷺ: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[١].

وجاء عن عقبة بن عامر مرفوعا: «من تعلق تميمة، فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له»[٢]، وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[٣].

والتميمة: ما يلبس من خيط أو خرز ونحوه لدفع العين، قال ابن الجوزي ﵀: «هي خرزات كانت العرب تعلقها على الصبيان يتقون بها العين بزعمهم فلما أرادوا دفع المقادير بذلك كان شركا»[٤].

وقال علي القاري ﵀ في تعريف التمائم: «المراد بها التعاويذ التي تحتوي على رقى الجاهلية من أسماء الشياطين وألفاظ لا يعرف معناها، وقيل: التمائم خرزات كانت العرب في الجاهلية تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام لأنه لا ينفع ولا يدفع إلا الله تعالى»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٤٢٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) أخرجه: أحمد في «المسند» (١٧٤٠٤)، وابن حبان (٦٠٨٦)، والحاكم (٤/ ٢٤٠)، وقال الألباني: ضعيف ـ «الضعيفة» (١٢٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ه ١/ ١١٢.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

والودعة: تصنع من صدف البحر وتلبس لدفع العين أو الجن، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تدفع شرا ولا تجلب خير.

وقال ﷺ: «**من تعلق تميمة، فلا أتم الله له**»، فهو دعاء من النبي ﷺ بأن لا يتم الله له ما أراد، أو أنها خبر منه ﷺ أنه لن يتم الله له ما أراد وعلى الوجهين فيه دليل على تحريم التمائم.

وكذلك قوله ﷺ: «ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له» قد يكون على وجه الدعاء بأن لا يكون في دعة وراحة وسكون، أو خبر بأنه لن يكون في دعة وراحة وسكون، أو لا خفَّف الله عنه ما يخافه، فيعامل بنقيض مقصوده لكونه فعل محرمًا.

والرواية الأخرى وضحت الحكم ونص النبي ﷺ على أنه من الشرك، فقال: «من تعلق تميمة فقد أشرك»، شرك أكبر اذا اعتقد كونها مؤثرة بذاتها، وشرك أصغر إذا اعتقد أنها سبب.

وجاء عن النبي ﷺ من حديث عمران ابن حصين أن النبي ﷺ: «**رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا**»[1].

فهذا رجل[2] في يده حلقة من صفر ـأي من نحاسـ اتخذها لدفع مرض يسمى الواهنة وهو مرض يصيب المنكب[3] وانكر عليه النبي ﷺ ذلك؛

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٠٠)، وابن حبان (٦٠٨٥)، والحاكم (٤/ ٢٤٠)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ (٣٩١)، وأورده الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٠٢٩) وقال: ضعيف.

(٢) عند الحاكم أنه عمران ابن حصين ﷺ نفسه.

(٣) قال في النهاية في غريب الحديث والأثر عن الواهنة: «العرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها.

وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وربما علق عليها جنس من الخرز، يقال لها: خرز الواهنة. =

لأنها ليست سببا شرعا ولا قدرا، قال ابن الأثير: «وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها»[1].

فأمره ﷺ أولًا بنزعها فقال له: «انزعها» أي اخلعها، والنزع هو الجذب بقوة.

ثم وضح أثرها عليه في الدنيا والآخرة:

أما في الدنيا فقال ﷺ: **«انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا»** أي تزيدك ضعفا ومرضًا.

وفي الآخرة قال له: «فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا»، وهذا فيه وعيد غليظ بأنه لو مات وهي عليه مع كونه صحابي لم يفلح ابدا، ونفي الفلاح دليل على كونه شرك فيكون شرك أكبر اذا اعتقد فيها استقلال التأثير، وشرك أصغر إذا اتخذها سببا.

وجاء عند ابن أبي حاتم[2] عن حذيفة ﷺ أنه: «رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾».

فحذيفة ﷺ رأى رجلا قد لبس خيطا لدفع الحمى، وهذا الخيط ليس سببا لا شرعا ولا قدرا لدفع الحمى، فأنكر عليه ذلك بقطعه ثم بين له حكمه وانه من الشرك، واستدل على الشرك الأصغر بآية نزلت في الشرك الأكبر، وهذا من

= وهي تأخذ الرجال دون النساء.
وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها». النهاية ٥/ ٢٣٤.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٢٣٤.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ت: أسعد الطيب، مكتبة الباز، ط٢، ١٤١٩ هـ.

صنيع السلف يستدلون على الشرك الأصغر بأدلة جاءت في الشرك الأكبر.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي بَشيرٍ الأنصاريِّ ﷺ أنَّه كان مع رَسولِ الله ﷺ في بعضِ أسفارِه والنَّاسُ في مبَيتِهم، فأرسَلَ رسولُ اللهِ ﷺ رسولًا: «أن لا يبقَيَنَّ في رَقَبةِ بَعيرٍ قِلادةٌ مِن وَتَرٍ أو قِلادةٌ إلَّا قُطِعَت»(١).

وهنا منع من النبي ﷺ عن تقليد الأوتار والقلائد التي يراد بها دفع العين والأفات ويقاس عليه كل ما يراد به دفع العين والأفات ولم يجعله الله سببا لا شرعا ولا قدرا.

قال ابن بطال ﷺ: «الذي قلَّدها إذا اعتقد أنَّها تَرُدُّ العينَ فقد ظَنَّ أنَّها ترُدُّ القَدَرَ، ولا يجوزُ اعتقادُ هذا»(٢).

وقال ابن عبد البر ﷺ: «قد فسَّرَ مالكٌ هذا الحديثَ: أنَّهُ من أجلِ العَيْنِ. وهُو عندَ جَماعةٍ مِن أهلِ العِلم كما قال مالكٌ، لا يجُوزُ عندَهُم أن يُعلَّقَ على الصَّحيح من البَهائم، أو بني آدمَ شيءٌ من العَلائقِ، خوفَ نُزُولِ العَيْنِ، لهذا الحديثِ»(٣).

فنلاحظ مما سبق منع أهل العلم من تقلد التمائم وما في حكمها مما يراد به جلب الخير أو دفع الشر ورفعه، وانما وقع الخلاف في التمائم من القرآن هل تجوز أو تحرم، على النحو التالي:

القول الأول: محرّمة.. وهو قول ابن مسعود وابن عباس وحذيفة وعقبة بن عامر ﷺ، واختيار النخعي والحسن(٤)، ورواية لأحمد، واختاره

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري حديث رقم (٣٠٠٥)، ومسلم حديث رقم (٢١١٥).
(٢) شرح صحيح البخاري (٥/ ١٥٩).
(٣) التمهيد (١٧/ ١٦٠).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٣/ ١٢٠).

ابن باز والعثيمين والألباني وابن جبرين ﷺ، والشيخ الفوزان حفظه الله، وعليه فتوى اللجنة الدائمة، وهو الأحوط للأدلة التالية:

(١) عموم النهي عن تعليق التمائم في حديث: «من تعلق تميمة فقد أشرك»، وتميمة نكرة في سياق الشرط فتدل على العموم.

والنبي ﷺ فرق بين التمائم والرقى، ففي الرقى قال: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[1]، فتبين أن الرقى أنواع منها الشركي ومنها الجائز، أما في التمائم فلم يفرق وجاء النهي عام، فدل على العموم وأن جميع أنواع التمائم ممنوع.

(٢) سدًّا للذريعة من أوجه:

(أ) أنه قد يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

(ب) أنه قد يفضي للتعلق بها من دون الله.

(ج) أن تعليقها قد يوصل إلى امتهانها بدخول الخلاء وغير ذلك.

القول الثاني: أنها جائزة، فمنهم من أجازها مطلقا، ومنهم من أجازها للتداوي بعد وقوع البلاء كابن عبدالبر وغيره ﷺ، وينقل الجواز عن عائشة ﷺ، وعن عبدالله ابن عمرو ابن العاص.

واستدلوا على ذلك، بعموم التداوي بالقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء٨٢]، فلم يذكر سبحانه الوسيلة للاستشفاء به، فدل أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة، وحملوا المنع على التمائم الشركيه، وأن ما علق من القرآن لا يقع عليه اسم التمائم.

(١) أخرجه: مسلم حديث رقم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعًا.

ويُجاب على أدلة المجيزين:

(١) بأن القرآن شفاء ولكن بالطريقة التي جاءت عن النبي ﷺ، ولم يرد أنه ﷺ تعلق تميمة، بل ما ورد عن النبي ﷺ من أذكار لدفع الشر وجلب الخير لم يرد فيها (من كتب، وإنما من قرأ، ومن قال) كقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ يعنِي إذا خَرَج مِنْ بيْتِهِ: بِسْم اللهِ توكَّلْتُ عَلَى اللهِ، ولا حوْلَ ولا قُوةَ إلاَّ بِاللهِ، يقالُ لهُ هُديتَ وَكُفِيت ووُقِيتَ، وتنحَّى عنه الشَّيْطَانُ».

وقوله ﷺ: «من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت».

(٢) أما الحديث المروي عن عائشة ﵂ مرفوعا، ضعفه الإمام الألباني ﵀ كما في السلسلة الضعيفة[١]، والمنقول من فعل عبدالله بن عمرو ابن العاص ﵄ مع أبنائه ضعفه بعض أهل العلم، وعلى فرض صحة وقوعه فإنه لا يدل على جواز تعليق التمائم من القرآن.

فإنه جاء في السنن: «أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه»[٢].

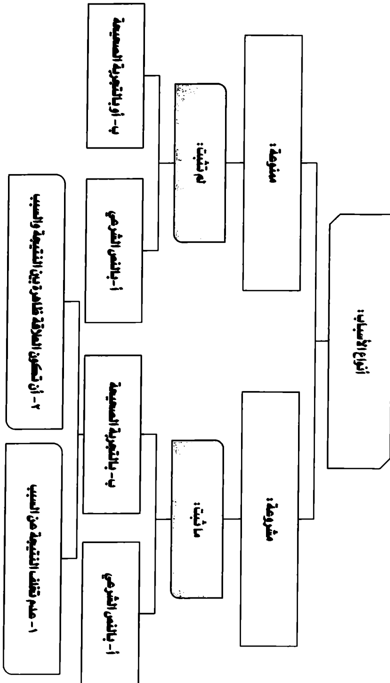
(٣) وحمل المنع على التمائم التي ليست من القرآن فقط لا يصح؛ لأنه كما أتضح أن أحاديث النهي عن التمائم عامة ولم تفرق بين أنواع التمائم، بعكس الرقى التي وضح النبي ﷺ أن منها الجائز ومنها الشركي.

(١) السلسلة الضعيفة حديث: (٤٧٧٠).

(٢) سنن ابي داود (٣٨٩٣)، وينظر في المسألة كتاب: أحكام الرقى والتمائم، المؤلف: د. فهد السحيمي، الناشر: أضواء السلف، ص ٢٤٣-٢٥٣.

وخلاصة المسألة أنه لا يجوز تعليق التمائم من القرآن لقوة أدلة المنع، وسدا للذريعة وحماية جناب التوحيد من أي خادش.




أنواع الأسباب:
مشروعة:
ما ثبتت:
أ- بالنص الشرعي
ب- بالتجربة الصحيحة
ممنوعة:
لم تثبت:
أ- بالنص الشرعي
ب- أو بالتجربة الصحيحة
١- عدم تخلف النتيجة عن السبب
٢- أن تكون العلاقة ظاهرة بين النتيجة والسبب

المطلب الثاني

التطير

مما ينافي كمال التوحيد الواجب التطير، وهو التشأؤم بمرئي أو مسموع أو هيئة أو مكان أو زمان أو اسم وغير ذلك، وكانت العرب إذا عزمت على أمر أرسلت الطير فإن جاء على اليمين سموه سانح وأمضوا عزمهم، وإن جاء على اليسار سموه بارح وتركوا ما كانوا عازمين عليه، ثم عمموا ذلك على غير الطير من المرئيات والمسموعات والمعلومات كالأماكن والأسماء والأشهر ونحوها.

يقول الإمام البغوي ﷺ: «والطيرة: معناها التشاؤم، يقال: تطير الرجل طيرة، كما يقال: تخيرت الشيء خيرة، ولم تجئ المصادر على هذا القياس غيرهما، قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ [يس: ١٨]، أي: تشاءمنا، ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ ﴾ [يس: ١٩]، أي: شؤمكم...

وأخذت الطيرة من اسم الطير، وذلك أن العرب كانت تتطير ببروح الطير وسنوحها فيصدهم ذلك عما يمموه من مقاصدهم، فأبطل النبي ﷺ أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفع، أو ضر، ويقال: الطيرة أن يخرج لأمر، فإذا رأى ما يحب مضى، وإن رأى ما يكره انصرف، فأما ما يقع في قلبه من محبوب ذلك ومكروهه، فليس بطيرة، إذا مضى لحاجته، وتوكل على ربه»[1]

وقال ابن الأثير ﷺ: «وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع،

(١) شرح السنة للإمام البغوي ١٢/ ١٧٠.

وأبطله ونهى عنه، وأخبره أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر»[١].

قال ابن عبدالبر ﷺ: «أصل التطير واشتقاقه عند أهل العلم باللغة والسير والأخبار، هو مأخوذ من زجر الطير ومروره سانحا أو بارحا، منه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغير الحيوان، فتطيروا من الأعور، والأعضب، والأبتر...»[٢].

وقال الإمام النووي ﷺ: «والتطير التشاءم وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولاضر فهذا معنى قوله ﷺ: (لاطيرة) وفي حديث آخر: (الطيرة شرك) أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذ عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك لأنهم جعلوا لها أثرا في الفعل والإيجاد»[٣].

◈ **والتطير ينافي التوحيد من ثلاثة أوجه[٤]:**

(١) كونه استعان واعتمد على غير الله في مضيه وامتناعه.

(٢) انه اتخذ سببا لم يجعله الله سبب في جلب خير أو دفع شر.

(٣) أن فيه سوء ظن بالله تعالى، لأنه توقع حدوث المكروه والأصل أن

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى وآخر، ٣/ ٢٠٥.

(٢) التمهيد ٦/ ٤٢٩.

(٣) المنهاج في شرح مسلم ابن الحجاج ١٤/ ٢١٩.

(٤) خلاصة التفرد باختصار شديد ص٤٩٤-٤٩٦.

المسلم يُحسن الظن بربه.

۞ حكم التطير:

التطير يختلف حكمه باختلاف اعتقاد صاحبه على النحو التالي:

اولًا: شرك أصغر وهذا الأصل في حكمه عند الإطلاق، وقد جاء النهي عنه وسمي في النصوص الشرعية شركا وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، فأما النهي عنه ونفيه ففي قوله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة» وسمي شركًا في قوله ﷺ «الطيرة شرك»، وهذا يقع إذا ردته الطيرة عن حاجته، كما في الحديث: «مَنْ ردَّتْهُ الطِيَرَةُ عن حاجتِهِ فقدْ أشرَكَ»[1].

ثانيًا: قد يصل التطير إلى الشرك الأكبر إذا علق الخير والشر بهذا المتطير به استقلالا واعتقد أن له تأثيرًا في جلب النفع، أو دفع الضر، وأنها تفعل ذلك بذاتها، فهذا شرك أكبر في الربوبية.

وكون الطيرة من الشرك فهو أمر متقرر عند الصحابة الكرام والأئمة الأعلام فمن أقوال الصحابة ﷺ ما نُقل عن عبد الكريم عن زياد بن أبي مريم قال: «خرج سعد بن أبي وقاص ﷺ في سفر، قال: فأقبلت الظباء نحوه حتى إذا دنت منه رجعت، فقال له رجل: أيها الأمير ارجع فقال له سعد: أخبرني من أيها تطيرت؟ أمن قرونها حين أقبلت أم من أذنابها حين أدبرت؟ ثم قال سعد عند ذلك: إن الطيرة لشعبة من الشرك»[2].

ونقل ابن عبدالبر عن عكرمة أنه قال: «كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس، ومر غراب يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر».

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٠٤٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٥).

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٢٨٠٩٠).

◊ ففي الخبرين السابقين دلالة على نفي الصحابة للتطير من أوجه:

أولا: أن هذه الأمور المتطير بها لا تجلب خيرًا ولا تدفع شرًا.

ثانيا: أنها معدودة عندهم من الشرك الأصغر.

يقول ابن الأثير معلقا على حديث النبي ﷺ: «الطِّيرةُ شركٌ، وما مِنَّا إلَّا ولكنَّ اللهَ يذهبُهُ بالتوكلِ»[1]

قال: «جعل التطير شركا بالله في اعتقاد جلب النفع ودفع الضرر، وليس الكفر بالله؛ لأنه لو كان كفرا لما ذهب بالتوكل»[2]. فالمقصود بالشرك الشرك الأصغر وقد يصل للأكبر كما وضحت.

ومما يدل على تحريم التطير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

يقول الإمام الطبري ﵀: «يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾، نحن أولى بها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، يعني جدوب وقحوط وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾، يقول: يتشاءموا ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى ﵇» -ثم نقل عن ابن عباس رضي الله- عنه قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، قال: (الأمر من قبل الله)»[3].

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﵁، وصححه ابن حبان (٦١٢٢) والحاكم (٤٣) والألباني في «الصحيحة» (٤٢٩).

(٢) النهاية ٢/٤٦٧.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٣/٤٧-٤٨.

◈ وفي الآية دليل على تحريم التطير من عدة أوجه:

(١) إبطال التطير في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فكل ما يحصل هو أمر مقدر من الله ﷻ.

وقد نقل البغوي ﵀ عن ابن عباس أنه قال: «(طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم). وفي رواية عنه: (شؤمهم عند الله ومن قبل الله). أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله»[1].

(٢) أن هذا التطير هو من فعل فرعون وقومه وذكر عنهم على سبيل الذم، ولم يذكر التطير في القرآن إلا عن أعداء الرسل فدل على تحريمه.

ثالثًا: يكون محرم إذا انقبضت نفسه وجالت فيها الوساوس ولكنه مضى في أمره ولم ترده الطيرة عن المضي ففيه سوء ظن بالله فمن هنا قال بعض أهل العلم أنه محرم، وقال بعضم لا شيء عليه لأن الطيرة لم ترده.

رابعا: لا شيء على المتطير إذا توكل على الله ولم يتردد وكانت نفسه ثابته ومضى فيما يريد، لقول النبي ﷺ: «الطِّيرةُ شركٌ، وما مِنَّا إلَّا ولكنَّ اللهَ يذهبُهُ بالتوكلِ»[2]، وهذه اللفظ: «وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل» كثير من العلماء على أنها مدرجة من كلام ابن مسعود ﵁، وجزم بعض أهل العلم بصحة رفعها للنبي ﷺ، وهذه اللفظة إن لم تكن من لفظ النبي ﷺ فلها حكم الرفع، والله اعلم.

ويشهد له حديث معاوية ابن الحكم ﵁ عندما قال للنبي ﷺ: «ومِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قالَ: ذَاكَ شيءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ، فلا يَصُدَّنَّهُمْ»[3].

(١) تفسير البغوي ٣/ ٢٦٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم حديث رقم (٥٣٧).

مفاسد التطير:

التطير إما انه منافي للتوحيد بالكلية أو لكماله وهذه مفسدة عظيمة توبق على الإنسان دنياه وآخرته، ومن مفاسد التطير أيضًا أن المتعلق بالتطير ينصب عليه صبًا ولا يكاد يسلم قلبه من التعلق به، ولا تسلم نفسه من الوسواس والهموم، وفي هذا المعنى يقول الشيخ سليمان ابن عبدالله: «واعلم أن ما كان معتنيًا بها قابلًا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله ﷺ وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك»(١)

ضابط التطير:

لا تقع حقيقة التطير إلا إذا ردت الطيرة صاحبها أو أمضته كما في الحديث: «مَنْ ردَّتْهُ الطِيَرَةُ عن حاجتِهِ فقدْ أشرَكَ»(٢).

وأما من يمضي ولا يلتفت لها فلا شيء عليه كما جاء عن ابن عباس ﷺ: «إِنْ مَضَيْتَ فَمُتَوَكِّلٌ، وإِنْ نَكصْتَ فَمُتَطَيِّرٌ»(٣).

علاج التطير وكفارته:

أما علاج التطير: فهو التوكل على الله تعالى وعدم الالتفات إلى المتطير به، والمضي فيما أردت.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٣٦٠.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المصنف لعبد الرزاق (١٠/ ٢٧) (٢٠٥٥٧).

لقوله ﷺ: «الطِّيرةُ شركٌ، وما مِنَّا إلَّا ولكنَّ اللهَ يذهبُهُ بالتوكلِ»(١).

وفي الحديث: «إنَّما الطِّيَرَةُ ما أمضاكَ أو ردَّكَ»(٢).

وكفارتها ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: «مَنْ ردَّتْهُ الطِيَرَةُ عن حاجتِهِ فقدْ أشرَكَ قالوا: يا رسولَ الله وما كفارَةُ ذلِكَ قال يقولُ: «اللهمَّ لا طيرَ إلَّا طيرُكَ، ولَا خيرَ إلَّا خيرُكَ، ولَا إلهَ غيرُكَ»(٣).

تنبيه: الفرق بين الفأل والتطير

أولا: من جهة المعنى:

الصحيح أنه لا فرق بينهما وأن الفرق في غلبة الاستعمال يقول الزمخشري: «الفأل والطيرة قد جاءا في الخبر والشر تقول العرب: ولا فأل عليك... مجيء الطيرة في الشر واسع لا يفتقر فيه إلى شاهد إلا أن استعمال الفأل في الخير أكثر... واستعمال الطيرة في الشر أوسع»(٤).

ثانيا: من جهة الحقيقة:

الطيرة هي ما ينبني عليه فعل أو ترك واعتقاد خير أو شر، وقد تفعل بقصد فيزجر الطير كما مر معنا، وأما الفأل فهو الاستبشار بأمر وقع قدرا ولا ينبني عليه فعل أو ترك، ولا اعتقاد خير أو شر.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «مسند أحمد» (١٨٢٤) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ابن علاثة- واسمه محمد بن عبد الله- قال البخاري: في حديثه نظر، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، ومسلمة الجهني- وهو ابن عبد الله- لم يوثقه غير ابن حبان، ثم هو لم يدرك الفضل بن عباس.

(٣) سبق تخريجه.

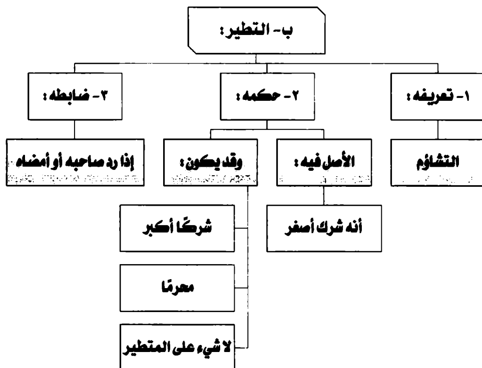
(٤) الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي وآخر، الناشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية ٣/ ٨٦.

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ كان يعجبه الفأل، فقد قال ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ قالوا: وَما الفَأْلُ؟ قالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «والفأل الذي يحبه -النبي ﷺ- هو أن يفعل أمرا أو يعزم عليه متوكلا على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره»[2].



(١) صحيح البخاري حديث رقم (٥٧٧٦).
(٢) مجموع الفتاوى ٢٣/٦٦.


ب- التطير:
١- تعريفه:
٢- حكمه:
٣- ضابطه:
التشاؤم
الأصل فيه:
وقد يكون:
إذا رد صاحبه أو أمضاه
أنه شرك أصغر
شركًا أكبر
محرمًا
لا شيء على المتطير

الأسئلة

(١) الأسباب لا تثبت كونها مشروعة إلا بطريقين، ما هما؟

(٢) ما هي شروط صحة التجربة؟

(٣) ما حكم التعلق بالأسباب غير الصحيحة؟

(٤) تعليق الحلقة والخيط لدفع البلاء ورفعه لـمَ تكون شركا أصغر؟ اذكر أربعة أسباب.

(٥) عرف كلا من:

١. التميمة.

٢. الودعة.

(٦) ما هي أقسام التمائم؟ وما حكم كل قسم؟



تدريب

س١: ما حكم التعلق بالأسباب غير الصحيحة؟

س٢: ما حكم تعليق الحلقة والخيط والتميمة والودعة لدفع البلاء أو جلب النفع؟

س٣: ما حكم تعليق التمائم مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم؟



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

فقد أتممت اليوم جمع هذه المادة، راجيًا من الله تعالى أن ينفع بها ويبارك فيها، وأن تكون للمبتدئ في العلم تأصيلاً، وللمنتهي تحقيقًا. وأسأل الله أن يعمّ نفعها الحاضر والباد، وأن يكرمني بتحقيق التوحيد قولًا وعملاً واعتقادًا، ووالديَّ وإخواني وأخواتي وأبناء عمومتي وأقاربي ومشايخي وعلمائنا وولاة أمرنا وطلابي وزملائي وجيراني وأصدقائي، وكل من قرأ كتابي هذا أو أعان على نشره أو تعليمه أو تصويبه أو ترجمته أو اختصاره.

وقد أشركتُ فيه معي والدي ووالدتي وخالتي وأخي سعيد وصديقي سعود العتيبي والشيخ محمد بن عبدالله الماجد ومؤسس هذه البلاد الملك عبدالعزيز رحمهم الله رحمة واسعة، وكل مَن تعلمتُ منه حرفًا حيًّا أو ميتًا، وكل مَن دعا لي وأعانني على تمامه.

وقد يسّر الله إتمام هذا الكتاب بفضله، ثم بفضل الحرص الكريم من مؤسسة الماجد الأهلية، جزاهم الله عني خير الجزاء، وجزى القائمين عليها والداعمين لها خيرًا، إذ شجعوني على طباعته بعد أن وقفوا على فكرته وما يتناول من مسائل وقضايا. فاستعنت بالله على إتمامه رغم كثرة الانشغال وتقطع أوقات الكتابة، مع حبي لموضوعه وتعلقي به منذ الصغر، إذ نشأنا في هذه البلاد المباركة على محبة التوحيد والسنة. فجزى الله مؤسس هذه البلاد خير الجزاء، وأبناءه البررة من بعده على ما بذلوه وما يبذلونه في نشر العقيدة

الصحيحة، والإسلام الوسطي المعتدل، على منهج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام. وقد وفقهم الله بعلماء أجلاء أعانوهم على ذلك، فرحم الله من مضى منهم، وبارك في الباقين، وحفظهم.

وهذا جهد المقل، وما توفيقي إلا بالله، فقد حرصت فيه على تحرّي الصواب واتباع السنة؛ فإن أصبت فمن الله وفضله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. ولا يخلو عمل بشري من النقص والخلل، فإن وجدتَ فيه خطأ فأرشدني إليه مأجورًا مشكورًا.

كتبه:

حسن بن أحمد بالبيد

من جوار بيت الله الحرام

السبت ٢٨/ربيع الأول/١٤٤٧



فهرس المحتويـات

المحتويات الصفحة

بحمد الله تم